بواعث القيمة المكانيّة في ديار العربيّة "الأوعية الحضارية الرئيسة في شبه الجزيرة العربية"، دراسة في الجغرافيا التاريخيّة خلال الفترة من القرن (الثالث عشر ق.م) إلى بداية القرن (السابع م)

محمد عبد القادر راشد *
helm3033@gmail.com

الملخص:

"التغير التراكميّ"، "التغيير القصديّ"، فكر نظرية "البناء الفوضويّ"، فكر نظرية "الفوضى الخلاقة". مفاهيم محددة تموج فيها بلدان "العالم العربيّ" حاليًا، وفي إطار ذلك التموج الذي يتصف بنسبية الاتجاه واختلاف الغاية توجد العديد من المؤشرات التي يُستدل من خلالها على أنه يسير نحو نظام جديد لا تزال بنيته في مرحلة التبلور. ولأن الأمر برمته لا يزال في مرحلة الفعل البنائيّ لا النتيجة النهائيّة، أي: أن الأمر لا يزال يحمل إمكانيّة التصدي لآليات هذا التخليق من ناحية والحَيْلَولة دون استبدال بؤر النزاعات العالميّة بـ "المنطقة العربيّة" في ظل المواءمات البينية من ناحية أخرى. ولأنه ليس هناك من المجتمعات من يستطيع أن يُنحي ماضيه أو يتخلى عنه؛ كونه الحقيقة التعايشيّة التي تمثل أحد مدخلات بنيته الاجتماعية؛ تلك البنية التي تتكون مدخلاتها من ثلاثية "المجتمع"، و"المكان"، والعلاقات؛ تلك البنية المدفوعة بالزمن المستمر من ناحية والنسبية في بعدي التأثير والتأثر من ناحية أخرى.

ولأن "ديار العربيّة"[1] بصفة عامة، تشهد تاريخيّتها بأن خصائصها الاجتماعية لم تكن تثبت إلا لتتغير، وفي حالة ثباتها كان يصعب تغييرها، لكن إذا تغيرت فإنها لا تعود إلى ما كانت عليه مرة أخرى. وتدور فكرة الدراسة محاولة التعرف إلى بواعث القيمة المكانيّة التي أكسبت "ديار العربيّة" اتجاهات مساراتها التاريخيّة خلال فترات زمنية محددة.

كلمات مفتاحية: الأوعية الحضارية- الفوضى الخلاقة- بواعث القيمة.

---

* قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية.

[1] "ديار العربية" هو الاسم التاريخيّ الذي كان يشتمل على جميع الأوعية الحضاريّة التي تضمنتها ما يُعرف الآن بـ شبة الجزيرة العربية" أو حتى "الجزيرة العربية".

مقدمة الدراسة:

"**التغير التراكميّ**"، "**التغيير القصديّ**"، فكر نظرية "**البناء الفوضويّ**"، فكر نظرية "**الفوضى الخلاقة**". مفاهيم محددة تموج فيها بلدان "العالم العربيّ" حاليًا، وفي إطار ذلك التموج الذي يتصف بنسبية الاتجاه واختلاف الغاية توجد العديد من المؤشرات التي يُستدل من خلالها على أنه يسير نحو نظام جديد لا تزال بنيته في مرحلة التبلور. وبغضّ النظر عن هذا التبلور الذي قد يعدّه بعضهم أنه جزء من فكر سائد ينسب إلى ما يُطلق عليها بـ "**نظرية المؤمراة**" والتي غالبًا ما تتعالى صيحاتها في إطار تعايشيّ مستدعى قوامه الاضطراب (خلاصي،٢٠١٤، ص٢٢٠)، فإن هذا الفكر قد يُفضي إلى إعادة تخليق خريطة "العالم العربيّ" السياسيّة. ذلك التخليق الذي سينتهج مجموعة من الآليات جملتها تأتي بين بعدين فكريين هما: فكر نظرية "البناء الفوضويّ" من ناحية، وفكر نظرية "الفوضى الخلاقة" من ناحية أخرى". وفي إطار هذين الفكرين فإن ذلك سيؤدي إلى إخراج البنى الإقليميّة غير المهيأة للقيام بما يُفرض عليها من دائرة دول الفعل التأثيريّ، وإدخالها إلى مجال الفوضى الخلاقة بوصفه خيارًا بديلًا عن الاستقرار الذي يتسق وديناميكيات الخطط المرسومة للجغرافيّا السياسيّة العالميّة (خلاصي،٢٠١٤، ص٢٢٨). **وبعيدًا** عن دور بعض الدول في محاولة إعادة هذا التخليق الذي يشهد تنافسًا قويًا يُسعى من خلاله إلى تحقيق التفوق في منطقة تتسع فيها الفوضى حتى بات أمره أقرب إلى المواءمات البينية الخفية منه إلى بنود المواثيق الدولية (هيلر،٢٠١٦، ص٥). **ولأن الأمر** برمته لا يزال في مرحلة الفعل البنائيّ لا النتيجة النهائيّة، أي: أن الأمر لا يزال يحمل –بين طياته– إمكانيّة التصدي لآليات هذا التخليق من ناحية والحَيْلَولة دون استبدال بؤر النزاعات العالميّة بـ "**المنطقة العربيّة**" في ظل المواءمات البينية من ناحية أخرى. **ولأنه ليس** هناك من المجتمعات من يستطيع أن يُنحي ماضيه أو يتخلى عنه؛ كونه الحقيقة التعايشيّة

التي تمثل أحد مدخلات بنيته الاجتماعية؛ تلك البنية التي تتكون مدخلاتها من ثلاثية "المجتمع"، و"المكان"، والعلاقات؛ تلك البنية المدفوعة بالزمن المستمر من ناحية والنسبية في بعدي التأثير والتأثر من ناحية أخرى.

ولأن "**ديار العربيّة**"[١] بصفة عامة، تشهد تاريخيّتها بأن خصائصها الاجتماعية لم تكن تثبت إلا لتتغير، وفي حالة ثباتها كان يصعب تغييرها، لكن إذا تغيرت فإنها لا تعود إلى ما كانت عليه مرة أخرى.

فإن الدراسة تتحرى محاولة التعرف إلى بواعث القيمة المكانيّة التي أكسبت "ديار العربيّة" اتجاهات مساراتها التاريخيّة خلال فترات زمنية محددة.

وفي حقيقة الأمر قد يرى بعضهم أن بين الماضي، والحاضر، والمستقبل صلة أكيدة ووشيجة قريبة، وعلى الرغم من أن الدراسة تتبنى رؤية أن المستقبل لا يُشترط أن يعد منبتًا ذا صلة بالحاضر أو بالماضي، إلا أن الواقع ينبئنا بأنه لا يبدأ من فراغ بل هو حصيلة من "**التدفق التراكميّ**"[٢] "**Cumulative Flow**" يتكون بفعل عمليات التغيير النابعة من داخل المجتمع أو حتى الوافدة عليه من الخارج. وكما هو معلوم في العلوم الاجتماعية تحديدًا فإن الأفعال تُصاغ بعدّها جزءًا أو مرحلة في مسار رؤية يُرجى تحقيقها، وهذا أمرٌ أقرب ما يكون إلى خطوة في ظل جملة من الخطوات التي تُتخذ لبلوغ الغاية. بيد أن هناك ثمة فرق بين النتيجة في حالة صحة بداية الفعل ومن ثم انتقاله إلى خطوة أخرى على مسار تحقيق الرؤية؛ وبين النتيجة في حالة وجود بعض التغييرات الطارئة غير المرغوب فيها على الفعل؛

---

[١] "ديار العربية" هو الاسم التاريخيّ الذي كان يشتمل على جميع الأوعية الحضاريّة التي تضمنتها ما يُعرف الآن بـ شبة الجزيرة العربية" أو حتى "الجزيرة العربية". وفي ظل عمومية الإطار المكانيّ للـ"ديار العربية" التاريخيّة فإنها كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة (**الأول**) "ديار العربية السعيدة" وتضم حاليًا الجزء الأكبر من "المملكة العربية السعودية"، و"الكويت"، و"قطر"، و"البحرين"، و"الإمارات"، و"عمان"، و"اليمن" و(**الثاني**) "ديار العربية الصحروايّة" وتضم حاليًا شماليّ شرقيّ "المملكة العربية السعودية"، و(الثالث): "ديار العربية الصخرية" وتضم حاليًا شماليّ غربيّ "المملكة العربية السعودية".

[٢] وليس حصيلة تراكمية طبقة زمنية فوق طبقة زمنية أخرى .

ومن ثم انتقاله إلى مرحلة أخرى تختلف عن مسار تحقيق الرؤية. فالنتيجة الأولى تؤدي إلى بلوغ الرؤية والحصول على الغاية، أما النتيجة الثانية فهي جزء أصيل في نظرية "البناء الفوضويّ" أو البناء في ظل عدم توقع نقاط التغيير التي من شأنها أن تحول دون بلوغ الغايات. وهنا تكمن القيمة التطبيقة لفكر نظرية "البناء الفوضويّ" والذي يتلخص في أنه الفكر الذي يقع على ذات مسار اتجاه البناء في موضع استباقيّ عن النتيجة النهائيّة، أي: أنه الفكر الذي يسبق المرحلة الأخيرة من النتيجة غير المتوقعة. ومن ثم ففكر نظرية "البناء الفوضويّ" لا ينتظر النتيجة (وذلك على عكس ما يُشاع أو يُفهم)، بل يتدخل لتغيير النتيجة المتوقعة؛ اعتمادًا على أن الحدث الواحد يترتب عليه جملة من الأحداث المتوقعة وبتغير الحدث تتغير جملة الأحداث المتوقعة، فتتغير النتائج. وهنا يكمن أحد مدخلات القيمة التطبيقيّة التي لا تهتم بالنتيجة بوصفها مقصدًا نهائيًا بقدر اهتمامها بالتغيرات الدقيقة التي تؤدي إلى النتيجة بوصفها مقصدًا بنائيًا.

فكرة الدراسة، وتساؤلاتها، ومشكلتها البحثية:

ولإيضاح ما ستنطوي عليه الدراسة من أهداف وما يُسعى إليه من توصيات كان لابد من إيضاح فكرة الدراسة، وتساؤلاتها، وكذلك مشكلاتها البحثية على نحو ما يأتي:

فكرة الدراسة:

اتخذت اتجاهات القيمة المكانيّة المكتسبة في "ديار العربيّة السعيدة" أو حتى "ديار العربيّة الصحروية" أو "ديار العربيّة الصخرية" خلال فترة الدراسة التي تبدأ من القرن (الثالث عشر ق.م) وتنتهي في بداية القرن (السابع م) مرامي عدة. إلا أنها جميعًا يمكن حصرها في إطار اتجاهين أساسيين (الأول) يغلب عليه فكر "**البناء الفوضويّ**" و(الثاني) تأثر بنتاج "**الفوضى الخلاقة**" الإقليميّة. والحقيقة أن هذين الاتجاهين لا يزالان يطلان على العديد من

بلدان "العالم العربيّ" حاليًا بدرجات غير متساوية. ولن يُدعى هنا أن بين ماضي عمومية "ديار العربيّة" في إطار ما يُعرف الآن بـ "شبه الجزيرة العربيّة" من ناحية وبين عمومية بلدان "العالم العربيّ" من ناحية أخرى علاقة وَشيجة ولكن يمكن الادعاء أن هناك ظلالًا لها، ولا تزال بعض الدول تتأثر بغشيتها. وفي سياق غشية الظلال نبتت فكرة الدراسة سعيًا إلى استجلابها للتعرف إليها وأَنارَتها للانتفاع بها.

تساؤلات الدراسة:

١ –هل نتاج "البناء الفوضويّ" الذي آلت إليه جميع "الأوعية الحضاريّة" في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" استدعى نتاجًا آخر من "التخليق الفوضويّ" أم أن "التخليق الفوضويّ" ذاته كان أحد المدخلات الرئيسة التي تكونت ببنيته الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خاصة وعمومية "ديار العربيّة" عامة؟

٢ –هل الأسباب التي أدت إلى اضطراب الأوعية الحضاريّة[١] في إطار جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خاصة وفي ظل عمومية "ديار العربيّة" عامة كانت بأسباب ذاتية تختص بهذه الأوعية أم كانت بأسباب تنطوي على أبعاد من الرهان العالميّ آنذاك؟

٣ –لماذا اقتصر تأثير الأوعية الحضاريّة في "ديار العربيّة السعيدة" عامة على المحيط الإقليميّ والعالميّ خلال الفترة من القرن (الثانى عشر ق.م) إلى القرن (الثاني م) على نتاج التجارة من الطيبوب والتوابل من دون أن يكون لها أي تأثير جيو سياسيّ أو حتى جيوبوليتيكيّ على مستوى المحيط الإقليميّ والعالميّ؟

[١] استُخدم مفهوم الوعاء الحضاريّ في الدراسة بديلًا عن كلمة مملكة أو دولة أو دويلة لأسباب متعددة، أبرزها: أن المفهوم السياسيّ للمملكة أو الدولة أو حتى الدويلة كان يتغير من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى.ومن ثم جاء استخدام مفهوم الوعاء الحضاريّ ليعبر عن مضمون الحالة السياسيّة ومن بعدها الدينية كما سيتضح من خلال الدراسة. وإلى جانب ذلك فاستخدام الوعاء الحضاريّ كان بدافع الخصوصية التي كانت عليها شخصية الحضارات وتحديدًا في جنوبيّ "ديار العربية السعيدة" حيث اليمن حاليًا .

٤-لماذا لم تنتقل معطيات النجاح في الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" من حضارة إلى أخرى في ظل استمرارية بنائيّة إلى أن انتهى الأمر إلى نتيجة احتلال "الأحباش" لجزء من أراضيها؟

٥-هل كان احتلال "الأحباش" لجنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بدافعية ذاتية أم كان بدافعية إقليميّة وعالميّة؟

٦-لماذ لم تستطع الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" اكتساب قيمة أخرى يمكن من خلالها تعزيز مكانتها بدلًا من اعتمادها على مصدر أحاديّ يقتصر على التجارة وعوائدها؟

مشكلة الدراسة:

تنطوي الدراسة على مشكلتين رئيستين (الأولى) تتعلق بمدى إمكانيّة تحديد بداية زمنية محددة لجملة الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" تحديدًا وكذلك نهايات زمنية واضحة لها. والحقيقة أن هذا الأمر اختلف فيه المؤرخون؛ حتى إنهم -في كثير من الأحيان- تجنبوا الأخذ برأي محدد إلى حين العثور على ما قد يُسهم في توضيح ذلك. ولأن الزمن أمرٌ مهم في إطار الجغرافيا التاريخيّة، فالدراسة ترتكز على قاعدة – وذلك فيما تركز عليه من قواعد وضوابط ستتضح من خلال الجزء الثاني في الدراسة- مضمونها: أن الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" تحديدًا تنتسب من حيث البذر المكانيّ إلى زمن واحد بعضهم بجانب بعض بعدّ أصولية مجتمعاتها من المهاجرين خلال القرن (الثالث عشر) إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"، بيد أن جميعهم مختلفون من حيث النضح والتثمير بعضهم بجانب بعض، فمنهم من سبق نضجًا وتثميرًا ومنهم من تعايش في ظلال الآخر منتظرًا فرصة النضج والتثمير؛ الأمر الذي أدى إلى تباين بدايات

النشأة على الرغم من أن جميعهم ينتسبون لزمن واحد من حيث أصولية التكوين على نحو ما يجمله الشكل رقم (١) .

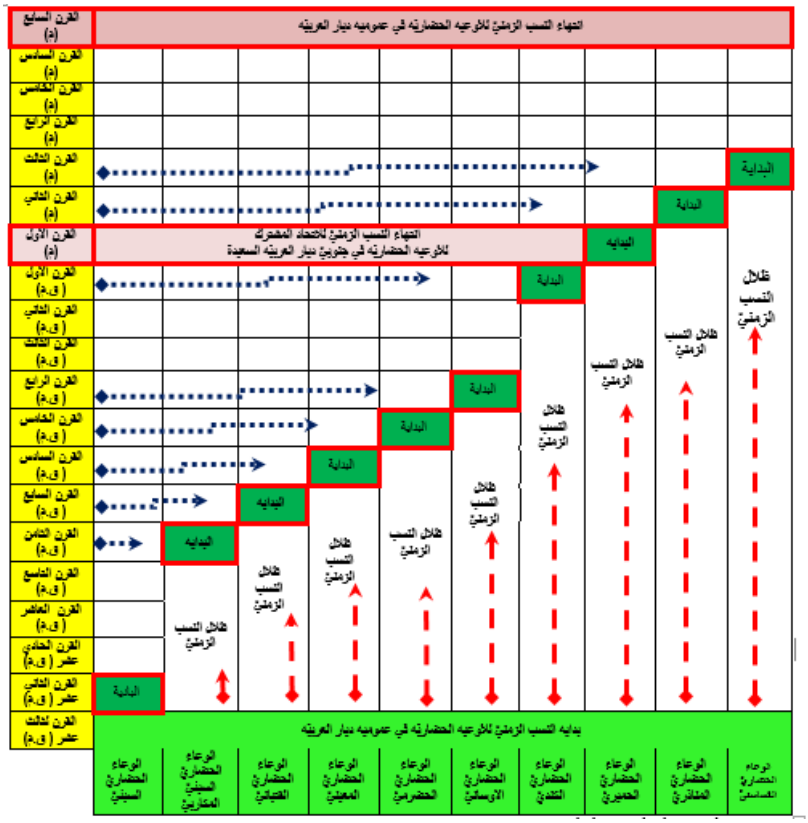

المصدر: الشكل من عمل الباحث.

شكل رقم (١): النسب الزمنيّ والأصولية الواحدة

أما المشكلة (الثانية) فتكمن في محاولة إدراك **النتيجة** وفهمها التي كانت تنتهي إليها جميع الأوعية الحضاريّة على مستوى "ديار العربيّة السعيدة" أو حتى "ديار العربيّة الصحراوية" أو حتى "ديار العربيّة الصخرية"، فجميعها كانت تنتهي إلى الاضطراب الذي إن لم يقد إلى "**البناء الفوضويّ**" فإنه كان يُسهم في استدعائه ليصل الأمر إلى نتاج آخر يتمثل في "**التخليق الفوضويّ**". كما تكمن في محاولة فهم الأسباب التي وجهت العديد من الأوعية الحضاريّة لتستعين بالقوى الخارجية

سواء أ كانت إقليميّة أم كانت عالميّة لنصرتها على بني عمومتها من دون إدراك أو استيعاب أو فهم بأن هذه القوى ربما تؤثر فيها بما قد يتجاوز مستويات مشكلاتها التي كانت تعاني منها.

الركائز الاصطلاحية للدراسة:

كان من الأهمية تحديد دلالة ما تعنيه المفاهيم الاصطلاحية التي تضمنتها الدراسة بعدّها أحد المدخلات التي تسهم في عملية إعادة بناء الأحداث التاريخيّة وفق ضوابط وظيفيّة معينة، وفيما يأتي بعضها.

١ – مفهوم القيمة:

ثمة اتفاق على صعوبة تحديد معانٍ محددة لمفهوم القيمة، وتتعدد أسباب ذلك. وفي القول العام فأمر استعمالها الغالب قد اصطبغ بصبغة اقتصاديّة. حيث ظهرت في إطار الاقتصاد السياسيّ، ولقد أثار مفهومها الخلاف بين المدارس الاقتصاديّة المتعددة؛ فهي عند بعضهم تعني النفع أو المنفعة التي يشبعها المال الاقتصاديّ، وعند بعضهم الآخر تعني قدرة المال على شراء كميات من الأموال الأخرى[١]. بل ينظر إليها فريق ثالث بعدّها قدرة استعمالية وقدرة تبادلية، بيد أن لأمر القيمة استعمالات أخرى، فهي في الاستعمال اللغويّ العربيّ مشتقة من الأصل (ق. و. م)، وقد استُعمل جذر هذا الاشتقاق للدلالة على معانٍ متعددة، ولعل منها القيام (وهو نقيض الجلوس)، والإصلاح، والاستقامة، والثمن، والتقدير. أما في الاستعمال اللغويّ الأجنبيّ فكلمة القيمة **"Value"** ترجع –في أصلها الاشتقاقيّ– إلى الفعل اللاتينيّ **"Valeo"** الذي يدل على القوة، ولعل من أبرز معانيه التأثير في الأشياء. وفي إطار هذا كله خرجت العديد من النظريات التي حاولت تفسير

[١] بالفعل يكاد ألا يوجد اتفاق محدد على معانٍ مفهوم كلمة القيمة، وفي الحقيقة فذلك أمرٌ طبيعيّ أكثر من كونه أمرًا خلافيًا؛ نظرًا لما تتصف به القيمة ومحدداتها من خصائص قد تصل إلى حد التناقض، أو التداخل.

القيمة، ولعل من أبرزها نظرية القيمة/العمل. وفي الحقيقة، يمكن القول: إن مفهوم القيمة له أبعاد أخرى لا تعتمد على الاستعمال بقدر اعتمادها على النتيجة، ولعل ذلك ما يمكن تلمسه في مقدمة "ابن خلدون". وبصدد الدراسة، فإن جزءًا فيها اعتمد على كل الاستعمالات والمشتقات والآراء سالفة الذكر بعدّها روافد شتى غُلفت من الأصل بقِوام (بالكسر) والتي تعني "**نظام الشيء وعماده**". وفي عبارة أخرى فإذا كان جزء من الدراسة ينظر إلى القيمة بعدّها "نظام الانتفاع"، فإنه في ظل آراء "ابن خلدون" يمكن القول: إن المجمل العام للدراسة ينظر إلى القيمة بعدّها نتيجة التأثير والتأثر في جوهر النظام الانتفاعيّ بكل ما ينطوي عليه من دلالات مادية، وبكل ما يغلفه من دلالات معنوية.

٢ –مفهوم المكان:

يمكن القول: إن "راتزل" أدرك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما لم يدركه غيره عن مدى أهمية إدراك مفهوم المكان. ولعل في قوله: "**على المجتمعات أن تسعى إلى تطوير مفهومها عن المكان؛ لأن انحسار دولة ما يكون –عادة– نتيجة ضعف مفهوم سكانها للحيز المكانيّ**". وبعيدًا عما تحمله هذه العبارة من دلالات تعد –في مجملها– جوهر نظريته عن الدولة العضوية (توفيق،١٩٨٨: ص.ص ٣٦–٣٨)، فإنه استطاع أن يضع مفهوم المكان في سياق دقيق أجمل فيه قيمته وأكمل له بنيته. ولعل في ذلك مكامن قوته بوصفه مدرسة تفوق بها على المدرسة الفرنسية ومن بعدها الأمريكية تحديدًا. ولعل في إطار تلك المدرسة تكونت رؤى "حمدان" عن المكان والتي اختزلها في كتابه ذي الأربعة أجزاء والذي جاء تحت عنوان: "شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان" أو حتى رؤاه في كتابه الذي حمل عنوان "جغرافيّة المدن". وفي حقيقة الأمر، فعلى الرغم من دقة "راتزل" القيمة، ورؤى "حمدان" المكانيّة الناقدة فإنّ كليهما لم يفندا تعريفًا محددًا لمفهوم المكان، ولعل مرد ذلك أنهما نظروا إليه بوصفه ضوابط وظيفيّة وليس

بوصفه قيمة انتفاعية[†]. وهنا تكمن مشكلة المكان، لا في تحديد مفهومه وحسب، بل في كثرة المفاهيم الوظيفيّة التي كادت تجتزئه على ذاتيتها على الرغم من وضوح تبعتها. وربما زاد في ذلك تنوع رؤى العلوم ومقاصد اتجاهاتها عند دراستها للمكان. وفي محاولة إيضاحية لا توفيقية، يمكن القول: إن المقصود بالمكان: "هو النتيجة المتغيرة، والكل الكامن المعتزل[‡] داخل إطار مساحيّ تتحدد ضوابطه وفق رؤى القيمة الانتفاعية التي تسعى إلى بلوغها المجتمعات.

٣-مفهوم القيمة المكانيّة:

واعتمادًا على ما تقدم، فإن مفهوم القيمة المكانيّة يمكن صياغته اعتمادًا على روافد تجمع بين المبادئ والمعايير الشرطية التي صاغها بالاتفاق أحد المجتمعات داخل إطار مكانيّ حَدد من خلاله المرغوب فيه والمرغوب عنه؛ ومن ثم فالمفهوم ذو اختيار تفضيليّ له مسوغاته. وبناءً على تلك الروافد يمكن صياغة مفهوم القيمة المكانيّة على أنه: "مجمل الحكم الذي تصدره المجتمعات على أمكنة معينة نتيجة ما تبديه من عوائد انتفاعية وما تخفيه من علاقات ارتباطية؛ اعتمادًا على روافد من القدرات التعايشيّة المتغيرة. ومن الجدير بالذكر أن روافد القيمة هنا تعتمد على مدى نجاح المجتمعات في توظيف الأمكنة وفق رؤى انتفاعية معينة،

[†] نعم ... فعلى الرغم من مقاسمة كلمة المكان عنوان كتابه عن شخصية مصر، وعلى الرغم من أن الباب العاشر في الجزء الرابع من هذا الكتاب جاء تحت عنوان "آفاق الزمان وأبعاد المكان؛ فإن مفهوم المكان لم يكن له موضع في هذا الكتاب بأجزائه الأربعة، وفي الحقيقة ربما يمكن الرد على ذلك بأن مفهوم المكان قد اختزل في العديد من موضوعات فصول الكتاب، ولعل كان القصد من وراء ذلك هو إبراز ما تعنيه القيمة التي تكمن في المكان أكثر من تحديد المكان ذاته. وأما فيما يتعلق بكتابه عن "المدن؛ فلم يفند "حمدان" جزءًا خاصًا لدراسة المكان، بل أشار إليه في كلمات معدودات؛ ولاسيما في أثناء حديثه عن توزيع المدن في قوله: فعلى الرغم من **أن التوزيع هو حاصل جمع حالات الوقوع في المكان فليس صحيحًا أن التوزيع يرادف الموقع** (حمدان، ١٩٧٨: ص١٩٤) . وفي حقيقة الأمر فالمدقق في دراسته لتوزيع المدن وكذلك دراسته للموقع ربما يخرج بنتيجة أن ثمة خلطًا بين مفهومي الموقع والمكان، وقد يتجلى ذلك في دراسته عن النظرية العامة للموقع، وتحديدًا في عنصر أنواع الموقع (حمدان، ١٩٧٨: ص٢٨٤).

[‡] أعتمد في ذلك على آراء "ابن دريد"، فلقد توسّع في عرض مفهوم المكان من وجهة نظر مختلفة، وتحديدًا تحت مادة (كمن) وليس (مَكن) (سعدون، ٢٠١١: ٢٤٣ص).

سواء أكان ذلك وفق ذاتية محلية أم كان في ظل ما تيسر لها من علاقات خارجية. وهنا المكمن المستتر لمفهوم القيمة في الجغرافيا التاريخيّة فهي تمثل إحدى الخطوات البانية لما يمكن أن يطلق عليه بـ "الجغرافيات الاستباقية"، لا من خلال تقديمها تفصيلات زمنية أو مكانيّة ، بل من خلال تحديد الاتجاه العام الذي يجب أن تسير فيه الجغرافيا.

٤ –الأوعية الحضارية.

هى المحصلات النهائية الناجمة عن التراكمات الثقافية والحضارية والاقتصادية التى شهدتها إحدى المقدمات العمرانية التى تغيرت إلى محلة عمرانية وأضحى لها أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية واضحة.

٥ –نظرية البناء الفوضويّ:

ليس المقصود بالفوضى هنا الاضطراب، أو البَلْبَلَة، أو حتى التصرف من دون تمييز وذلك على نحو ما جاء في معجم المعاني من تفسير، إنما المقصود بهذه الكلمة ذاك التفسير الذي جاء في تلك النظرية التي تُعرف بـ "نظرية الفوضى" "**Chaos Theory**" (يختلف أمر هذه النظرية عما جاء بفكر نظرية الفوضى الخلاقة)، أو بـ "**نظرية الأنظمة الديناميكية غير الخطية**"، أو حتى بـ "**نظرية الشواش**". ولعل من أهم تعريفاتها الخادمة للدراسة:

- الفوضى هي الانحراف عن مسار نتيجة مأمولة إلى مسار آخر لنتيجة غير مأمولة؛ بسبب وجود بعض التغييرات التراكميّة أو التغييرات القصديّة.
- الفوضى هي آلية الانحراف التصاعديّ عن مسار نتيجة مأمولة من اليقين وفق مدخلات معينة، إلى مسار آخر لنتيجة غير مرغوبة من اللايقين.
- الفوضى هي هذا المسار الذي لم تستطع مدخلات عمليات التوقع معرفتها، أو حتى التنبؤ بها؛ فأدى ذلك إلى الحيد عن مسار مأمول إلى آخر غير مرغوب فيه، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢)

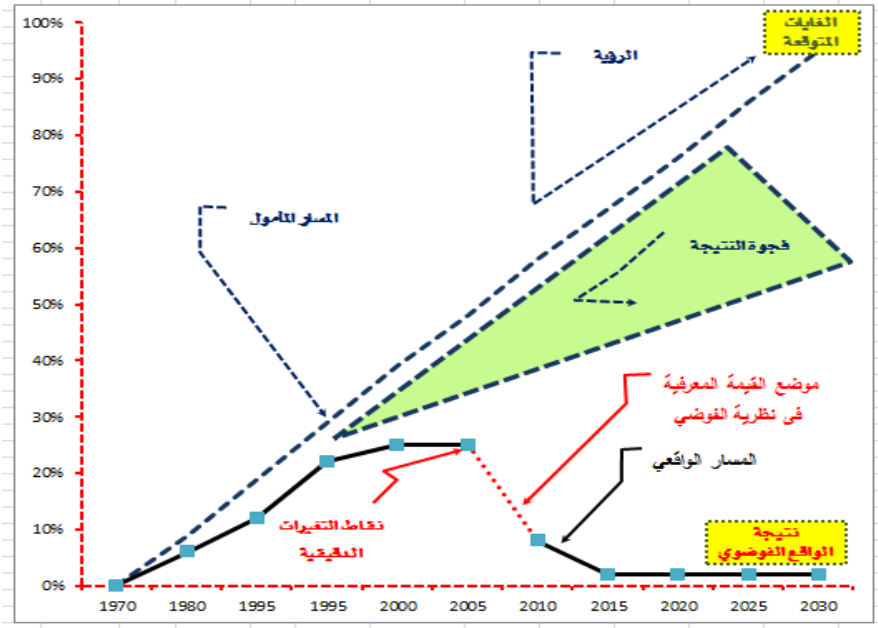

المصدر: الشكل من عمل الباحث.

شكل رقم (٢): المسار الفوضويّ غير المتوقع وموضع القيمة التطبيقيّة

٦ –القيمة التطبيقيّة في نظرية البناء الفوضويّ.

يُسعى من خلال نظرية الفوضى إلى تفسير الانحراف المتصاعد بين المسار المتوقع من ناحية، والمسار الواقعيّ من ناحية أخرى؛ بهدف التدخل؛ للحيلولة دون بلوغ النتيجة غير المرغوب فيها التي ستنجم عن إطار المسار الواقعيّ (سميث،٢٠١٦: ص.ص ٢٢-٤٣).

٧ –نظرية الفوضى الخلاقة.

يختلف فكر نظرية "الفوضى الخلاقة" اختلافًا تامًا عن فكر نظرية "البناء الفوضويّ"، بيد أن ما يجب توضيحه أن نتاج نظرية "البناء الفوضويّ" والحيد عن مسار البناء الطبيعيّ المرغوب فيه من شأنه أن يفضي إلى الاستدعاء التطبيقيّ لفكر نظرية "الفوضى الخلاقة". وبصفة عامة تقوم نظرية "الفوضي الخلاقة" فى المقام الأول إلى استهداف تغرات ومفاصل التغير، والتغيير على مستوى المجتمعات فى أطر

جغرافية معينة، كونها المداخل الأسهل التى يمكن أن توجهها وتسيطر عليها. وتعتبر هذه النظرية أحد النظريات التى انتجتها مراكز الأبحاث المتخصصة الغربية وتحديدًا، وتعتمد ديناميكية الفعل فى نظرية "الفوضي الخلاقة" على تأسيس ثنائية تعرف بـ "**ثنائية الفعل والتركيب**" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكلين رقم الشكلين رقم (٣)، و(٤).

٧ – الوسط الطبيعيّ.

عبارة عن إطار مكانيّ يقتصر تحديده بناءً على مجموعة من الخصائص الطبيعيّة، ويتسم بقدرات تنظيمية ذاتية.

٨ –الوسط البيئيّ.

عبارة عن إطار مكانيّ محدد يتصف بخصائص طبيعيّة ذاتية وفق مجموعة من العلاقات المتبادلة بين خصائص هذا الإطار ينتهي أمرها إلى نسق المنظومة الواحدة.

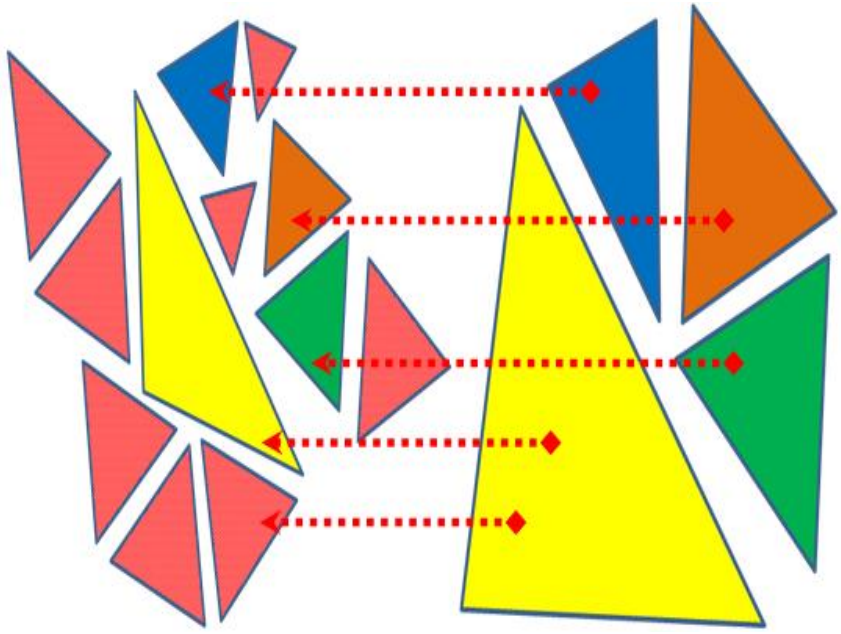

المصدر: الشكل من عمل الباحث.

شكل رقم (٣): بنية الواقع الحاليّ شكل رقم (٤): التركيب الفوضويّ الخلاق

٩ – الأحيزة الجغرافيّة.

الأحيزة الجغرافيّة ومفردها حيز، وهو –في مجمله– إطار مكانيّ محدد، يتصف بمجموعة من العلاقات المجتمعيّة التشاركية خلال زمن معين، تعكس قدرة المجتمع التنظيمية داخل هذا الإطار. وغالبًا ما يكون هذا الحيز الكل المجتمعيّ الأصيل من الوسط المكانيّ الممتد، أو الجزء المتأصل من الوسط البيئيّ المنظوميّ؛ ومن ثم فالحيز الجغرافيّ صنيعة المجتمع في زمن محدد داخل الوسط البيئيّ أو الطبيعيّ في ذات الزمن، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٥).

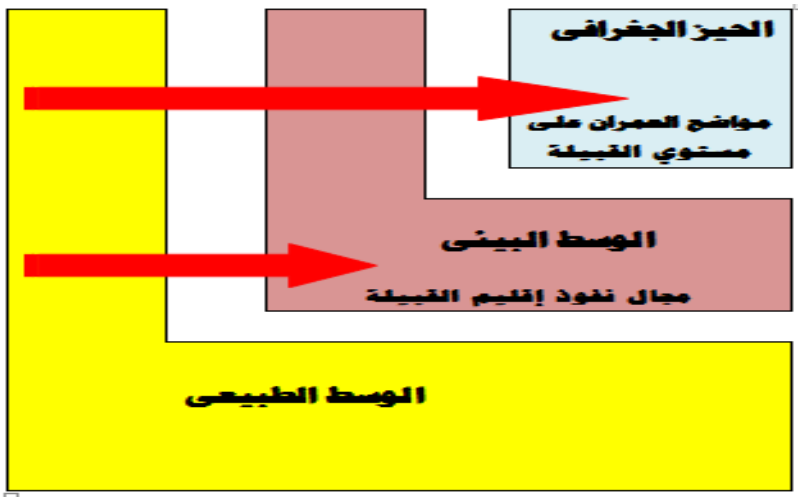

المصدر: الشكل من عمل الباحث.

شكل رقم (٥): العلاقة التشاركية بين الوسط الطبيعيّ والوسط البيئيّ والحيز الجغرافيّ

منطقة الدراسة وزمنيتها:

صنوان وغير صنوان. هي العبارة الدقيقة التي تُعبر عن الحالة بين النخلات التي يجمعهن أصل واحد وبين النخلة المنفردة بأصلها. والحقيقة أن مضمون هذه العبارة يُعبر –بشكل ضمنيّ– عن المكون المجتمعيّ الذي استظل بكلمة واحدة بعد العديد من التغيرات التراكميّة، فانتهى اسمه إلى "العرب"[١]. وسواء أ كانوا يجمعهم أصل

[١] وذلك على نحو ما سيتضح من خلال المحور الأول في هذه الدراسة.

واحد أم كانوا منفردين، فجميعهم قد صبغوا أمكنتهم بظلال أساميهم بوصفها دلالة ثقافية وبوصفها وظيفة اقتصاديّة. وبصدد تحديد إطار أمكنتهم التي تمثل هنا منطقة الدراسة، كان من المهم جدًا التمييز بين أمرين مرتبطين (الأول): يرتبط بحدود عمومية أمكنتهم و(الثاني) يرتبط بأقسام تلك العمومية؛ كونها تحمل -بين طياتها- كثيرًا من الدلالات الحضاريّة. واعتمادًا على العديد من الأشكال الخرائطية التاريخيّة، واعتمادًا على (٦) منها تحديدًا وذلك على نحو ما يتضح من خلال الجدول رقم (١)

جدول رقم (١): مصادر الخرائط التاريخية الرئيسة

م	سنة النشر	اسم الكارتوجرافي	عنوان الخريطة
١	١٥٧٨	ريبجني	Arabiam felicem
٢	١٥٩٨	جودكوس	Arabia
٣	١٦٥٤	بير مأربييت	Carte des trois Arabies
٤	١٧٢٠	كرافت ويكلم	Arabiae
٥	١٧٧١	بوني	Carte de l Arabie
٦	١٧٩٤	بورغينيون دانفيل	A New Map of Arabia
٧	١٨٢٤	جيمس ويلد	Arabia

والأشكال رقم (٦)، و(٧)، و(٨)، و(٩)، و(١٠)، و(١١). وعلى الرغم من كونها خرائط تُنسب إلى زمنية تبدأ من عام (١٥٧٨م) إلى عام (١٧٢٠م) فإنها تمثل مجموعة من المعرفة التراكميّة المختزلة طبقة تاريخيّة فوق أخرى؛ ولذلك فهذه الخرائط (٦) تختزل بين ثناياها بعضًا من معرفة الأقدمين من المؤرخين كـ "هيرودوت (٤٨٤-٤٢٥ق.م) ، و"ديودور الصقليّ (٩٥-٣٥ق.م) ، و"بليني الأكبر" (٢٣-٧٩م)، و"هيروكليز" (٥٣٥م)، وجورج القبرصيّ" (٦٠٦م) وكذلك تختزل بعضًا من معرفة الأقدمين من الجغرافيّين كـ "سيلاكس دوكارياندا" (٣٥٠ق.م)، و"سترابون" (٦٤-١٩ق.م) (سترابون، ٢٠٠٣)، و"كلاوديوس بطليموس" (٩٠-

١٦٨م) (كلاوديوس بطليموس، ٢٠٠٤). وبناءً على جملة من المعرفة التراكميّة يمكن تحديد منطقة "العرب" وأقسامها على ضوء ما يأتي:

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (٦): ديار العربيّة رسمها ريجينى في عام (١٥٧٨م)

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (٧): ديار العربيّة رسمها جودكوس في عام (١٥٩٨م)

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (٨): ديار العربيّة رسمها بير مأربييت في عام (١٦٥٤م)

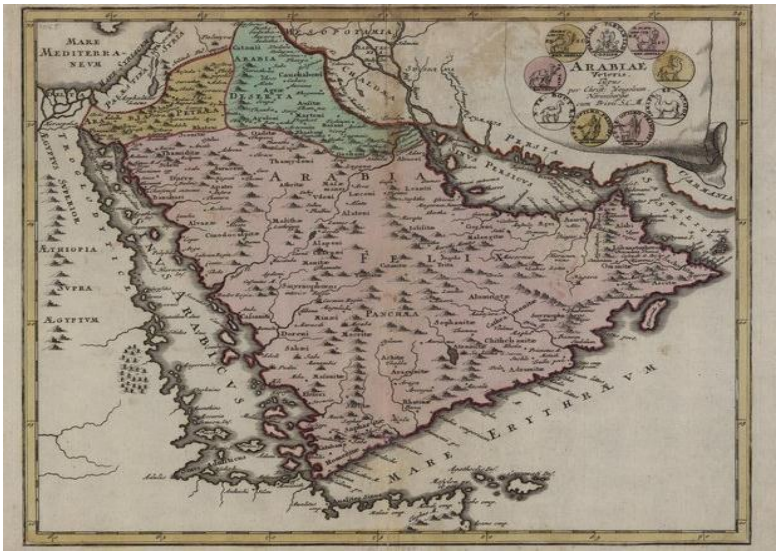

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (٩): ديار العربيّة رسمها كرافت ويكلم في عام (١٧٢٠م)

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (١٠): ديار العربيّة رسمها بوني في عام (١٧٧١م)

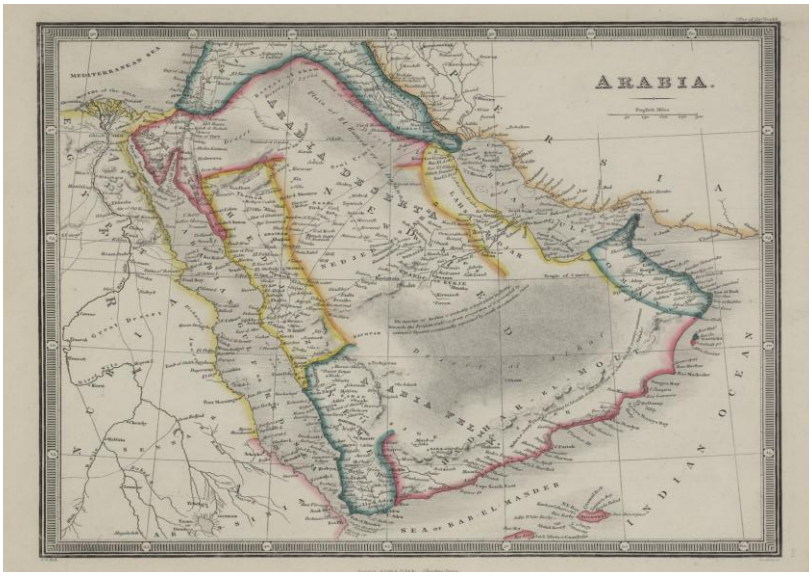

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (١١): ديار العربيّة رسمها بورغينيون دانفيل في عام (١٧٩٤م)

١ –تحديد عمومية منطقة الدراسة (منطقة ديار العربيّة).

الحد الجنوبيّ: يبدأ هذا الحد من الغرب حيث "بحر ربرم" وهو ما يُعرف بمضيق "باب المندب" حيث المدخل الجنوبيّ في "البحر الأحمر" حاليًا، مرورًا بـ "البحر الإريتريّ"[١] وهو ما يُعرف بـ "خليج عدن" حاليًا انتهاءً في الشرق حيث خليج "سخاليته" وهي المنطقة المائية المحصورة الآن بين "عُمان"، وبين "حضرموت".

الحد الشرقيّ: يبدأ من نهاية خليج "سخاليته" ويتجه شمالًا بغرب في ظل عمومية اسم كان يُطلق عليه "البحر الأسفل"، أو "بحر الشروق" أو حتى "الخليج الفارسيّ" إلى أن ينتهي إلى جزيرة "فليكة" حيث الكويت ومن بعدها "شط العرب" تحديدًا.

الحد الغربيّ: ويبدأ من "بحر ربرم" في مدخل "البحر الأحمر" حاليًا ليستمر في اتجاه الشمال والشمال الغربيّ؛ ليشتمل المناطق الساحلية كافة التي تطل على ما كان يُعرف بـ "الخليج العربيّ" أو "بحر القلزم". أما فيما يتعلق بنهاية هذا الحد فكانت رأس "خليج أيلة" أو ما يُعرف بـ "خليج العقبة" حاليًا[٢].

الحد الشماليّ: ويبدأ غربًا من رأس "خليج أيلة" حيث خليج "العقبة" حاليًا، وينتهي شرقًا في منطقة "شط العرب" حاليًا في شكل قوس تمتد قاعدته المحدبة مع جنوبيّ ما يُعرف الآن بـ"بادية الشام" في "سوريا" تحديدًا و"بادية السماوة" شماليّ شرقيّ "بلاد الرافدين"[٣].

---

[١] ليس هناك علاقة مكانية بين هذا الاسم وبين دولة "إريتريا" حاليًا.

[٢] قد يبدو أن ثمة اضطرابًا لدى بعض الباحثين حول نهاية هذا الحد، فهل هو نهاية "خليج أيلة" أم "خليج القلزم" وذلك على نحو ما يبدو من الشكل رقم (٥). والحقيقة أن هذا الأمر مرده معرفة تراكمية غير دقيقة نجمت عن العديد من الخرائط التاريخيّة التي تلت الخريطة التاريخيّة التي رُسمت في عام (١٥٧٨م) وهذا أمر يحتاج إلى العديد من الدراسات لإيضاحه.

[٣] استقر كل من "بطلميوس"(بطليموس، ٢٠٠٤)، و"بروكوبيس"، و"ياقوت الحمويّ" (الحمويّ، ١٩٥٧)، و"ابن حوقل" (ابن حوقل، ١٩٣٨)، و"الإدريسيّ" (الإدريسيّ،١٩٩٤) على أن بداية الحدود الشمالية لـ"ديار العربية" تبدأ من محلة "آيلة"، وومن بعدها محلة "حقل"، ثم تتجه نحو الشمال الشرقيّ؛ حتى إقليم جبل "الشراه" الذي يفصل سفحه الجنوبيّ بين "بلاد العرب" جنوبًا وبين "بادية الشام" شمالًا .

وفي إطار هذه الحدود كانت عمومية انتشار الأوعية الحضاريّة خلال الفترة من القرن (الثالث عشر ق.م) إلى بداية القرن (السابع م) في منطقة اتخذت من اسم "ديار العربيّة" عنوانها المستقر.

٢ –أقسام منطقة الدراسة:

اعتمادًا على الشكلين رقم (٦)، و(٧) اللذين يختزلان معرفة تمتد زمنية أصوليتها إلى "الإغريق" ومن بعدهم "الرومان"؛ تتكون منطقة الدراسة من ثلاثة أقسام رئيسة، تتمثل فيما يأتي:

ديار العربيّة السعيدة: وتمثل الجزء الأكبر في عمومية "ديار العربيّة"، ولقد شهدت منطقتها الجنوبيّة العديد من الأوعية الحضاريّة التي تعد الركن الركين في هذه الدراسة؛ ولاسيما "الإطار الحضاريّ الحميريّ" الذي يعد معضلة الدراسة وأحد ركائز جغرافيّاتها السياسيّة وأهم مدخلات حيويتها الجيوبوليتيكية.

ديار العربيّة الصحروايّة: وتشتمل على منطقة "بادية السماوة" شرقًا؛ حيث "بلاد الرافدين" إلى مقدمات مرتفعات شماليّ "الأردن" حاليًا، ولقد شهدت هذه الديار حضارة "المناذرة".

ديار العربيّة الصخرية" وتبدأ من مقدمات مرتفعات شماليّ "الأردن" حاليًا، وتنتهي عند رأس "خليج أيلة"؛ حيث "خليج العقبة" حاليًا، ولقد شهدت هذه الديار حضارة "الغساسنة".

وبذلك تكونت "ديار العربيّة" خلال زمنية الدراسة من ثلاثة أقسام في إطار صنوان اختلفت أوعيته الحضاريّة؛ فانتهى إلى غير صنوان.

أهداف الدراسة:

قد يُظن أن القيمة تكمن في الكيفية التي من خلالها تمكن المجتمع من اتخاذ بنيته الخاصة وشكل كيانه الأصيل في أثناء سعيه التعايشيّ في وسطه البيئيّ،

ونجاحه بعد ذلك في تغيير جزء منه إلى حيز جغرافيّ. بيد أن القيمة هنا لا تكمن في محاولة التعرف إلى الروافد أو العوامل التي أثرت في بنية المجتمع وشكل كيانه الأصيل إنما تكمن في الكيفية التي استطاع من خلالها أن يتخذ المجتمع بنيته الخاصة وشكله الأصيل. وفي إطار ذلك تهدف الدراسة إلى ما يأتي:

١ –تحري مدخلات القيمة في "ديار العربيّة" والخروج بها من الظاهر المعلن الذي كان يتمثل في الطيوب وأنواع التوابل ومن بعدهما الغنى – فهذا كله مخرجات نتاج –إلى مضمون الباطن الذي كانت تنطوي عليه.

٢ –محاولة الاستفادة من مضمون القيمة في تاريخيّة "ديار العربيّة" بِاْنْتِقَاء رؤية تنمويّة من شأنها أن تُسهم في وحدة بلدان "ديار العربيّة" ومن بعدها بلدان "العالم العربيّ".

٣– محاولة تحري رؤية جيوسياسيّة موحدة من شأنها أن تُسهم في التصدي إلى نتاج "البناء الفوضويّ" وكذلك مخرجات "التخليق الفوضويّ" في ظل أبعاد الرهان العالميّ حاليًا.

فرضيات الدراسة:

تمثل الفرضيات أحد المدخلات الرئيسة في عملية إعادة البناء التي تعد جوهر الجغرافيا التاريخيّة. وبصدد عملية ثبوتها في الدراسة فسيعتمد ذلك على الاستدلال البنائيّ من دون الإحصاء الوصفيّ. وفي إطار ذلك جاءت فرضيات الدراسة على نحو ما يأتي:

١ –مؤرست على "ديار العربيّة السعيدة" –بعدّها الركن في عمومية "ديار العربيّة"– العديد من المحاولات الإقليميّة والدولية التي سعت إلى مشاركتها في سيادتها الحضاريّة ومن بعدها التجاريّة.

٢ –جلبت حالات عدم التوازن في العلاقات بين الأوعية الحضاريّة على مستوى "ديار العربيّة" العديد من التدخلات الإقليميّة والعالميّة؛ سعيًا إلى نصرة أحد الأوعية الحضاريّة على وعاء آخر.

٣- شهدت الأوعية الحضاريّة على مستوى عمومية "ديار العربيّة" العديد من ظلال البناء الفوضويّ، كما كانت جزءًا من رهان "الفوضى الخلاقة" العالميّة خلال فترة الدراسة.

الدراسات السابقة:

تتعدد الدراسات التي ترتبط بتاريخيّة منطقة الدراسة، أو ما يُطلق عليها "شبه الجزيرة العربيّة" أو حتى "الجزيرة العربيّة". والحقيقة أن هذه الدراسات تكاد تشتمل على فتراتها الزمنيّة كافة التي مرت بها. ولعل من هذه الدراسات ما بلغ مستوى الموسوعات، ولعل من أشهرها ما جاء تحت اسم "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ويتكون من (٩) مجلدات كادت تغطي الخصائص كافة التي كان عليها العرب. والحقيقة، وفي خضم هذا التنوع أسهمت أهداف الدراسة وكذلك زمنيتها في تحديد اتجاه ما يجب الاطلاع عليه من دراسات سابقة التي يمكن أن تُسهم في إعادة البناء. وفي إطار ذلك فإن الدراسات التي تم الاطلاع عليها تتمثل فيما يأتي:

١-دراسة "عبد العزيز الدوري" في عام (١٩٦٠).

جاءت تحت عنوان "مقدمة في تاريخ صدر الإسلام". وتكمن مدخلات القيمة في هذه الدراسة في أنها ترتبط بالمحصلة النهائيّة التي آلت إليها نتائج تاريخيّة "العرب" في إطار تراكميّ؛ حتى أضحت واقعًا في بداية القرن (السابع م) من ناحية، ودورها التأثيريّ بعد ذلك من ناحية أخرى. ولعل من أهم الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسة ما يتعلق بتطور المجتمع العربيّ في صدر الإسلام.

٢-دراسة لطفي عبد الوهاب في عام (١٩٦٨).

وجاءت تحت عنوان "العرب في العصور القديمة"، وتعد الدراسة -في مجملها- رؤية تتصف بشموليّة تحليل العديد من الخصائص التي هانت عليها "ديار العربيّة" قبل فترة ظهور الإسلام، ولعل من أهم الموضوعات التي تناولتها هذه

الدراسة ما يتعلق بخصائص المجتمع على مستوى عمومية "ديار العربيّة" في عصورها القديمة.

٣-دراسة "والترف مولر" في عام (١٩٧٩).

وجاءت تحت عنوان "البخور العربيّ في التاريخ القديم كما جاء في الكتابات الكلاسكية". وتكمن أهمية الدراسة في توضيح أن التوابل ومنها تحديدًا "اللبان" تمثل أحد روافد مدخلات القيمة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ نظرًا لأهميته عند الإغريق بداية من القرن (السادس ق.م).

٤-دراسة "طلعت أحمد عبدة" في عام (١٩٨٨).

وجاءت تحت عنوان "الجغرافيا التاريخيّة لشبه الجزيرة العربيّة في عصور ما قبل التاريخ". وتتصف هذه الدراسة بتعدد موضوعاتها الطبيعيّة والبشرية، ولعل من أهم الموضوعات التي تناولتها ما جاء تحت عنوان "الاتصالات الحضاريّة بين شبه الجزيرة العرب والحضارات المجاورة لها".

٥-دراسة "محمج عبودي" في عام (١٩٩٢).

جاءت تحت عنوان "إسترابون يتحدث عن حملة إيليوس جاللوس على بلاد العرب". ولعل من أهم النقاط التي جاءت بهذه الدراسة تلك التي تتعلق بتضارب أهداف هذه الحملة، وكذلك عدم معلومية نتائجها العسكرية والتي غالبًا باءت بالفشل.

٦-دراسة "عبد العزيز صالح" في عام (١٩٩٨).

جاءت تحت عنوان "تاريخ شبه الجزيرة العربيّة". ولعل أهم ما يميز هذه الدراسة أنها تناولت حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" في إطار من البناء الذاتيّ الذي لم تطغَ خصوصيته على علاقاته الخارجية مع الحضارات الأخرى (المجاورة). وإلى جانب ذلك تناولت الدراسة العديد من الحضارات على مستوى عمومية "ديار العربيّة".

٧-دراسة "ماجدة النويعمي" في عام (٢٠١٠).

جاءت تحت عنوان "الشعر الرومانيّ مصدرًا لتاريخ الجزيرة العربيّة". وتعد هذه الدراسة منحى مختلفًا عن الدراسات السابقة من حيث مصادرها التي اعتمدت عليها، ليس هذا فحسب، بل إن كثيرًا من مصادر هذه الدراسة تم إخضاعه للنقد؛ بهدف محاولة تحري المعرفة التي يمكن من خلالها إيضاح ما كانت عليه خصائص "ديار العربيّة" خلال فترة زمنية محددة. والحقيقة أن هذه الدراسة كان لها دور في الوقوف على معرفة ما ينبغي أن تكون عليه قواعد النقد عندما يرتبط الأمر بالأحداث التاريخيّة.

٨-دراسة "هتون بنت أحمد الفارسيّ" في عام (٢٠١٣).

جاءت تحت عنوان "الجزيرة العربيّة بين إسترابون وبليني قراءة في المصادر الكلاسيكية". والحقيقة أن مخرجات القيمة في هذه الدراسة متعددة، فإلى جانب تراجمها العربيّة فلقد جاءت لتتحرى الثبت التاريخيّ في إطار من المقارنة الثنائية بين كل من "إسترابون" من ناحية، و"بليني" من ناحية أخرى. وعلى الرغم من كونهما في فترتين مختلفتين، فإن مخرجات القيمة هنا أسهمت في تحري مستوى المصداقية في الأحداث التي ترتبط بتاريخيّة "ديار العربيّة".

وإلى جانب ما سبق، هناك العديد من الدراسات التاريخيّة التي تم الاطلاع عليها، وتمثل أحد روافد المعرفة في هذه الدراسة. ولعل أهم ما يمكن ملاحظته بصدد الدراسات السابقة أنها اقتربت كثيرًا من المصادر الثبوتية، وهنا البواعث التي تكمن فيها القيمة.

مصادر الدراسة وخطواتها:

سعيًا إلى تحقيق أهداف الدراسة في إطار من الثبوت التاريخيّة، أُعتمد على روافد مختلفة وجميعها يندرج تحت المصادر غير المباشرة، ويمكن التعرف إليها على ضوء ما يأتي:

١-القرآن الكريم.

نزل القرآن؛ ليؤكد حقيقة ما كان قائمًا سواء أ كان ذلك بإقراره والعمل به أم كان بنفيه وتركه. وعلى ضوء ذلك أشارت بعض من الآيات الكريمات إلى مجموعة من الأحداث ارتبطت بما شهدته بعض المناطق على مستوى عمومية "ديار العربيّة" من خصائص مجتمعيّة، واقتصاديّة، وسياسيّة. وبناءً على ذلك استدلّت الدراسة ببعض من الآيات الكريمات تمثلت فيما ينطوي عليه الجدول رقم (٢).

الجدول رقم (٢): مواضع الآيات الكريمات التي استدلّت بها الدراسة

م	رقم السورة	اسم السورة	البيان	الآيات
١	(٢٧)	النمل	مكية	من الآية (١٥) إلى الآية (٢٥)
٢	(٣٤)	سبأ	مكية	(١٥)/(١٦)/(١٨)
٣	(٨٥)	البروج	مكية	من الآية (٤) إلى الآية (١٩)
٤	(١٠٥)	الفيل	مكية	من الآية (١) إلى الآية (٥)
٥	(١٠٦)	قريش	مكية	من الآية (١) إلى الآية (٤)

٢ -رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اعتمدت الدراسة على إحدى رسائل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتحديدًا رسالته إلى "الحارث بن شمر" الأمير الأخير في دولة "الغساسنة" والذي أسلم في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب".

٣ -المؤرخون.

فى الحقيقة، عندما يتعلق الأمر بالمؤرخين أو الجغرافيّين الكلاسكيّين فإنه تم الاعتماد على أعمالهم من خلال ما تم ترجمته من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربيّة، وتحديدًا ما قام بترجمته كل من "وهيب كامل"، و"محمد خفاجة"، و"محمد الدويب"، ومحمد العبودي".

وبناءً على تلك التراجم من ناحية، ومخرجاتها وتحديدًا عند كل من "لطفي عبد الوهاب"، و"جواد عليّ"، و"عبد العزيز صالح"، و"ماجدة النويعمي" من ناحية أخرى يمكن القول: إن هناك العديد من الإشارات تضمنتها كتب المؤرخين ويؤرخ لها نسبة إلى القرن (التاسع ق.م). ولعل من هذه الإشارات ما جاء بملحمة "الأوديسية"

المنسوبة إلى "هوميروس" **"Homeros"** الذي اعتمد في شعره على تراث يونانيّ يُنسب إلى أواسط القرن (التاسع ق.م)، وما جاء بأشعار "هزيودوس" **"Hesidos"**. وبمدخلات هذه الإشارات وبالمزيد من الأسفار، تكون لدى المؤرخين بداية من القرن (الخامس ق.م) بعض من المعرفة عن "ديار العربيّة" وفيما يأتي بعض منها.

✓ **"هيرودوت" "Herodot" (٤٨٤-٤٢٥ ق.م).**

أورد "هيرودوت" الكثير من الإشارات عن بعض خصائص "ديار العربيّة" كعاداتهم، وتقاليدهم، وعقائدهم الدينية، وملابسهم. وبصدد منتجاتهم من "التوابل" وتحديدًا "المر"، و"القصيعة"، و"القرفة"، و"اللادن، و"المستكة" فلقد أفند لها الكثير من الإشارات كما أوضح دور "الفينيقيين" في حملها إلى الموانئ "الإغريقية".

✓ **"اجاثارخيديس" "Agatharchides" القرن (الثاني ق.م).**

عُرف بـ"الطواف" وكان من المهتمين بالرحلات البحرية. ولقد حملت كتاباته العديد من الإشارات التي ترتبط بـ "ديار العربيّة" وتحديدًا منتجاتها من أنواع الطيوب والتوابل. ولعل من الأمور التي اهتم بتوضيحها هي حالة الثراء والبذخ التي كان يتصف بها "الوعاء الحضاريّ السبئيّ".

✓ **"أرتميدوروس" "Artemidoros" القرن (الثاني ق.م).**

تتعدد الإشارات التي تضمنتها كتابات "أرتميدوروس" عن "ديار العربيّة"، بل إن كثيرًا منها شمل المزيد من التفاصيل التي ارتبطت بطرق التجارة من الجنوب إلى الشمال. ولعل من الأمور المهمة التي تضمنتها هذه الإشارات ما يرتبط بالكيفية التأمينية التي كانت تنتقل بها المنتجات من منطقة إلى أخرى داخل "ديار العربيّة". وفي حقيقة الأمر- وبلا أدنى شك- فإن تلك الكيفية من المفترض أن يُنظر إليها بعدّها جوهر القيمة في "ديار العربيّة" ومضمونها: **أن منتجات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" كانت تُنقل على الطرق إلى "ديار العربيّة الصحراوية"، و"ديار العربيّة الصخرية" في إطار من التسليم والتسلم بين مناطق نفوذ القبائل وبعضها بعضهم.**

وقد يُظن أن ذلك أمرٌ غير ذي بال بيد أنه كل البال، وكل الأهمية، وكل القيمة. بل إن كل عوامل النجاح تكمن في هذا الأمر الذي من دونه ولولاه لتعثر الانتقال وفشل الترحال من مكان إلى آخر في ظل صحراء تتصف بقحولتها؛ ومن ثم كانت منتجات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" تنتقل إلى عمومية الشمال بشرعية نفوذ القبائل في أطرها المكانيّة، ولعل ذلك ما سيتم إيضاحه من خلال المحور الأول. ولمزيد من التأكيد فإن "ديار العربيّة" بناءً على ما أورده"أرتميدوروس" كانت أقرب ما يكون إلى شبكة من العلاقات الارتباطية لا بفاعلية الطرق إنما بفاعلية أطر نفوذ القبائل التي يمكن التعبير عنها من خلال الشكل رقم (١٢)

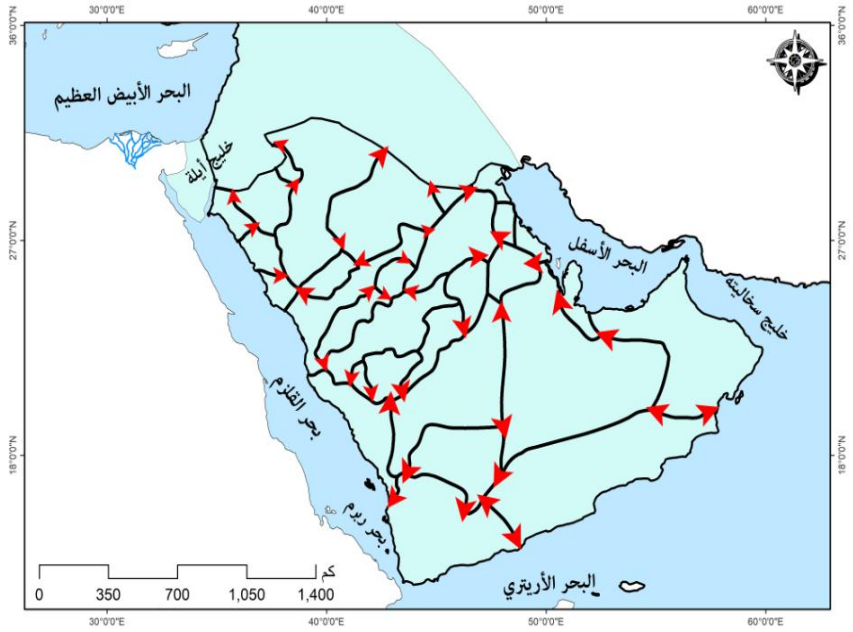

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (١٢): أطر النفوذ الإفتراضية على مستوى قبائل ديار العربيّة [١]

✓ "**بلينيوس**" "**Plinius**" **الأكبر**" (**٢٣ – ٧٩م**) [١].

[١] هذه الأطر أقرب ما يكون إلى أطر توزيع القبائل في منتصف القرن (التاسع عشر م).
[١] عُرف بـ"بلينيّ الأكبر ؛" تمييزًا له عن ابن أخيه الأصغر ، وهو مؤرخ لاتينيّ يظن أنه ولد في مدينة "**Novum Comum**" في "غاليا" عام (٢٣م).

عمل "بليني" أو "بلينيوس" بالجيش الرومانيّ، وكان أحد قواده في شماليّ "إفريقيا"، وكان شغوفًا بالمعرفة، وقد أتاحت له وظيفته الإلمام بخصائص العديد من أماكن خدمته. وتعد "ديار العربيّة" من المناطق التي تحدث عنها في كتابه" التاريخ الطبيعيّ"، الذي يتكون من (سبعة وثلاثين). ولقد ترجم "محمد الدويب" ما يختص بـ"ديار العربيّة" في هذه الموسوعة وتحديدًا ما جاء في الكتاب (الرابع)، والكتاب (الثاني عشر). وعلى ضوء هذه التراجم فإن الملاحظ اهتمام "بليني" بكل ما يتعلق بأنواع الطيوب والتوابل التي كانت تعد أهم منتجات الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" وكذلك اهتمامه بأشجارها وبسطوة تاجريها (الفاسي، ٢٠١٣: ٦٢).

✓ "**فلافيوس جوزيفوس**" **"Flavius Josephus" القرن (٣٨-١٠٠م).**

لم يكتب "فلافيوس" عن "العرب" أو ديارهم بصورة مباشرة إنما جاءت إشارته عن "العرب" من خلال كتاباته عن "اليهود" وعن حروبهم ضد "الرومان". وبذلك يمكن القول: إن إشارته تلك كانت تتضمن –في المقام الأول– "العرب" الذين يقطنون في "ديار العربيّة الصحراوية" أو حتى "ديار العربيّة الصخرية" في شماليّ عمومية "ديار العربيّة".

✓ "**يوسيبيوس**" **"Eusebios" (القرن الرابع م).**

تضمن مؤلفاه "الحوليات" و"تاريخ الكنيسة" بعض الإشارات عن "ديار العربيّة الصحراوية" التي تقع جنوبيّ "سوريا" حاليًا. وفي حقيقة الأمر فإن جميع إشارته تندرج تحت إطار العلاقة بين "العرب" من ناحية، وبين انتشار الدين المسيحيّ من ناحية أخرى.

✓ "**أميانوس ماركلينوس**" **"Ammianus Marcellinus" القرن (الرابع م).**

الحقيقة أن قيمة إشارات "أميانوس" عن "العرب" لا تكمن في كثرتها بقدر ما تكمن في إيضاح الشجاعة التي كان يتصف بها "العرب" ودورهم في مساندة

الجيش الرومانيّ في أثناء هزيمته في إحدى المعارك في أثناء الدفاع عن "القسطنطينية". ولعل ما يسترعي الانتباه أن هذه الشجاعة لم تكن مكتسبة من الإطار الجمعيّ الذي كان عليه "العرب" آنذاك أو حتى "الرومان"، بل إنها شجاعة ذاتية كان يتصف بها كل عربيّ في سبيل نصرة من يظن أنه يحتاج إلى المساعدة.

✓ **"بروكبيوس" "Prokopios" القرن (السادس م).**

تعددت كتاباته التي تضمنت العديد من الإشارات عن "العرب". ويعد كتابه الذي جاء تحت عنوان "عن الحروب" أهم هذه الكتب. ويتكون الكتاب من (٨) أجزاء وردت الإشارات المهمة فيه عن "العرب" في الكتابين (الأول)، و(الثاني). وفي حقيقة الأمر تكمن أهمية إشارته عن "العرب" في هذين الكتابين تحديدًا في توضيح العلاقة بين المعسكرين الكبيرين آنذاك "الفارسيّ" شرقًا و"الرومانيّ" غربًا. وفي عبارة ثانية العلاقة بين المعسكرين الكبيرين من ناحية، وبين "المناذرة" و"الغساسنة" من ناحية أخرى. وفي عبارة ثالثة العلاقة بين المعسكر الشرقيّ "الفارسيّ" والمناذرة" من ناحية، وبين المعسكر الغربيّ "الرومانيّ" و"الغساسنة" من ناحية أخرى. وتستحق عملية فهم هذه العلاقة العديد من الدراسات؛ للخروج منها بما يمكن الاستفادة منه ويخص الحاضر.

وفي إطار ما سبق، وفي عبارة محددة، يمكن القول: إن "ديار العربيّة" وردت إشارات المؤرخين عنها على ضوء نقاط محددة أكثرها تتعلق بالغنى، والثروة، وأنواع الطيوب، والتوابل، وطرق التجارة، أما أقلها فلقد تعلق بمحاولة غزوها عسكريًا. ولعل ذلك ما أكدته –أيضًا– "النويعمي" وخلصت إليه بطريقة غير مباشرة عندما حاولت تقسيم الموضوعات التي ناقشها الشعراء "الرومان" فيما يرتبط بـ"ديار العربيّة" (النويعمي،٢٠١٠ : ص٥٩). وفي جملة واحدة فإن الأقدمين من المؤرخين نظروا إلى قيمة "العرب" بعدّهم النتيجة النهائيّة لمخرجات الثروة، والطيوب، والتوابل.

٤ –الجغرافيّون الكلاسيكيون.

يمكن القول: إن الإشارات إلى "العرب" عند الجغرافيّين الكلاسكيين تتصف بتعددها، وفي إطار هذا التعدد يمكن التعرف إلى بعضها على ضوء ما يأتي:

✓ "**إرتوستنيس**" **"Eratosthenes"** (**٢٧٥-١٩٤ ق.م**).

تتدرج إشارات "إرتوستنيس" عن "ديار العربيّة" في إطار الأبعاد الاقتصاديّة؛ حيث قسم هذه الديار تبعًا لذلك إلى "بلاد العربيّة الصحروايّة"، و"بلاد العربيّة الميمونة". ولعل من الأمور المهمة في إشارته تحديده للخط الذي يفصل بينهما؛ حيث يبدأ من "هيروى" **"Heroe"** بالقرب من ميناء "السويس" حاليًا (عبد الوهاب،١٩٦٨: ص١٦٧) وينتهي عند "بابل" وتحديدًا إلى الجنوب منها عند منطقة "شط العرب" حاليًا. والحقيقة فالظن أن "هيروى" التي كان يقصدها "إرتوستنيس" لم تكن بالقرب من ميناء "السويس" حاليًا، بل كانت إحدى المناطق التي تقع غربيّ "ديار العربيّة" وتحديدًا بالقرب من مدينة "ضبا" السعودية حاليًا، ويعد الشكل رقم (١٣) هو الأقرب إلى التقسيم الذي كان يعنيه "إرتوستنيس". وتكمن قيمة الإشارات التي أفندها "إرتوستنيس" عن "ديار العربيّة" في أنها أسهمت -ببعض منها- في فهم مشكلة الدراسة وتحديدًا عند إشارته إلى الأقوام الأربعة الرئيسة (الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة) التي كانت توجد في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" وهم "المعينيّون"، و"السبئيون"، و"القتبانيون"، و"الحضارمة" وذلك في إطار زمن واحد أو على الأقل في زمن متقارب. "**سترابون**" **"Strabo"** (**٦٤-١٩ ق.م**).

استفاضت شهرة "سترابون" بوصفه جغرافيّا أكثر من كونه مؤرخًا، ويمكن القول: إنه بدأ مؤرخًا وانتهى جغرافيّا، قام برحلات عدة في إطار مجال نفوذ "الإمبراطورية الرومانيّة"؛ حتى إنه زار "مصر" ومكث بها (٥) أعوام، من المرجح

المصدر :مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية).

شكل رقم (١٣): ديار العربيّة رسمها جيمس ويلد في عام (١٨٢٤م)

أنها تنتهي في عام (٢٥ ق.م)، ويُظن أنه كان بمنزلة عين راصدة لنظامه والأقرب إلى العولمة المبكرة بعد استيلاد فكرة "الحضارة العامة" التي نادى بها "ديودور الصقليّ" (٩٥-٣٥ق.م)، وتحديدًا في عام (٦٠ ق.م). وتعد موسوعة سترابون " التاريخ الجغرافيّ " من أهم ما كتبه، وهي مقسمة إلى (سبعة عشر) كتابًا، ولقد خصص الجزء (السادس عشر) لدراسة "بلاد النهرين"، و"سوريا"، و"فينيقيا"، و"فلسطين"، و"الخليج الفارسيّ"، و"البحر الأحمر"، و"سواحل الصومال"، و"بلاد العربيّة". وفيما يختص بإشارته عن "بلاد العربيّة" فلقد ارتبطت في -المقام الأول- بطرق التجارة والأماكن التي كانت تمر بها في "ديار العربيّة". وإضافة إلى ذلك فإن ما كتبه عن الحملة التي قادها "إيليوس جالوس" إلى "ديار العربيّة" في عهد الإمبراطور "أوغسطس" تعد من الدراسات التفصيلية التي تناولت خط سيرها، وكذلك من الدراسات التفصيلية التي تناولت أخطاءها التي انتهت بها إلى الفشل.

✓ **"كلاوديوس بطليموس" (٩٠-١٦٨م).**

"كلاوديوس بطليموس"، أو "بطليموس الجغرافيّ"، أو "بطليموس الحكيم"، ولد بمصر واشتهر "بالإسكندرية"، وزاد نشاطه فيها من عام (١٢٧م) إلى عام (١٤٨م)، وله مؤلفات عدة، منها ما يعرف عند العرب "بالمجسطيّ"، ويعنى بحركة الأجرام السماوية، إلا أن أبرز مؤلفاته كتاب "الدليل الجغرافيّ " الذي يعرف لدى الجغرافيّين باسم "الجغرافيا "، والظن أن هذا الكتاب ما هو إلا نتاج – وبدقة تتويج – للمعرفة العالميّة أو الحضارة العامة التي ألمح إليها "ديودور الصقليّ"، وأكدها "سترابون" في إطار "الإمبراطورية الرومانيّة". والكتاب ينقسم إلى (ثمانية) أقسام فرعية. وفيما يتعلق بـ "ديار العربيّة" فيها فإن أبرز إشارته تلك التي ترتبط بتقسيمها إلى (ثلاثة) أقسام، حيث أضاف قسمًا ثالثًا إلى تقسيم "إرتوستنيس" لـ "ديار العربيّة" خلال القرن (الثالث ق.م) وبذلك أصبحت تتكون عند "كلاوديوس بطليموس" من ثلاثة أقسام هي: "**العربيّة الصحراوية**"، و"**العربيّة الصخرية**"، و"**العربيّة السعيدة**". ولعل أهم ما يميز تقسيم "بطليموس" هي الدقة؛ حيث حاول تحديد هذه الأقسام تبعًا لخطوط الطول ودوائر العرض.

✓ **"ياقوت الحمويّ" المتوفى في عام (١٢٢٥م)**

هو "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ"، جغرافيّ بالسفر والترحال، وموسوعيّ لتفرغه للقراءة، ونحويّ بإقباله اللغويّ، وباجتماع تلك المزايا نظم معجمه ومؤلفه الأشهر في العصر الوسيط: "معجم البلدان"، وفيما يتعلق بـ "ديار العربيّة" فإن قيمة هذا المعجم تكمن في إيضاحه معاني بعض أسماء المحلات العمرانيّة وأصولها التي تنطوي على صبغة جغرافيّة، سواء أ بارتباطها بالمكان وخصائصه أم بالإنسان واحتياجاته.

وبناءً على ما سبق، وتحديدًا فيما أورده المؤرخون والجغرافيّون، وسواء أكانت إشارتهم صحيحة أم كانت غير ذلك، فإن القيمة التي يمكن الخروج بها من

بين ثنايا جملة إشارتهم وخبايها يمكن تكثيفها في عبارة واضحة، وقد تبدو أنها غير ذي بال ومضمونها: **أن المنتجات التجاريّة كانت تُنقل على الطرق في إطار من التسليم والتسلم بين مناطق نفوذ القبائل وبعضهم بعضًا.** والحقيقة أن هذه العبارة تختزل الكثير من المدخلات التاريخيّة والعلاقات الاجتماعية، والاقتصاديّة، والسياسيّة، بل منظومة التعايش على مستوى عمومية "ديار العربيّة" آنذاك.

منهجية الدراسة وأساليبها التحليلية:

كان من المهم إدراك أن مفهوم الجغرافيا التاريخيّة لا يرادف مفهوم الجغرافيات التي تكونت في أزمنة سابقة؛ كونها قد انتهت، أو حتى الجغرافيات المتبقية من تلك الأزمنة؛ كونها قد انتفت بالبعد عن زمنية تكوينها. وكان من المهم –أيضًا– فهم أن مفهوم الجغرافيا التاريخيّة لا يرتبط بالزمن بقدر ما يرتبط بقيمة الفعل الذي أحدثه المجتمع داخل هذا الزمن. وبناءً على ذلك كانت مشكلة المنهج والأسلوب التحليليّ التي لم تكن تتعلق بالاختيار بقدر ما كانت تتعلق بمدى قدرتهم الوظيفيّة التي يمكن أن تُسهم في بناء الحدث التاريخيّ بكل ما تنطوي عليه من محاولات يُبتغى من خلالها تحري موضوعية التأريخ.

مناهج الدراسة:

ومن أجل ذلك اعتمدت الدراسة على "**المنهج التاريخيّ**" و"**المنهج الاستدلاليّ**" في إطار مشروط من التلازم البنائيّ التكامليّ المدفوع بعمومية النتيجة. ولذلك فإذا كان "**المنهج التاريخيّ**" في هذه الدراسة منوطًا بإعادة بناء الحدث التاريخيّ خلال فترات زمنية تتابعية فإن "**المنهج الاستدلاليّ**" في هذه الدراسة كان متلازمًا معه خطوة بخطوة؛ استنادًا إلى المهام الآتية:

- ✓ **السير من مبادئ ثابتة معروفة إلى النتائج التي تتضمنها.**
- ✓ **استنباط أمر من أمر آخر أو أمور عدة أخرى.**

- ✓ **جمع المعلومات وتحليلها لإثبات صحتها أوعدم صحتها والخروج بها إلى مستوى النتيجة.**

وفي إطار هذه الشرطية كان استخدام المناهج ومحاولات البناء في هذه الدراسة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٤).

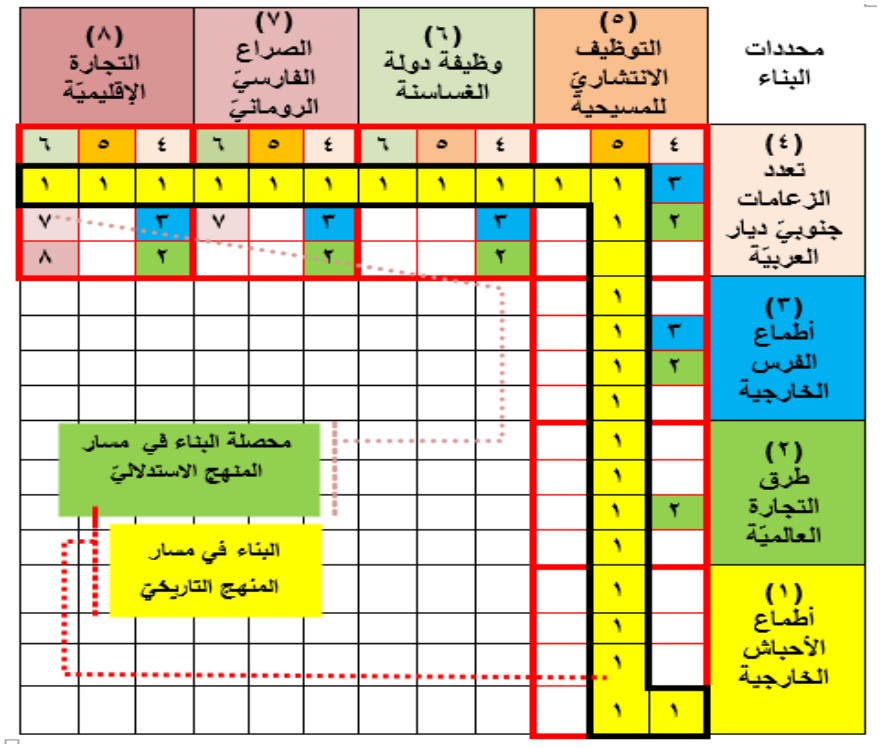

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (١٤): مسارات بناء الحدث التاريخي

الأساليب التحليلية في الدراسة:

تمثل الأساليب التحليلية أحد المدخلات التي تكتسب منها الدراسات واقعيتها الحيوية، وفي سبيل ذلك اعتمدت الدراسة على الأساليب التحليلية الآتية.

١ – **أسلوب التحليل الاستدلاليّ النقديّ:** ويرتكز هذا الأسلوب على البناء النظريّ؛ اعتمادًا على مجموعة من العلاقات السببية أو الارتباطية أو التأثيرية، ويُسعى من خلاله إلى التعرف إلى الأحداث التاريخيّة ومحاولة تصنيفها.

٢ – **أسلوب التحليل الاستدلاليّ التقييميّ:** ويهدف هذا التحليل إلى التعرف إلى واقعية الجغرافيات التعايشيّة بكل ما كانت تتصف به من خصائص قد أسهمت في بلوغ مقاصد التغيير.

٣ –**أسلوب التحليل التقويميّ:** ويرتكز هذا الأسلوب على مجموعة من المدخلات البنائيّة؛ سعيًا إلى بلوغ الاستدلال الثبوتيّ بصدد حدث تاريخيّ محدد.

اتجاهات الدراسة البحثية:

سعيًا إلى تحقيق أهداف الدراسة، واعتمادًا على مناهجها وأساليبها التحليلية، تشاركت الدراسة ثلاثة اتجاهات بحثية **الأول:** (الاتجاه الأصوليّ) ومن خلاله تم الانتقال من المعرفة العمومية لجملة من الأحداث التاريخيّة إلى معرفة المبادئ والقواعد التي ارتبطت بجملة هذه الأحداث وذلك في إطار من محصلات المعرفة السببية، ويمكن القول: إن الجزء (الأول) في الدراسة يندرج تحت هذا الاتجاه. أما الاتجاه **الثاني:** فهو (الاتجاه التحليليّ) ومن خلاله تم الانتقال من المعرفة السببية إلى المعرفة الارتباطية التفسيرية، أي: الانتقال من معرفة السبب التأثيريّ إلى معرفة النتيجة الارتباطية، ويمكن القول: إن الجزأين (الثاني) و(الثالث) في الدراسة يندرجان تحت هذا الاتجاه. أما الاتجاه **الثالث:** فهو (الاتجاه الانتفاعيّ) ومن خلاله تم الانتقال من المعرفة الارتباطية التفسيرية إلى مستوى توظيف النتائج، ويمكن القول: إن هذه الاتجاهات كانت من أهم مخرجات توصيات الدراسة.

معالجة الدراسة ومحاورها:

سعيًا إلى تحقيق أهداف الدراسة، واعتمادًا على مناهجها وأساليبها التحليلية، جاءت المعالجة في إطار من البناء الشموليّ بعضه دافع لبعض زمنًا وسببًا، وبعضه مكمل لبعض فعلًا وأثرًا. ولقد اقتضى الأمر تحقيق ذلك من خلال

مستويين، الأول: مستوى من المعالجة الكلية شملت عمومية "ديار العربيّة" والثاني: مستوى من المعالجة التطبيقيّة شملت هوية الأوعية الحضاريّة ذاتها. وبهذا كله جاءت الدراسة في ثلاثة أجزاء على نحو ما يأتي:

الجزء الأول:	**البناء التمهيديّ.**
المحور الأول	**ديار العربيّة بين المقاسمة المكانيّة والحدود القبليّة.**
المحور الثاني	**المقدمات العمرانيّة في ديار العربيّة.**
الجزء الثاني:	**البناء التطبيقيّ.**
المحور الثالث	**الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة.**
المحور الرابع	**الوعاء الحضاريّ الكنديّ القلب السياسيّ في القرن (الأول ق.م)**
الجزء الثالث:	**البناء التوظيفيّ والوظيفيّ والتشاركيّ.**
المحور الخامس	**الإطار الحضاريّ المنذريّ والتوظيف الفوضويّ في القرن (الثاني م).**
المحور السادس	**الإطار الحضاريّ الغسانيّ والوظيفيّة الفوضويّة في القرن (الثالث م)**
المحور السابع	**الإطار الحضاريّ الحميريّ ومدخلات التشارك الفوضويّ الخلاق في القرن (الثاني م)**

وفيما يلي ذلك.

الجزء الأول: البناء التمهيديّ

وكما أن الماضي لا تتساوى فيه لحظتان فإنه لا يتكرر فيه حدثان. وعلى الرغم من ذلك فإنه تظل عملية إعادة بناء جغرافيّات هذه الأحداث من أهم أهداف الجغرافيا التاريخيّة (وهيبة،١٩٦٦: ص٢-٤). والحقيقة أن القيمة هنا لا تتعلق بوقوع أحداث الماضي إنما في الكيفية التي يمكن من خلالها التعرف إلى ما وقع من أحداث.

وفي تلك الكيفية تكمن المدخلات التي تُحدد ما يجب أن تكون عليه معالجة عملية إعادة البناء. وفي إطار أهداف الدراسة وفترتها الزمنيّة، وقبل دراسة الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بعدّها الحدث الأوضح فيها، كان من المهم أن يُخصص هذا الجزء في الدراسة؛ لمحاولة الوقوف على البناء المعرفيّ لدلالة استخدام كلمة العرب المكانيّة والوظيفيّة؛ مرورًا بمحاولة التعرف إلى الأطر الحدودية التي تكونت بها خصوصيتهم في إطار ما يُعرف بالقبيلة وهذا ما أُفند له المحور (الأول) في هذا الجزء انتهاءً بالإلمام بعمومية توزيع المناطق التي عُثر فيها على أحد المظاهر الأثرية التي تُنسب لفترة الدراسة الزمنيّة، وكذلك لفترات سابقة عليه على مستوى "ديار العربيّة" وهذا ما خُصص له المحور الثاني في هذا الجزء.

وفي حقيقة الأمر يكمن أحد مدخلات بواعث القيمة في هذا المحور في كونه مقدمة التمييز غير المباشرة على مستوى هذه الدراسة. فالمحور -في جملته- ما هو إلا محاولة إيضاح توزيع المظاهر الأثرية التي عُثر عليها على مستوى عمومية "ديار العربيّة"، وعلى الرغم من انتشارها الذي يُستدل من خلاله على عمرانيّة "ديار العربيّة" بصفة عامة فإن الجزء الركين في الدراسة مُثْبَت حَوْلَ الأوعية الحضاريّة على مستوى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة".

المحور الأول:

ديار العربيّة بين المقاسمة المكانيّة والحدود القبليّة

أولًا- المقاسمة المكانيّة والأطر الاسمية.

لم تطلق الحضارات، أو الشعوب، أو المجتمعات التاريخيّة أسماءها على ذاتها، بل الآخر من هذه الشعوب أيًا كان هو الذي كان يُطلق الأسماء. ومن الأحداث أو الأسباب ما كانت تُرسخ هذه الأسماء خلال الزمن؛ لتستقر علمًا بعد ذلك، ومنها ما كانت تنفيها بالتغيير. وبصدد "العرب" فيذهب "ملر" إلى أن "القرآن الكريم" هو الذي خصص الكلمة وجعلها علمًا[١] لقوميّة شملت كل من استظل به في إطار "ديار العربيّة السعيدة" (عليّ، ١٩٩٣: ج/١- ص٢٤). أما بصدد تداول الكلمة ذاتها فتنطوي بداخلها على جملة من العلاقات، والأسباب، والأحداث خلال فترة زمنية يمكن القول: إنها بدأت منذ القرن (الثاني عشر ق.م) وتحديدًا عند "الآشوريين". وبناءً على معلومية أحد النصوص "الآشورية" فإن كلمة "العرب" تنطوي على بعدين، **الأول:** كان يحمل بين طياته أبعادًا اجتماعية، وثقافية وكانت في إطار ذلك تعني: "البداوة"، أما **الثاني:** فكان ينطوى على أبعاد مكانيّة وإدارية؛ حيث كانت الكلمة تعني: "الإمارة". وبناءً على ذلك فإن كلمة "العرب" عند "الآشوريين" خلال القرن (الثاني عشر ق.م) كانت تعني: البدو الذين يقطنون في الإمارات التي تقع إلى الغرب من "البحر الجنوبيّ" (الخليج العربيّ حاليًا) أو البدو الذين كانوا يحكمون البادية عند الحدود "الآشورية"(عليّ، ١٩٩٣: ج/١- ص١٦). وفي حقيقة الأمر فإن كلمة "العرب" عند "الآشوريين" تحمل بين طياتها الدليل المباشر والدليل غير المباشر على وجود محلات عمرانيّة قبليّة كانت تنتشر في إطار التخوم الغربيّة للآشوريين من القرن (الثانى عشر ق.م). وفي ظل الإطار

[١] يُقصد من ذلك أن استخدام الكلمة كان موجودًا بالفعل غير أن نزول "القرآن الكريم" كان السبب الرئيس الذي منحها شرعية عمومية الاستمرارية .

المكانيّ للحضارة "الآشورية" خلال القرن (الثانى عشر ق.م)، وفي ظل الاتساع المكانيّ لهذا الإطار، وفي إطار عبارة استدلاليّة واضحة يمكن القول: إن جزءًا من المحلات العمرانيّة القبليّة العربية الموجودة آنذاك في "ديار العربيّة" كانت تنتشر في إطار قوس يوضحه الشكل رقم (١٥)

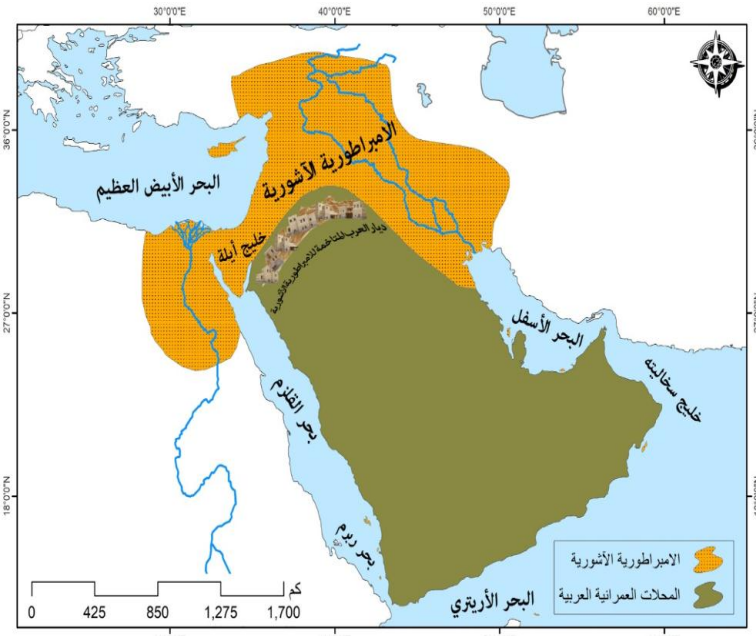

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (١٥): الخريطة الاستدلاليّة للإطار المكانيّ للمحلات العمرانيّة العربية المتاخمة للإطار المكانيّ للإمبراطورية الآشورية خلال الفترة من القرن (الثاني عشر ق.م) إلى القرن (العاشر ق.م)

وبمرور (أربعة) قرون وتحديدً في القرن (التاسع ق.م) حملت النصوص "المسمارية" "البابلية" مجموعة من المسميات، جاءت جميعها في إطار كلمة "العربيّ" وهي "آربي"، و"أريبي"، و"أريبو" (صالح، ١٩٩٤: ص ٨).

وبصدد الحضارة "البابلية" فإن دلالة كلمة "العربيّ" لديها لم تكن تقتصر على تخوم معينة على غرار الحضارة "الآشورية" بل شمل إطارها المكانيّ كل "ديار العربيّة" وكذلك جنوبيّ المنطقة التي عُرفت –بعد ذلك–بـ"بادية الشام" في شكل قوس

طرفه الغربيّ يمتد من مدينة "آيلة" على خليج "العقبة" حاليًا، وينتهي طرفه الشرقيّ في مدينة "تدمر" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٦).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (١٦): الإطار المكانيّ لاستخدام كلمة العربيّ خلال الحضارة البابلية في القرن (التاسع ق.م)

وبمرور (سبعة) قرون وتحديدًا في القرن (السادس ق.م)، استخدمت النصوص الفارسيّة كلمة "آربايا" بوصفها دلالة على الإطار المكانيّ الذي يشتمل على "ديار العربيّة"، وبادية "فلسطين"، و"شبه جزيرة سيناء". وبذلك فلقد زاد "الفرس" في استخدامهم كلمة "العربيّ" على "البابليين" بإضافة شبه جزيرة سيناء" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٧).

وبصدد الزيادة تحديدًا فأمرها طبيعيّ يعكس –في المقام الأول– ما كان عليه الوزن السياسيّ لمنطقة شماليّ "ديار العربيّة" عامة وشماليّ "مصر" خاصة، حيث شهدت هذه المنطقة نوعًا من "**الفراغ السياسيّ**" في إطار حكم "الفرس" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٨).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (١٧): الإطار المكانيّ لكلمة العربيّ خلال فترة الحضارة الفارسيّة القرن (السابع ق.م)

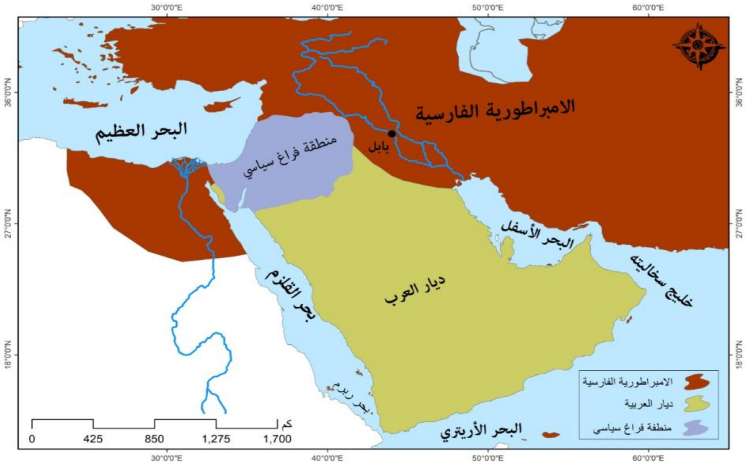

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (١٨): منطقة الفراغ السياسيّ خلال فترة الحضارة الفارسيّة القرن (السابع ق.م)

وفي إطار ذلك يمكن القول: إن هذا الفراغ كان بسببية خضوع "مصر" للحكم "الفارسيّ" من ناحية، وعدم تمكن "الفرس" من إحكام قبضتهم على "مصر" من ناحية أخرى. وبالمزيد من نتائج التغير ومقاصد التغيير في منطقة "**الفراغ**

السياسيّ" على نحو ما جاء في الشكل (١٨) ، وبمرور قرن واحد اتسعت دلالة استخدام كلمة "العربيّ" لدى الحضارة "الإغريقية" بإضافة صحراء "مصر الشرقيّة" إليها والتي كان يعدّها "هيرودوت" جزءًا من بلاد "العرب" في كثير من مواضع كتابه عن "مصر" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٩).

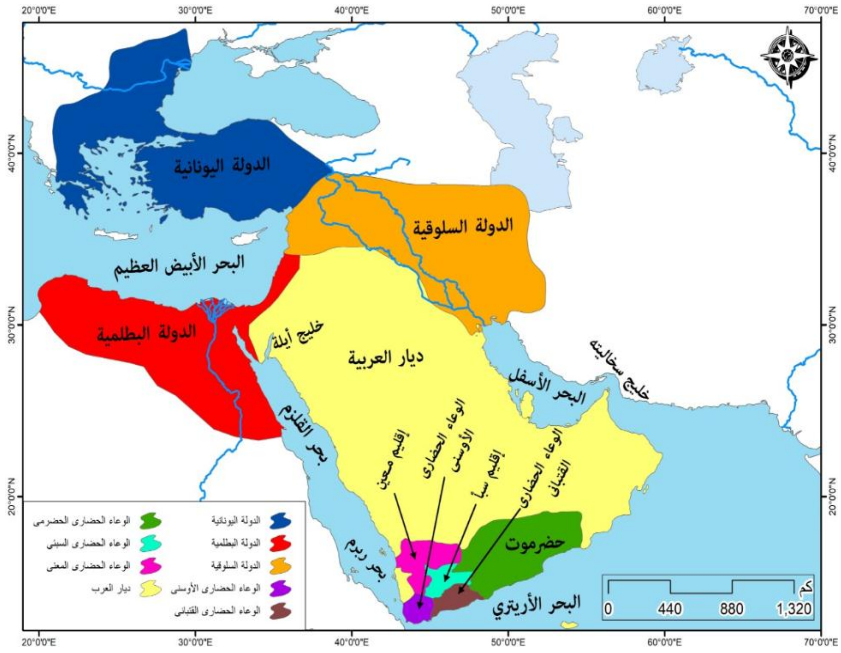

شكل رقم (١٩) الإطار المكانيّ لاستخدام كلمة العربيّ في الحضارة الإغريقية خلال القرن (الخامس ق.م)

وفيما يتعلق بهذا الاتساع فهو يعد نتيجة طبيعيّة لا لاتساع نفوذ "العرب" وهيمنتهم على شرقيّ "مصر" إنما لطبيعيّة العلاقات التجاريّة في "البحر الأحمر"؛ ومن ثم فلا عجب من تسميته خلال هذه الفترة بـ "الخليج العربيّ". وبصدد الحضارة "الرومانيّة" فلقد استخدمت كلمة "العربيّ" أو "العرب" بوصفها نوعًا من التوظيف المكانيّ المرتبط بالخصائص الطبيعيّة، فلقد قسم "الرومان" الإطار المكانيّ الذي ينتشر فيه "العرب" إلى ثلاثة أقسام رئيسة، تتمثل في **ديار العربيّة السعيدة**"،

و"**ديار العربيّة الصخرية**"، و**ديار العربيّة الصحراوية**" وذلك على نحو ما سبق إيضاحه في تحديد منطقة الدراسة".

وفي إطار ما سبق يمكن القول: إن هذه المسميات كانت تحمل –بين طياتها– أبعادًا مكانيّة أكثر من كونها كلمات اشتقاقية، وأبعادًا سياسيّة أكثر من كونها أبعادًا اجتماعية. وبصدد الاشتقاق اللفظيّ فيمكن القول: إن كلمة "العرب" مرت بمجموعة من المراحل، حيث جاء بذرها من اسم الجد الأعلى الذي كان يسمى "يعرب بن قحطان"، ثم جاء إنباتها من خلال فعل "يعرب" بمعنى يفصح بوصفه دليلًا على ما كان العرب يعتزون به من فصاحة البيان. ثم جاء انتقاؤها من اسم "عربة" وهو أحد أسماء "مكة" التي نشأ نبيّ الله "إسماعيل –عليه السلام–" على أرضها، ثم غلفت مكانيًا بالتداول والانتشار من خلال كلمات "أرابا" (التي تعني: الأرض الداكنة المعيشة)، و"إرب" (بمعنى: الشرود عن النظام)، و"عابار" (بمعنى: التجوال والترحال)؛ إلى أن تعهدتها الحضارات المجاورة بالتداول والانتشار. والحقيقة أن هذا البذر، ومن بعده الإنبات، ومن بعده الانتقاء إنما يعكس –بكل دقة– بناء تداول كلمة "العرب" بداية من "الآشوريين" وانتهاءً بـ "الرومان".

ثانيًا– القبيلة بين الحدود الصغرى والحدود الكبرى.

يذهب العديد من المؤرخين ومن بعدهم بعض الجغرافيّين إلى أن سكان "ديار العربيّة" كانوا أكثر التزامًا وخضوعًا لخصائص بيئتهم وانعكاساتها عما هم عليه الآن، وذلك من حيث سبيل معايشهم، وبعض عاداتهم وعقائدهم، وظروف تفرقهم أو تجمعهم وبداوتهم أو تحضرهم، وتنقلهم أو استقرارهم. وقد يبدو أن هذا الالتزام هو الحقيقة الظاهرة الضابطة للعيش في ظل ما تتصف به "ديار العربيّة السعيدة" من خصائص طبيعيّة، وتنوعها التضاريسيّ، وشحها المائيّ، وضعفها الأمنيّ. وقد يبدو أن حقيقة هذا الالتزام كان المذهب السائد في فكر كل من اقترب من دراسة "ديار العربيّة" فتأثر بشدتها الطبيعيّة قبل معرفة دقائقها التاريخيّة. وعلى

ضوء تلك الدقائق يمكن القول: إن أمر الالتزام (علاقة التأثير والتأثر)، لم يكن كذلك لا بعدّه حقيقة منتفية، بل بعدّه حقيقة تكميلية لحقيقة أخرى أصيلة، مضمونها: أن ميلاد أقاليم النفوذ القبليّة التي تشكلت في الأوساط البيئيّة ومن بعدها الأحيزة الجغرافيّة التي تكونت منها "ديار العربيّة" كانت تمثل جملة من الالتزامات التوجيهية، تجاوزت شدتها جملة الضوابط الطبيعيّة؛ ومن ثم يمكن القول: إنه إذا كانت الخصائص الطبيعيّة قد وجهت الاستغلال المعيشيّ على مستوى "ديار العربيّة" فإن ميلاد أقاليم النفوذ القبليّ وجهت ضوابط الاستقرار المكانيّ.

وقد يُظن أن ميلاد أقاليم النفوذ القبليّة كانت تحدده جملة الضوابط الطبيعيّة حينذاك، وهذا أمرٌ صحيح بيد أنه لم يكن ليصح إلا في ظل تنظيم مجتمعيّ يقاسم الضوابط الطبيعيّة ذاتها في بناء هوية أقاليم النفوذ القبيلة. وعندما يتعلق الأمر بالأسماء فإنها لا تأتي من العدم، وكذلك لا تعبر عن الحال وهذا شأن الأفراد. أما عندما يتعلق الأمر بالقبائل ففي أرضها تُبذر أسماؤها، وبعد إنباتها يتعهدها غيرها بانتقائها، وتبعًا لما يرون من أحوالها فإنهم يصبغونها بتسميتها، وهذا هو حال المجتمعات الأصيلة من حيث النشأة.

- **وبناءً على** ذلك يمكن القول: إن كل قبيلة كانت لها حدود مكانيّة صغرى مغلقة على مستوى حيزها الجغرافيّ داخل حدود كبرى إقليميّة على مستوى وسطها الطبيعيّ.
- **وبناءً على** الحدود الصغرى المغلقة وُجد العمران في كل نطاق يصلح لذلك.
- **وبناءً على** تلك الحدود اكتسبت القبيلة مكانتها الزعامية، وسطوتها الاجتماعية.
- **وبناءً على** تلك الحدود تفتحت علاقاتها المكانيّة، ووساطتها التجاريّة.
- **وبناءً على** تلك الحدود كانت مقدمات العمران داخل الحدود الكبرى التي غُلفت بعد ذلك باسم "ديار العربيّة السعيدة".

وعلى ضوء ذلك كله لم تكن لجملة الحدود الصغرى المغلقة دولة تشتملهم ولا نظام موحد يجمع بين اختلافاتهم، بل كانت حياتهم قائمة على نظم تلك الحدود

الصغرى المغلقة فيما يعرف بالقبيلة؛ ومن ثم كانت تلك الحدود [٢] عماد التعايش الذي يقوم على أساس اشتراك مجموعة من الأفراد لا في الأصل الواحد كما يذهب بعض الباحثين، بل في ارتباطاتهم داخل تلك الحدود تحت أعراف واحدة وتقاليد ثابتة، ومن يخالفها فهو يفرط في الخروج عن إطار تلك الحدود؛ ومن ثم كانت الحدود المكانيّة الصغرى المغلقة بمنزلة عضد القبيلة الوجوديّ، وبهذا العضد تغير الأمر فأضحى عصبية مكانيّة دارت فيها حياتهم الاجتماعية، والاقتصاديّة، والثقافية ومن بعدهم توجهاتهم السياسيّة[١]. وفي حقيقة الأمر فعملية التغير من العضد إلى العصبية لازمها العديد من التنظيمات التشاركية خلال زمن تجاوزت من خلاله فترة ما بعد الإسلام، وبالزمن تغيرت الحدود الصغرى المغلقة من كونها أوساطًا بيئيّة – أو حتى طبيعيّة– إلى أوساط بيئيّة تشتمل على أحيزة جغرافيّة. وفي إطار ذلك يمكن القول: إنه كانت لكل قبيلة وسط بيئيّ أكبر يحتوي على أحيزة جغرافيّة أصغر على ضوء علاقة ارتباطية طردية، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٠) . ومن ثم جاءت توزيعات الحدود القبليّة الصغرى المغلقة في "ديار العربيّة" لتعكس حقيقة توزيعات خطوط تقسيم الأوساط البيئيّة العضدية ومن بعدها الأحيزة الجغرافيّة العُصبية؛ ومن ثم فإذا كان الشكل رقم (٢١) يعكس الواقع الوجوديّ القبليّ فإن الشكل رقم (٢٢) هو الجوهر العصبيّ.

[١] نعم ... يمكن القول: إن ثمة اتفاقًا بين الباحثين بأن شيخ القبيلة كان بمنزلة رئيسها وحاكمها، في ظل عدم وجود نظام قانونيّ موحد بين القبائل، فلقد كان لكل قبيلة نظامها الخاص داخل حدودها المكانية الصغرى، غير أن ذلك لم يكن ليؤهل الحدود المكانية الصغرى لتكوين وحدات سياسيّة مستقلة، فالاستقلالية السياسيّة نوع من النضج المكانيّ الذي يتجاوز الحدود ذاتها، وهذا لم يكن قد تأصل بعد.

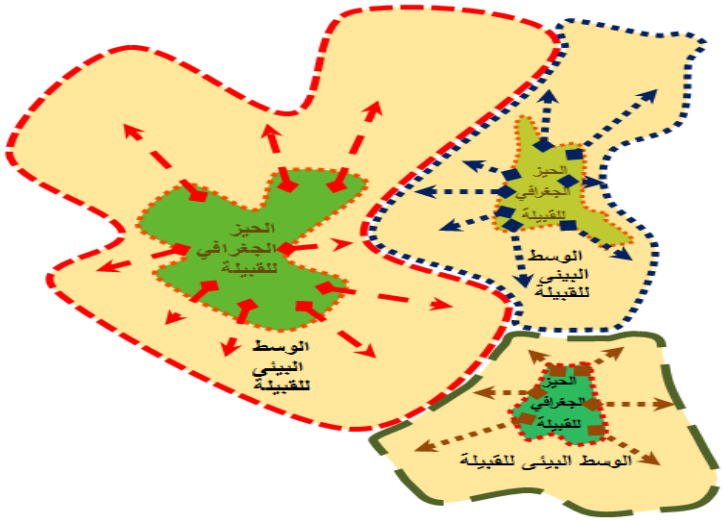

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٢٠): العلاقة بين مساحة الحيز الجغرافيّ ومساحة الوسط البيئيّ

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن ظاهر القبائل لم يكن سوى العصبية أما باطنها فلم يكن سوى مجموعة من الجغرافيات التعايشيّة كادت تدنو من رؤى الحتمية الجغرافيّة. وهنا، وفي موضع هذا الخط الدقيق الرقيق الذي يفصل بين الظاهر والباطن تكمن مداخل الفكر التنمويّ التي كاد يتلمسها بعض المؤرخين لولا تغليبهم الظاهر على الباطن الذي حال دون إدراك ما يعنيه الخط الفاصل من إمكانات التصدي للاختلافات. ومن ثم نظروا إلى ظاهر المجتمع القبليّ فوجدوه مفككًا سياسيًا ينقسم إلى وحدات متعددة، قائمة برأسها، تمثلها القبائل المختلفة، ووجد آخرون أن سعة الأرض في "ديار العربيّة" وقسوة الطبيعة وصعوبة الانتقال وتفشي البداوة منعت نشوء دولة موحدة خلال تلك الفترة وأبطلت التنظيم السياسيّ الصحيح (سالم، ١٩٦٨: ص٧٥)، بل عاب آخرون على المجتمع القبليّ افتقاده النزعة أو الشعور بالقوميّة الشاملة (الدوري، ١٩٦٠: ص٣٢). وفي حقيقة الأمر فهؤلاء المؤرخون والآخرون نظروا إلى المجتمعات القبيلة بعدّها عصبية، وهذا هو

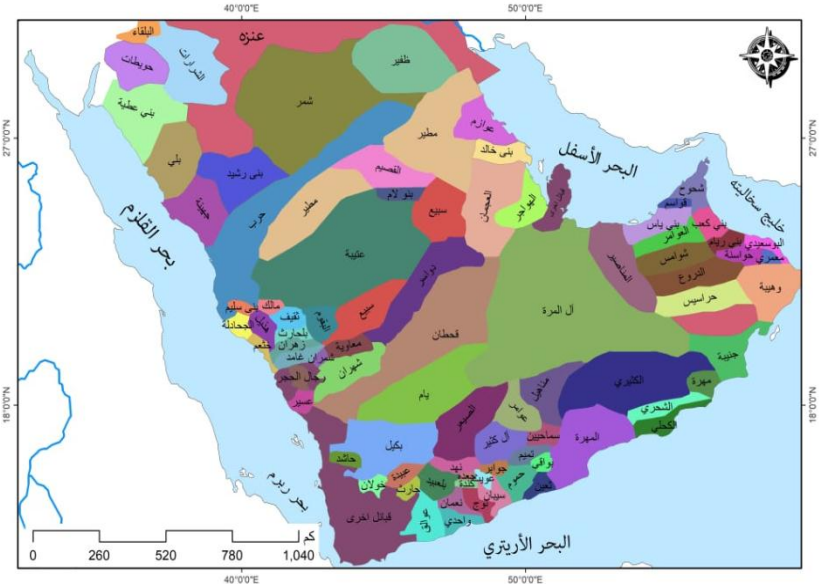

المصدر: رسمها المستشرق الإنجليزي هارولد ديكسون (ويكيميديا كومنز ١٦ فبراير/٢٠١٧).

شكل رقم (٢١): توزيع القبائل على مستوى ديار العربيّة في بداية القرن العشرين

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٢٢): الحيز الجغرافي للقبيلة وإقليم نفوذها

الظاهر، أو القشرة التي تحيط بباطن وجوديّ تعايشيّ لم يكن يستطيع أن يقدم أحسن مما قدّم.

والمحصلة، وبناءً على ما سبق وفيما يتعلق بالجوهر فلقد تجسد في جملة من الأوساط البيئيّة، توافقت مساحتها مع غلبة القبائل في ظل علاقة طردية كان نتاجها انتقاءات تعايشيّة داخلية تمثلت في مجموعة من الأحيزة الجغرافيّة. وفي عبارة أخرى تمثلت في مجموعة من الوحدات الاقتصاديّة كان يسودها قدر معين من الاستقلالية والكفاية الذاتية. وكان طبيعيّا أن يتوج هذا الاستقلال في نواحي الحياة المادية باستقلال آخر في كيان الحكم والغلبة، وبذلك كانت حياة القبيلة في داخل الجزء الأصغر من داخل الكل الأكبر، حيث كانت تتعايش داخل أنوية من الأحيزة الجغرافيّة داخل حدود صغرى مغلقة، شكلتها أطر الأوساط البيئيّة، وكان شرط البقاء لمن يستطيع الحفاظ على إطار وسطه البيئيّ وربما –بعد ذلك– يستطيع الاستمرارية. وبذلك نشأت المقدمات العمرانيّة ثم تشكلت أحيزتها الجغرافيّة وفق ضوابط اختلفت مظاهرها بين جيوب صغيرة من الأراضي القابلة للزراعة المنتشرة وسط الامتدادات الجبلية القاحلة، أو بالقرب من مواضع الماء في الأراضي الصحراوية، أو في ملتقى طرق القوافل القديمة، أو في السهول الضيقة. وبصدد مداخل الفكر التنمويّ فما يجب الانتباه إليه والالتفات إليه أن الفرد في ظل ذلك مهما تغلف بالنمو، أو تغلف بالنهضة، أو تغلف بالحداثة، أو تغلف بالتطور، أو حتى تغلف بالتغير فهو لا يزال في رباط داخل نواة حيزه الجغرافيّ القبليّ الذي هو داخل حدود وسطه البيئيّ المغلق، وهنا تكمن معضلة التغيير الجمعيّ؛ ومن ثم ، فلقد كان لكل قبيلة إقليم نفوذيّ فيه هي كل شيء، منه تكتسب جغرافيّاتها التعايشيّة، وبمقدراته تتحدد مكانتها القبليّة، تتلامس به مع غيرها من أقاليم نفوذية أخرى من دون تعدٍ، ولا غالب أو مغلوب فيها، فوجوديّتها أضحت واقعًا ملموسًا لا يحتاج إلى دليل ثبوتي بقدر احتياجه إلى فهمٍ تنمويّ. وفي حقيقة الأمر فإن جملة أقاليم النفوذ القبليّة المتلامسة والتي ظنها بعض المؤرخين بأنها متفرقات؛ شكلت – فيما بينها– رباطًا وظيفيّا يندر توالفه في أي مكان آخر فجعلت من "ديار العربيّة" العقد الضامن للوساطة التجاريّة في العالم القديم آنذاك. ولعل هذا التلامس الذي كان يقع بين أقاليم نفوذ القبائل هو الذي كان يعنيه "أرتميدوروس" في القرن (الثاني

ق.م) عندما أشار إلى عبارة يعدّها الباحث أنها الباعث الرئيس للقيمة في "ديار العربيّة"، ومضمونها: **أن منتجات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" كانت تُنقل على الطرق إلى "ديار العربيّة الصحراوية"، و"ديار العربيّة الصخرية" في إطار من التسليم والتسلم بين مناطق نفوذ القبائل وبعضها بعضًا.**

المحور الثاني:

المقدمات العمرانيّة التاريخيّة في ديار العربيّة

لا يمكن وضع جميع المقدمات العمرانيّة التاريخيّة التي شهدتها عمومية "ديار العربيّة" في إطار واحد بعضها بجانب بعض؛ كون ذلك لم تكفله النشأة خلال الزمن. بيد أن في محاولة ذلك قيمة تُستجْلى مما سينجم عن ذلك، ويتمثل فيما يمكن تسميته بـ "**الجغرافيات المقارنة**"؛ تلك الجغرافيات التي تُسهم في إدراك مستويات التوزيع المكاني للمقدمات العمرانية على مستوى عمومية "ديار العربيّة" من ناحية ودورها في بناء الأوعية الحضاريّة من ناحية أخرى.

وبناءً على معطيات المحور الأول من ناحية، وبدافعية إمكانات أقاليم نفوذها التي كانت تتمثل في أوساطها البيئيّة من ناحية أخرى تمكنت القبائل من بناء أحيزتها الجغرافية التي أضحت بعد ذلك واقعها التعايشيّ. واعتمادًا على خصائص هذا البناء من ناحية ومن قبله دافعية إمكانات أوساطها البيئيّة من ناحية أخرى أضحى لكل قبيلة واقعها الثقافي والعمرانيّ وبهما تحدد مستواها الحضاريّ.

وفي إطار ذلك شهدت "ديار العربيّة" العديد من المقدمات العمرانيّة التاريخيّة أمكن الاستدلال على أبعاد مستوياتها الحضاريّة من خلال مجموعة من الشواهد الآثرية يجمل بعضها الجدول رقم (٣)

الجدول رقم (٣): الشواهد الأثرية على مستوى عمومية المقدمات العمرانية فى ديار العربية[1]

لوحة رقم (١) : ختم دلمونيّ عُثر عليه في تاروت في شماليّ شرقيّ ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (٢) : كوب ذو قاعدة عُثر عليه في تاروت في شماليّ شرقيّ ديار العربيّة السعيدة
لوحة رقم (٣) : إناء جنائزى صغير الحجم عُثر عليه في تاروت في شماليّ شرقيّ ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (٤) : جره صغيرة عُثر عليها في تاروت في شماليّ شرقيّ ديار العربيّة السعيدة
لوحة رقم (٥) : جعران مصريّ عُثر عليه في تيماء في شماليّ غربيّ ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (٦) : تاج عمود عُثر عليه في تيماء في شماليّ غربيّ ديار العربيّة السعيدة
لوحة رقم (٧) : قصعة عُثر عليها في تيماء في شماليّ غربيّ ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (٨): قصعة كبيرة في تيماء عُثر عليها في شماليّ غربيّ ديار العربيّة السعيدة

[1] المصدر: (الهيئة العامة للسياحة والآثار، ٢٠١٠: ١٧٦-٢١٠).

لوحة رقم (٩) : طبق من الزخرف عُثر عليه في تيماء في شماليّ غربيّ ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (١٠) : جرة مدهونة عُثر عليها في تيماء في شماليّ غربيّ ديار العربيّة السعيدة
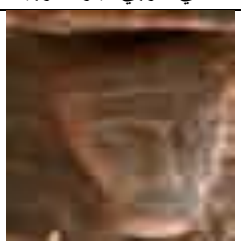	
لوحة رقم (١١): رأس تمثال لحيانيّ عُثر عليه في العلا شماليّ وسط ديار العربيّة السعيدة[1]	لوحة رقم (١٢): نحت مزين بأسد عُثر عليه في لحيان في شماليّ وسط ديار العربيّة السعيدة
لوحة رقم (١٣): نقش عُثر عليه في لحيان شماليّ وسط ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (١٤) : قبر عُثر عليه في الحجْر في شماليّ وسط ديار العربيّة السعيدة
لوحة رقم (١٥) : غرفة جنائزية عُثر عليها في الحجْر في شماليّ وسط ديار العربيّة السعيدة	لوحة رقم (١٦): معبد الوادي عُثر عليه في الفاو في وسط ديار العربيّة السعيدة

[1] جميع اللوحات السابقة مصدرها: الهيئة العامة للسياحة والآثار، ٢٠١٠: ٢١٥-٢٧٩.

لوحة رقم (١٧): نقش جنائزيّ عُثر عليه في الفاو في وسط ديار العربيّة السعيدة	**لوحة رقم (١٨) : لوحة منقوشة عُثر عليها في الفاو في وسط ديار العربيّة السعيدة**
لوحة رقم (١٩): مجمرة عُثر عليها في الفاو في وسط ديار العربيّة السعيدة	**لوحة رقم (٢٠): تمثال لجمل عُثر عليه في الفاو في وسط ديار العربيّة السعيدة**

وفى حقيقة الأمر تنطوي تلك الشواهد على العديد من المخرجات التى تنطوى على أبعاد ثقافية ومادية التي يُستدل من خلالها على ما كانت عليه بواعث القيمة على مستوى المقدمات العمرانية التاريخية في "ديار العربيّة".

وفى إطار ذلك تعد خصائصها التقنية جزء أصيل من المستوى الذي بلغته تلك المقدمات العمرانية، وهذا أمرٌ كفله التاريخ، ولكل زمن احتياجاته سواء أكان ذلك بمردود ذاتيتها المحلية أم كان بواردات علاقاتها الإقليميّة. أما فيما يتعلق بأطر واتجاهات انتشارها الأفقية – **وهو المقصد في هذا المحور**– فهي تعكس أمرين، **الأول:** يرتبط بتوزيعاتها المكانيّة، أما **الثاني:** فيتعلق بالتنظيم البنيويّ الت كانت عليه المقدمات العمرانية وما كانت تتصف به من علاقات مكانيّة على مستوى "ديار العربيّة" وفيما يأتي إيضاح هذين الأمرين.

أولًا– توزيع المقدمات العمرانيّة في ديار العربيّة .

المقدمات العمرانيّة، والشواهد الأثرية، والمخرجات الحضاريّة. ثلاثية بنائيّة تراتبية لا يجوز فيها تقديم الشواهد الأثرية على المقدمات العمرانيّة، ولا يجوز فيها –

كذلك– أن تأتي الشواهد الأثرية بعد المخرجات الحضاريّة. غير أنه يجوز الجمع بين المقدمات العمرانيّة والشواهد الأثرية في مفهوم واحد هو "الحيز التاريخيّ". وبناءً على ذلك فـ"الحيز التاريخيّ" يجمع بين الفعل العمرانيّ من ناحية، ونواتج هذا الفعل من ناحية أخرى. وأما الفعل فهو حدث ماضٍ، وأما نواتجه فهي شواهد أثرية تم العثور عليها خلال القرن العشرين، وتنسب زمنًا لفترة ما قبل الإسلام. وبصدد التوزيع المكانيّ لتلك الأحيزة التاريخيّة، فيمكن إجمالها على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٣)

ومن خلال الشكل رقم (٢٣) يتضح أنه تم العثور على جملة من الشواهد الآثرية كادت أن تغطى كافة الأحيزة التاريخية على مستوى "ديار العربية" ولعل المستقبل يحمل بين طياته الكشف عن العديد من الشواهد الآثرية التى تنتمى إلى

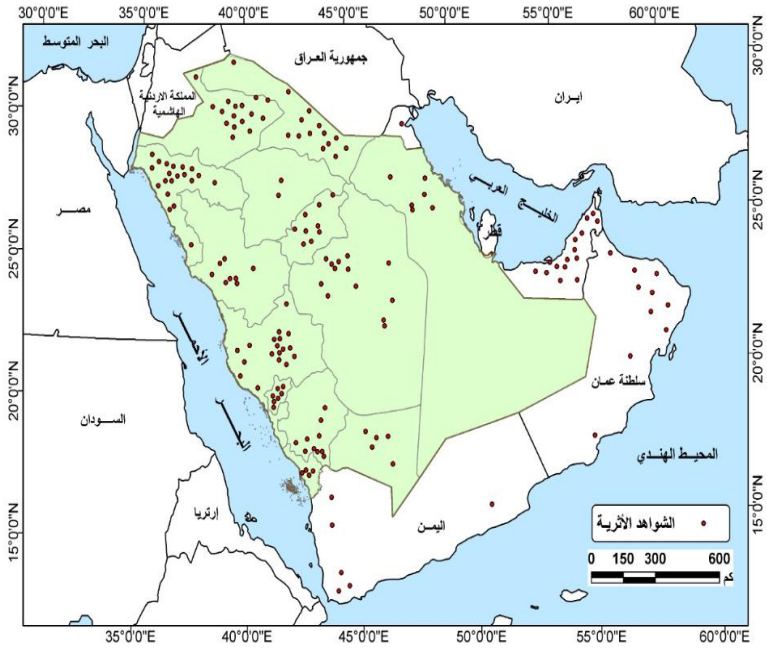

شكل رقم (٢٣): توزيع الشواهد الآثرية على مستوى ديار العربية خلال الفترة من (الألف الثانية ق.م) حتى منتصف (القرن السابع م)

أمكنة جديدة سُضاف إلى ما يجمله الشكل السابق. ولتيسير التعرف إليها أمكن إجمالها في الجداول رقم (٤).

الجدول رقم (٤): التوزيع المكانيّ للأحيزة التاريخيّة

وشواهدها الأثرية في ديار العربيّة حتى بداية القرن (السابع م)[١]

م	المنطقة الإدارية/الدولة	الأطر المكانيّة الحاليّة للأحيزة التاريخيّة
	١	
	منطقة مكة المكرمة الإدارية	وتضم إمارة مكة المكرمة بالإضافة إلى (١١) محافظة هي: جدة، والطائف، والقنفذة، والليث، ورابغ، والجموم،وخليص، والكامل، والخرمة، ورنية، وتربة.
	توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	(١) وادي فاطمة (إمارة مكة)، (٢) جبل الرديهة (محافظة جدة)، (٣) جبل العرفاء (محافظة الطائف)، (٤) ميناء الشعيبة (إمارة مكة)، (٥) ميناء السرين (محافظة الليث)، (٦) قرية المعدن (محافظة الطائف)، (٧) سوق عكاظ (إمارة مكة المكرمة)، (٨) سد ثلبة (محافظة الطائف)، (٩) سد السملقي (محافظة الطائف)، (١٠) سد سيسد (محافظة الطائف)، (١١) سد اللصب (محافظة الطائف)، (١٢) بركة الخرابة (محافظة الطائف)، (١٣) بركة العقيق (محافظة الطائف)، (١٤) أم الضميران (إمارة مكة)، (١٥) قصر شبراً (محافظة الطائف)، (١٦) قصر السقاف (إمارة مكة المكرمة)، (١٧) قصر خزام (محافظة جدة)، (١٨) بيت نصيف (محافظة جدة).
	النسب المكانيّ للشواهد الأثريه وأوعيتها الحضاريّة	ديار العربيّة السعيدة/ غربيّ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.
	٢	
	منطقة الرياض الإدارية	وتضم إمارة الرياض بالإضافة إلى (١٩) محافظة هي: الدرعية، والخرج، والدوادمى، والمجمعة، والقويعية، ووادي الدواسر، والأفلاج، والزلفى، وشقراء، وحوطة بني تميم، وعفيف، والسليل، وضرما، والمزاحمية، ورماح، وثادق، وحريملاء، والحريق، والغاط
	توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	(١) صفاقه (محافظة الدوادمى)، (٢) جبل البضتين (محافظة الدوادمى)، (٣) جبل براقة (محافظة الدوادمى)،(٤) جبل خنوقة (محافظة الدوادمى)، (٥) كهف برمة (إمارة الرياض)،(٦) الثمامة (إمارة الرياض)، (٧)البجادية (محافظة الدوادمى)،(٨) قرية الفاو(عاصمة مملكة كندة/محافظة السليل)،(٩) الأفلاج (محافظة الأفلاج)، (١٠) الجني (إمارة الرياض)،(١١) أبا القد (إمارة الرياض)، (١٢) الدرعية (إمارة الرياض)، (١٣) قصر المربع (إمارة الرياض).
	النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.

[١] تم التعرف إلى هذه المقدمات من خلال مراجعة العديد من الكتب التي تتعلق بتاريخيّة "ديار العربية السعيدة" بصفة عامة وتحديدًا من بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

٣	
منطقة المدينة المنورة الإدارية	وتضم إمارة المدينة المنورة بالإضافة إلى (٦) محافظات هي: ينبع، والعلا، والمهد، وبدر، وخيبر، والحناكية.
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	(١) العلا (محافظة العلا)، (٢) الحجر (محافظة العلا)، (٣) خريبة الحجر (محافظة العلا)، (٤) المابيات الإسلاميّ (محافظة العلا)، (٥) خيف الزهرة (محافظة العلا)، (٦) الربذة (إمارة المدينة المنورة)، (٧) سد الحصيد (محافظة خيبر).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	ديار العربيّة السعيدة/ غربيّ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.
٤	
منطقة القصيم الإدارية	. وتضم إمارة بريدة بالإضافة إلى (١٠) محافظات هي: عنيزة، والرس، والمذنب، والبكرية، والبدائع، والأسياح، والنبهانيه، وعيون الجواء، ورياض الخبراء، والشماسيه.
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	(١) قصر مارد (محافظة الأسياح)، (٢) ضرية (محافظة الرس)، (٣) درب زبيدة (محافظة بريدة) (٤) طريق حج البصرة (محافظة بريدة)، (٥) موقع زبيدة (محافظة بريدة)، (٦) برج الشنانة (محافظة الرس)، (٧) برج ضاري (محافظة الرس)، (٨) قصر الإمارة القديمة(محافظة الرس)،(٩) العنتريات(محافظة الرس)
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.
٥	
المنطقة الشرقيّة الإدارية	وتضم الدمام (مقر الإدارة)، بالإضافة إلى (١٠) محافظات هي: الأحساء، وحفر الباطن، والجبيل، والقطيف، والخبر، والخفجي، ورأس تنورة، وبقيق، والنعيرية، وقرية العليا.
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	(١) تاروت (محافظة القطيف)، (٢) عين قناص (محافظة الأحساء)، (٣) ثاج (محافظة الجبيل)، (٤) قصر إبراهيم (محافظة الأحساء)، (٥) قصر خزام (محافظة الأحساء)، (٦) الدور(محافظة الأحساء)، (٧) جواثا (محافظة الأحساء)،(٨) العقير (محافظة الأحساء).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ المناذريّ.

٦	
منطقة عسير الإدارية	وتضم أبها (مقر الإمارة)، بالإضافة إلى (١١) محافظة هي: خميس مشيط، وبيشة، والنماص، ومحايل، وسراة عبيدة، وتثليث، ورجال المع، وأحد رفيدة، وظهران الجنوب، وبالقرن، والمجاردة
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	(١) وادي تثليث (محافظة تثليث)،(٢) المخسمة (محافظة خميس مشيط)، (٣) بادية بني عمرو (محافظة النماص)،(٤) شمسان (محافظة أبها)، (٥) مجمع آل حيان (محافظة تثليث)،(، (٦) طريق التجارة القديم (محافظة ظهران الجنوب)، (٧) وادي عياء (محافظة بيشة)، (٨) بلدة جرش (محافظة خميس مشيط)، (٩) الجمهوة (محافظة النماص)، (١٠) سربعل (محافظة تثليث).

النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/** اوعية **"الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة"/غربيّ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.**
٧	
منطقة حائل الإدارية	**وتضم حائل (مقر الإمارة)، بالإضافة إلى (٣) محافظات هي: بقعاء، والغزالة، والشنان.**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) جبة** (إمارة حائل)، **(٢) فيد** (إمارة حائل)، **جبل المليحية** (إمارة حائل)،**قصر حاتم الطائيّ** (إمارة حائل)، **قلعة أعيرف** (إمارة حائل).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/** شماليّ **الوعاء الحضاريّ الكنديّ.**
٨	
منطقة تبوك	**وتضم تبوك (مقر الإمارة)، بالإضافة إلى (٥) محافظات هي: الوجه، وضباء، وتيماء، وأملج، وحقل.**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) السور الكبير** (محافظة تيماء)، **(٢) قصر الحمراء** (محافظة تيماء)، **(٣) قصر الرضم** (محافظة تيماء)، **(٤) قصر الأبلق** (محافظة تيماء)، **(٥) تل الحديقة** (محافظة تيماء)،**(٧) قصر البجيديّ** (محافظة تيماء)،**(٨) المدافن** (محافظة تيماء)،**(٩) قرية** (إمارة تبوك)، **(١٠) روافة** (إمارة تبوك)، **(١١) البدع** (محافظة حقل)،**(١٢) عينونة** (محافظة ضباء)،**(١٣) الديسة** (إمارة تبوك)، **(١٤) منطقة حسمى** (إمارة تبوك)،**(١٥) قلعة الأزلم**(محافظة ضباء)، **(١٦) قلعة المويلح** (محافظة ضباء)،**(١٧) قلعة الوجه** (محافظة الوجه)، **(١٨) قلعة الزريب** (محافظة الوجه)،**(١٩) قلعة تبوك** (إمارة تبوك)،**(٢٠) قلعة المعظم** (إمارة تبوك) .
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة الصخرية/ الوعاء الحضاريّ الغسانيّ.**
٩	
منطقة الباحة الإدارية	**وتضم الباحة (مقر الإمارة)، بالإضافة إلى ٦) محافظات هي: بلجرشى، والمندق، والمخواة، والعقيق، وقلوة، والقرى.**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) العصداء** (محافظة المخواة)،**(٢) الخلف** (محافظة قلوة)، **(٣) الخليف** (محافظة قلوة)، **(٤) عشم** (محافظة قلوة)،**(٥) العبلة** (محافظة المخواة)، **(٦) قرية ذي عين (٧)** (مقر الإمارة).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/ جنوبيّ غربيّ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.**
١٠	
منطقة الحدود الشماليّة الإدارية	**وتضم عرعر (مقر الإمارة)، بالإضافة إلى محافظتين، هما: عرعر، وطريف**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) وادي اهتيمي** (محافظة عرعر)، **(٢) أصلال** (محافظة عرعر)، **(٣) الرويثية**(محافظة عرعر)، **(٤) وادي العويصي** (محافظة عرعر)، **(٥) جديدة عرعر** ،(محافظة عرعر)، **(٦) درب زبيدة** (محافظة رفحاء)، **(٧) زبالة** (محافظة رفحاء)،**(٨) الشاحوف** (محافظة رفحاء)،**(٩) أم العصافير** (محافظة رفحاء)،**(١٠) الجميمة** (محافظة رفحاء)،**(١١) الثليمة** (محافظة رفحاء)،**(١٢) العمياء**(محافظة رفحاء)،**(١٣) دوقرة** (محافظة رفحاء)،**(١٤) لينة**(محافظة رفحاء) .

النسب المكانيّ للشواهد الأثريه وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة الصحراوية/ الوعاء الحضاريّ المناذريّ**
١١	
منطقة الجوف	**وتضم سكاكا (مقر الإمارة) إلى جانب محافظتي القريات، ودومة الجندل.**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) الشويحطيه** (محافظة سكاكا)،**(٢) جبل برنس** (محافظة سكاكا)، **(٣) بئر سيسر**(محافظة سكاكا)، **(٤) القارة** (محافظة سكاكا)، **(٥) وادي السرحان**،**(٦) الرجاجيل** (محافظة سكاكا) **(٧) سمراء الحديثة** (محافظة القريات)، **(٨) وادي سمرمدة** (محافظة القريات)، **(٩) حظوظاء** (محافظة القريات)، **(١٠) العقيلة** (محافظة القريات)، **(١١) القصر النبطيّ** (محافظة القريات)، **(١٢) قلعة مارد** (محافظة دومة الجندل)،**(١٣) دومة الجندل** (محافظة دومة الجندل)، **(١٤) مسجد عمر**(محافظة دومة الجندل)، **(١٥) قصر زعبل** (محافظة سكاكا)، **(١٦) كاف** (محافظة القريات).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة الصحراوية/ الوعاء الحضاريّ المناذريّ**
١٢	
منطقة جازان الإدارية	**وتضم جازان (مقر الإمارة)، إلى جانب (١٣) محافظة هي: صبياء، وأبو عريش، وصامطة، والحرث، وضمد، والريث، وبيش، وفرسان، والدائر، وأحد المسارحة، والعيدانيّ، والعارضة، والدرب.**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) سهى** (محافظة صامطة)، **(٢) عثر** (محافظة صبياء)، **(٣) جزيرة فرسان** (محافظة فرسان) ، **(٤) صبياء** (محافظة صبياء).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/** أوعية **"الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة"/غربيّ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.**
١٣	
منطقة نجران الإدارية	**وتضم نجران (مقر الإمارة) ، بالإضافة إلى (٧) محافظات هي: شرورة، وحبونا، وبدر الجنوب، ويدمة، وثار، وخباش، والخرخير**
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالمحافظات	**(١) الأخدود** (محافظة نجران)، **(٢) بئر حما**(محافظة نجران)، ، **(٣) طريق التجارة القديم**(محافظة نجران)، **(٤) قصر الإمارة**(محافظة نجران).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/** أوعية **"الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة"/غربيّ الوعاء الحضاريّ الكنديّ.**
١٤	
توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة بالكويت	**(١) فليكا (جزيرة).**
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ المناذريّ.**
١٥	
دولة الإمارات العربيّة المتحدة توزيع الشواهد الأثرية على	**(١) دلما** (إمارة أبي ظبي)، **(٢) مروح** (إمارة أبي ظبي)، **(٣) جبل حفيت** (إمارة أبي ظبي)، **(٤) المويهات** (إمارة عجمان)، **(٥) الأبرك** (إمارة أم القوين)، (٦) **البدية** (إمارة الفجيرة)،(٧) **كلباء** (إمارة الشارقة)، **(٨) وادى**

مستوى الأحيزة التاريخيّة على مستوى الإمارات	**سوق** (إمارة ابي ظبي)، **(٩) القصيص** (إمارة دبي)، **(١٠) رميله** (إمارة ابي ظبي)، **(١١) جرن** (إمارة أبي ظبي)، **(١٢) الثقيبة** (إمارة الشارقة)،**(١٣) أم صفاة** (إمارة الشارقة)،**(١٤) مويلح** (إمارة أم القوين)، **(١٥) تل أبرق** (إمارة الشارقة)،
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ المناذريّ.**
١٦	
مملكة البحرين توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة على مستوى المملكة	**(١) دلمون** (محافظة المنامة).
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ المناذريّ.**
١٧	
سلطنة عمان توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة على مستوى المحافظات	**(١) خور روري (محافظة ظفار)، (٢) غنيم (محافظة الوسطى)،(٣) رأس الحمراء (مسقط العاصمة)،(٤) رأس الجنز (محافظة الشرقيّة)، (٥) بات (محافظة الظاهرة) (٦) سمد الشأن (محافظة الشرقيّة)،(٧) سلوت (محافظة الداخلة)، (٨) مدحا (محافظة مسندم)، (٩) الواسط (محافظة الباطنة)، (١٠) قلعة صحار (محافظة الباطنة).**
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/ أوعية "الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة.**
١٨	
دولة اليمن توزيع الشواهد الأثرية على مستوى الأحيزة التاريخيّة على مستوى المحافظات	**(١) محافظة شبوة (٢) محافظة مأرب (٣) محافظة الجوف (٤)محافظة حضرموت (٥) محافظة تعز (٦) محافظة صنعاء**
النسب المكانيّ للشواهد الأثرية وأوعيتها الحضاريّة	**ديار العربيّة السعيدة/ الوعاء الحضاريّ السبئيّ/ الوعاء الحضاريّ القتبانيّ/الوعاء الحضاريّ المعينيّ/الوعاء الحضاريّ الأوساني/الوعاء الحضاريّ الحضرميّ/الوعاء الحضاريّ الحميريّ.**

المصدر: الجدول من عمل الباحث؛ اعتمادًا على ما يأتي:

- **الهيئة العامة للسياحة والآثار (٢٠١٧): المواقع الأثرية والتاريخيّة في المملكة العربيّة السعودية، الرياض.**
- **صالح عبد العزيز (١٩٩٤): تاريخ شبه الجزيرة العربيّة في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.**

ثانيًا- التنظيم البنيويّ لتوزيع المقدمات التاريخيّة في ديار العربيّة.

يُقصد بالتنظيم البنيوي هنا محاولة اختزال توزيع المقدمات العمرانية فى قيم رقيمة واضحة يمكن من خلالها الاستدال على ما كانت عليه عمومية اتجاهاتها المكانية وكذلك علاقاتها الارتباطية. وفى حقيقة الأمر لا يوجد مقياس واحد أو معامل إحصائي بعينه يمكن من خلاله تحقيق هذا الاستدلال ولذلك اعتمدت الدراسة على مجموعة من المقاييس فى إطار تراتيبي يتمثل فى الخطوات التالية.

١-الخطوة الأولي: المركز الجغرافيّ المتوسط Mean Center

وخلال هذه الخطوة اسُخدم مقياس المركز الجغرافي المتوسط الذي يعد أحد المقاييس المستخدمة لقياس النزعة المركزية المكانية لمجموعة من الظاهرات النقطية. واعتمادًا على توزيع الشواهد الآثرية على نحو ما جاء بالشكل رقم (السابق) وبناءً على مخرجات الجدول رقم (٥)

الجدول رقم (٥): المركز الجغرافي المتوسط لتوزيع الشواهد الأثرية على مستوى ديار العربية

CenterX	CenterY
43.945949	24.28582

ومخرجات الشكل رقم (٢٤)

الشكل رقم (٢٤): المركز الجغرافيّ المتوسط لتوزيع الشواهد الآثرية على مستوى ديار العربية

يتضح أن المركز الجغرافي المتوسط الذي يختزل جملة توزيعات المقدمات العمرانية على مستوي "ديار العربية" يقع فى إطار منطقة "الرياض" حاليًا والتى بدورها تكاد أن تتوسط عمومية "ديار االعربية". وفى حقيقة الأمر فإن تلك المخرجات تعد من النتائج الطبيعية في ضوء توزيع المعطيات الآثرية التى أوضحها الشكل رقم (السابق) بل وتؤكد ذلك مخرجات

مقياس المركز المتوسط الفعليّ **Central Feature** وذلك على نحو ما توضحه معطيات الجدول رقم (٦)

الجدول رقم (٦): المركز المتوسط الفعلي لتوزيع الشواهد الأثرية على مستوى ديار العربية

Rotation	y	x
108.904951	23.96667	43.46667

وتوضحه كذلك مخرجات الشكل رقم (٤٢) الذي تتجاور فيه مخرجات كل من المركز الجغرافيّ المتوسط وكذلك المركز المتوسط الفعليّ.

٢-الخطوة الثانية: التوزيع الاتجاهي Direction Distribution

وخلال هذه الخطوة استُخدمت أداة التوزيع الاتجاهي. وتعد تلك الأداة من أهم الأدوات التى من شأنها أن تُسهم فى إيضاح عمومية اتجاه التوزيع المكاني لجملة المقدمات العمرانية على مستوى "ديار العربية". ليس هذا فحسب بل من شأنها أن تُسهم فى إعادة بناء الجغرافيات التاريخية التى كانت عليها "ديار العربية" لاسيما التى تتعلق بطرق التجارة والمحطات الرابطة بينها. وبناءً على معطيات الجدول رقم (٧)

الجدول رقم (٧): التوزيع الاتجاهي للشواهد الأثرية على مستوى ديار العربية

Center X	Center Y	X StdDist	Y StdDist	Rotation
43.945949	24.285816	8.578113	5.63947	108.904951

ومخرجات الشكل رقم (٢٥) ، يتضح أن اتجاه القطع الناقص الذي يتضمن العدد الأكبر من المقدمات العمرانية على مستوي "ديار العربية" له توزيع واضح يتخذ من اتجاه الجنوب والجنوب الشرقيّ إلى اتجاه الشمال والشمال الغربيّ (أو حتى اتجاه الشمال والشمال الغربيّ إلى الجنوب والجنوب الشرقيّ) بنيته التنظيمية. والحقيقة أن هذا الاتجاه يحمل بين طياته العديد من المعطيات الاستدلالية التى تشير إلى حركة الجغرافيات بين المقدمات العمرانية على مستوى "ديار العربية" حيث يمكن القول بإنها كانت تتدفق من اتجاه الجنوب الشرقيّ إلى اتجاه الشمال الغربيّ. وهنا تكمن إحدى المدخلات التى تفسر بواعث القيمة التى كانت عليها

المقدمات العمرانية على مستوى "ديار العربية". ولعل من أبرز المقاييس التى تؤكد صحة المعطيات الاستدلالية سابقة الذكر مقياس **المسافة المعيارية Standard Distance** ،

الشكل رقم (٢٥): التوزيع الاتجاهي للشواهد الآثرية على مستوى ديار العربية

واعتمادًا على معطيات الجدول رقم (٨)

الجدول رقم (٨): المسافة المعيارية لتوزيع الشواهد الأثرية على مستوى ديار العربية

Center X	Center Y	StdDist
7.259	45.61	165.53

ومخرجاته التى تضمنها الشكل (السابق) يتضح أن الدائرة التى نجمت عن مقياس المسافة المعيارية والتى تشتمل على نطاق تركز المقدمات العمرانية على مستوى "ديار العربية"؛ تكاد أن تتسق تمامًا مع اتجاه القطع الناقص الناجم عن أداة التوزيع الاتجاهي.

٣-الخطوة الثالثة: أداة كثافة كيرنال Kernel Density Tool

يمكن القول بإن المركز المتوسط، والمركز المتوسط الفعلى، والتوزيع الاتجاهى مقاييس وأدوات أسهمت فى معرفة منظومة البناء التوزيعي التى كانت عليها المقدمات

العمرانية على مستوى عمومية "ديار العربية"، بيد أن قيمة هذه المقاييس والأودات لم تكن لتكتمل كناحية تفسيرية أو تحليلية إلا باستخدام "أداة كثافة كيرنال" تلك الأداة التى تأخذ فى الاعتبار كافة المقاييس والأدوات السابقة مُضافًا إليها عدد نقاط مواضع المقدمات العمرانية على مستوى "ديار العربية". وباستخدام هذه الأداة وبمخرجاتها التى يجملها الشكل رقم (٢٦) يمكن التأكيد على حقيقة اتجاه بواعث القيمة على مستوى جغرافيات "ديار العربية" حيث يمكن القول بإنها كانت تتجه من الجنوب إلى الشمال بصفة عامة و حتى من الشمال إلى الجنوب بصفة خاصة، ليس هذا فحسب بل أن النتيجة المهمة فى هذه المخرجات مفادها: **أن اتجاه بواعث القيمة على مستوى جغرافيات "ديار العربية" تكاد أن تتفق تمامًا مع اتجاه الطرق التجارية التاريخية التى كانت تربط بين جنوبي "ديار العربية" من ناحية وشمال "ديار العربية" من ناحية أخرى.** وفى حقيقة الأمر فإن

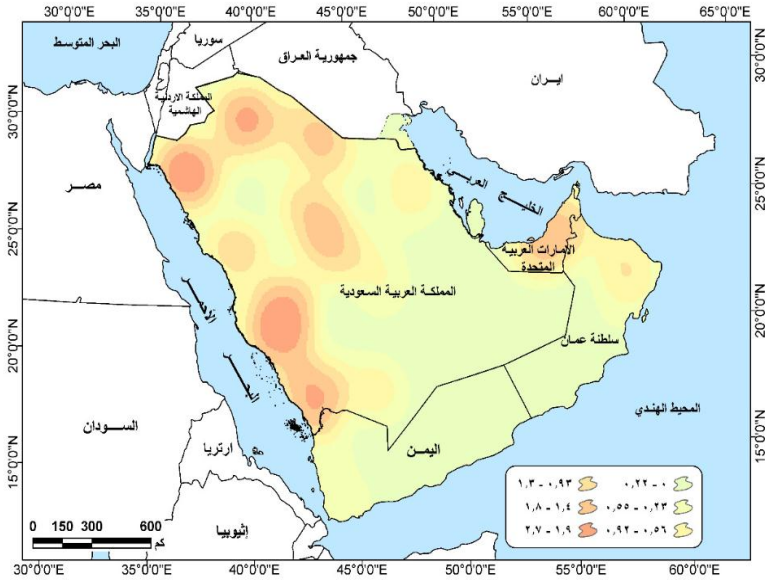

الشكل رقم (٢٦):كثافة توزيع المقدمات العمرانية على مستوى ديار العربية

هذه النتيجة تمثل البعد المهم على مستوى هذا المحور فى الدراسة وذلك لأسباب عديدة سيتم التعرف على جوانبها الدقيقة من خلال المحاور التالية فى الدراسة.

الجزء الثاني :البناء التطبيقيّ

تحمل كتب التاريخ الكثير من الأخبار التي تتعلق بـ "ديار العربيّة"؛ حتى إن الكثير منها يصعب وضعها في سياق تراتبيّ منظم. والحقيقة أن تاريخيّة هذه الديار ليست كغيرها من الأمكنة لأسباب عديدة يمكن تحديد مساراتها في اتجاهين، هما:

- **أسباب ترتبط بخصائصها الذاتية.**
- **أسباب ترتبط بمجموعة من المؤثرات الخارجية.**

ولعل من اللافت للانتباه أن المفاضلة بين هذين المسارين كثيرًا ما كانت تجنح إلى المؤثرات الخارجية أولًا، ومن بعدها الخصائص الذاتية وهذا عكس ما كان يُظن. وبناءً على كثرة أخبارها، واختلاف مساراتها، وسعيًا إلى تحقيق أهداف الدراسة كان لابد من تحديد بعض القواعد الشرطية المعرفية التي تم الاعتماد عليها لبناء تاريخيّة "ديار العربيّة" في ظل ضمانات واضحة، ولعل من هذه القواعد ما يأتي:

١ –في ظل عبارة استدلاليّة يمكن القول: إن العديد من الأمكنة على مستوى "ديار العربيّة" شهدت جملة من التعايشات الجغرافيّة بمستويات حضاريّة متباينة. بيد أن القليل منها هو المعروف حاليًا؛ اعتمادًا على شواهده الأثرية وعلاقته التجاريّة. وقد يحمل المستقبل القريب بين طياته من الإمكانات ما يساعد على الكشف عن بعضهم الآخر.

٢ –تزامنت العديد من المستويات الحضاريّة المتباينة في فترة واحدة، وهذا الأمر أدى إلى وجود نوع من التداخل كان نتاجه –في كثير من الأحيان– الاضطراب عند محاولة بناء الأحداث التاريخيّة في ظل منظومة تراتبية واضحة الزمن.

٣-كاد يكون لكل مستوى حضاريّ إطار ذاتيّ في حيز جغرافيّ واضح فيه تكونت ومن خلاله تعايشت، وبعلاقاته اتَّجرت.

٤-على الرغم من التقارب المكانيّ الذي كاد يصل إلى حد اِلْإلتحام فإن حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" لم تتوحد في إطار جامع إلا في فترات زمنية محدودة في ظل عمادة القوة.

٥-قامت حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" على ممارسة الزراعة أولًا وبدافعيتها مارست التجارة، أي: أنها نهضت بأسباب ذاتية وازدهرت بأسباب فوائضها الخارجية.

٦-وفي قاعدة تمثل المحرك النابض والمؤثر الرجراج في "ديار العربيّة السعيدة" يمكن القول: إن حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" كانت تجني آثار التغييرات التي كانت تنتاب القوس الحضاريّ الذي كان يغلف "ديار العربيّة السعيدة" من الشمال الشرقيّ والشمال، والشمال الغربيّ بداية من القرن (الثانى عشر ق.م) .

٧-وفي قاعدة استدلاليّة واضحة؛ واعتمادًا على القاعدة السابقة، شهدت العديد من المقدمات العمرانيّة في شماليّ "ديار العربيّة" موجات من الهجرات إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" وتحديدًا فيما يُعرف اليوم بـ "اليمن".

٨-واعتمادًا على القاعدة الاستدلاليّة السابقة فإن أمر هذه الهجرات أدى إلى وجود اضطراب تاريخيّ يتعلق بالنسب المكانيّ لكثير من حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". وفي إطار ذلك يمكن القول: إن هذه القاعدة إذا ما أُحسن فهمها وإدراك اتجاهاتها على ضوء مجموعة من الخرائط التتابعية من حيث الزمن والكلية على مستوى الأمكنة؛ لسوف يكون نتاج ذلك سد العديد من الثغرات التي تدور في فلك عدم معلومياتها العديد من الأحداث التاريخيّة؛ ولاسيما فيما يتعلق بحضارة "سبأ" وغيرها من الحضارات.

وفي إطار تلك القواعد كانت لدى بعض الحضارات خطوات زائدة من الاستباق العمرانيّ والوفر الاقتصاديّ أفضيا إلى نتاج تعايشيّ إقليميّ وسبق تقدميّ تأثيريّ. وبكليهما استطاعت هذه الحضارات صباغة مجموعة من الأوساط البيئيّة بصبغة جغرافيّاتها الذاتية فأضحت واقعًا حضاريًا منسوبًا إليها في الزمان والفعل المكانيّ. وبتلك الواقعية اكتسب الجزء الجنوبيّ من "ديار العربيّة السعيدة" جملة من الأوعية الحضاريّة تدل شواهدها الأثرية على مكانتها الحضاريّة(١).

وفي حقيقة الأمر فإن تلك القواعد من شأنها أن توجه بإعادة التفكير فيما يُظن بأن "ديار العربيّة" لم تشهد في بداية القرن (الثاني عشر ق.م) أطرًا تعايشيّة محددة. فأهلها كانوا ينتشرون هنا وهناك حيثما استطاعوا، وفي كل اتجاه؛ بحثًا عن الأراضي النباتية المعيشية التي يتوافر فيها الرعي والصيد. والرد أن واقعية أحيزتها التاريخيّة تنبأ بالعكس تمامًا ولولا العكس لما كانت هناك إمكانيّة التعايش في ربوع شبه جزيرة تعاني من القلة، ولولا القلة لما كانت هناك تباينات تتحدد على ضوئها قيمة القبائل، ولولا العكس لما كانت هناك محطات تجاريّة كانت –في حد ذاتها– بؤرًا مصبية تنتهي إليها طرق تجميعية لتخرج منها أخرى توزيعية.

ومهما كان الأمر(٢) فيمكن القول: إن "ديار العربيّة" بصفة عامة شهدت خلال تلك الفترة نوعًا من ترسيم الحدود الداخلية لم تتحدد وفق الخطوط الإدارية إنما تحددت بفرضها وفق ضوابط الهيمنة القبليّة. ولعل ذلك الفرض كان يتصف بتوازنٍ دقيق يتناسب طرديًا مع الانتشار الأقصى للقبائل داخل أقاليم هيمنتها.

---

(١) الاهتمام بالجنوب لا يعني: أنه لم توجد حضارات في وسط "ديار العربية السعيدة" وشماليّها، ولكن الاهتمام بالجنوب سببه الأساسيّ كثرة الشواهد التي أسهمت في معرفة تأريخ ما كان قائمًا من جغرافيات تعايشية، وربما إذا تم اكتشاف مدخلات جديدة وشواهد جديدة في وسط "ديار العربية السعيدة" لتغيرت هذه الفكرة.

(٢) هذا أمرٌ يحتاج إلى مراجعات تاريخيّة دقيقة في ظل التعويل على الحركة الدائمة للقبائل التي تشكلت منها هذه الحضارات على مستوى "ديار العربية السعيدة".

المحور الثالث:

الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة

اعتمادًا على ضوابط الهيمنة القبليّة وروافدها الانتفاعية الكلية، تحددت أطر أحيزتها الجغرافيّة؛ ولعل تلك الروافد وتلك الأطر كانت بمنزلة مدخلات التحول من الأوضاع القبليّة إلى تنظيمات الهيمنة السياسيّة، والظن الغالب أن ذلك لم يتم بسهولة وفي وقت قصير بيد أنه تم، وسواء أكان ذلك واقعًا بالتحالف بين القبائل المتقاربة مكانيًا، أم المترابطة نسبيًا، أم بالمصالح المشتركة، أم حتى بالتغليب؛ فلقد بات لبعض القبائل خطوات استباقية وأطر سيادية عند مقارنتها بغيرها، وبهذه الخطوات تكونت مدخلات الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". وفيما يأتي التعرف إلى مدخلات عمومية القيمة في بنيتها التكوينية.

أولًا- الوعاء الحضاريّ السبئيّ[(١)].

يؤيد الباحث ما ذهب إليه "مونتكومريّ" بشأن "السبئيين" المذكورين في النصوص "السومرية"؛ حيث يرى أنهم كانوا من سكان منطقة "العرب الصحروية" – وذلك على نحو ما جاء بتحديد أقسام العرب في الشكل رقم (١٩)- ومنها ارتحلوا إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" (على، ١٩٩٣: ج/٢- ص٢٦٠).

والحقيقة أن هذا الرأي يتسق -تمامًا- مع جملة من المدخلات التاريخيّة التي إذا ما أُحسن بناؤها ستُحسن مخرجاتها، وإذا حَسنت مخرجاتها أمكن الاستدلال والفصل بين الأحداث التاريخيّة؛ ولاسيما أن هناك من الباحثين من يقصر موطن

(١) ما يجب التنويه عنه والانتباه إليه أن ثمة فرقًا بين مملكة "سبأ" من ناحية، وبين حضارة "سبأ" من ناحية أخرى. فمملكة "سبأ" هي الجزء الأصغر في الكل الأكبر من حضارة "سبأ"، وبأكثر دقة هي الكيان القائد الاستباقيّ في الكل الذي كان يتمثل في حضارة كانت أشبه باتحاد فيدراليّ مشترك تكون من مملكة "سبأ" ومملكة "حضرموت"، ومملكة "قتبان"، ومملكة "معين"؛ ومن ثم فهي كيان سياسيّ كان يقود كيانات أخرى في **ظل اتحاد حضاريّ مشترك**؛ ومن ثم فإن انهيار مملكة "سبأ" لم يكن يعني -بالضرورة- انهيار الممالك الأخرى، وهذا ما أدى إلى وجود اضطراب تاريخيّ عند محاولة الفصل بين التاريخيّة الزمنية لهذه الممالك وبعضها بعضًا.

"السبئيين" ومحياهم على منطقة "العرب الصحراوية" في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" (صالح،١٩٩٤: ص.ص ٤٠-٤٢). ولعل من هذه المدخلات ما يأتي:

- لم يكن موطن السبئيين في شماليّ "ديار العربيّة" بصفة عامة يتصف بالاستقرار من الناحية السياسيّة بداية من القرن (الثالث عشر ق.م) لأسباب عديدة، منها: تعدد مؤثرات الحضارات التي كانت تحيط بشمال "ديار العربيّة" بصفة عامة في شكل قوس كان يبدأ من مملكة "عيلام، مرورًا ببلاد "بابل" ومملكة "آشور"، ومملكة "ميتاني"، ومملكة الحيثيين" انتهاء بـ "مصر"، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٧)

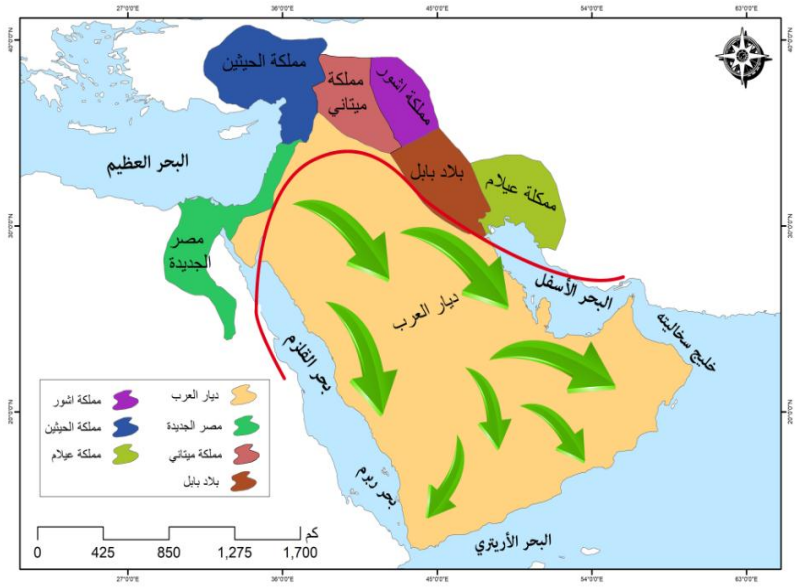

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٢٧): القوس الحضاريّ على مستوى العالم القديم في القرن(الثالث عشر ق.م)

والحقيقة أن هذا الأمر لم يقتصر على تعدد مؤثرات الحضارات فحسب، إنما تجاوز ذلك ليصل إلى حد اختلاف الرؤى والتطلعات بين هذه الحضارات. ومن ثم لم يكن الإطار المكانيّ في شمال "ديار العربيّة السعيدة" يتصف بالاستقرار الذي من شأنه أن يؤدي إلى العمران الذي بدوره ينتهي إلى الحضارة. ولعل

ذلك يتسق تمامًا مع رأي "مونتكومري" ومن بعده "هومل" بصدد موطن السبئيين.

- في ظل عدم الاستقرار السياسيّ فإن المحلات العمرانيّة التي كانت توجد في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" – حيث ديار العربيّة الصحروايّة"، و"ديار العربيّة الصخرية"– خلال القرنين (العاشر والتاسع ق.م) لم تكن في مستوى من الغنى الذي يؤهلها لتقديم هدايا تتصف برفعة مكاناتها كتلك التي تقدمت بها إحدى ملكات حضارة "سبأ" إلى النبيّ "سليمان" –عليه السلام–. والحقيقة أن قيمة التأريخ هنا لا يجب أن تقتصر على مضمون الهدايا بقدر ما يجب أن تتطرق إلى المستوى الحضاريّ للأمكنة التي تقدمت بهذه الهدايا.
- واستكمالًا للنقطة سالفة الذكر، فإن الخصائص الطبيعيّة لمنطقة شماليّ "ديار العربيّة السعيدة"– حيث ديار العربيّة الصحروايّة"، و"ديار العربيّة الصخرية"– لم تكن لتسهم في مزاولة اقتصاديّات الزراعة؛ كونها منطقة صحروايّة، وهذا أمرٌ لم يتسق تمامًا مع معطيات حضارة "سبأ" التي قامت على ممارسة حرفة الزراعة.

وبناءً على ذلك يمكن القول: إن "سبأ" حضارة بُذرت في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة"، ونبتت بوصفها بنية حضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"، وبين البذر والإنبات كانت الهجرة إلى الجنوب في ظل محطات مؤقتة أثمرت –فيما بعد– عن العديد من القرى. ولقد مارست هذه القرى دور حلقة الوصل والربط بين الموطن الأصليّ في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" وبين المستقر النهائيّ في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة".

ولمزيد من محاولة إدراك ما كانت تعنيه اتجاهات تاريخيّة العلاقة التي جمعت بين البذر، والنبت، والتثمير يقتضي الأمر التعرف إلى الوعاء الحضاريّ "السبئيّ" لا بعدّه وحدة حضاريّة في زمنية واحدة متصلة فحسب، إنما يجب التعرف إليه كذلك بعدّه وحدة حضاريّة تنطوي بداخلها على فترات بنائيّة ضعف فيها

الاتصال الزمنيّ فضعُفت وحدتها فتغلبت فيها الذاتية. ولعل هذا الاقتضاء بوصفه معالجة يحمل من الإمكانات ما يسهم في استيضاح الأحداث بمعطيات، من شأنها: تفسير كثير من الأحداث التاريخيّة، وفيما يأتي ذلك.

١ – الوعاء الحضاريّ السبئيّ في الفترة من القرن (الثالث عشر ق.م) إلى القرن (الحادي عشر ق.م).

تدفقت الهجرات من شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" في ظل عدم الاستقرار السياسيّ الذي شغله القوس الحضاريّ في شمال "ديار العربيّة السعيدة". وعلى ضوء الآيتين الكريمتين الآتيتين:

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ(١٥) صدق الله العظيم/ سورة سبأ الآية (١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ(١٨)) صدق الله العظيم/ سورة سبأ الآية (١٨)

يتضح أن المستقر الجديد في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" لم يكن يتسنى إلا في ظل محددات بيئيّة معينة كفلت بلوغ درجة عالية من تنظيم الوعاء السبئيّ الحضاريّ وسيطرته على وسطه البيئيّ؛ ومن ثم تحويله إلى حيز جغرافيّ، وبتلك السيطرة استطاع هذا الوعاء خلال تلك الفترة التعايش في منطقة تعد –في جملتها– من أهم الأقاليم في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ تلك التي تُعرف بإقليم "سبأ الحضاريّ" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٨). ليس هذا فحسب، بل استطاع الوعاء السبئيّ أن يستفيد –بعد ذلك– من جملة المحطات العمرانيّة التي

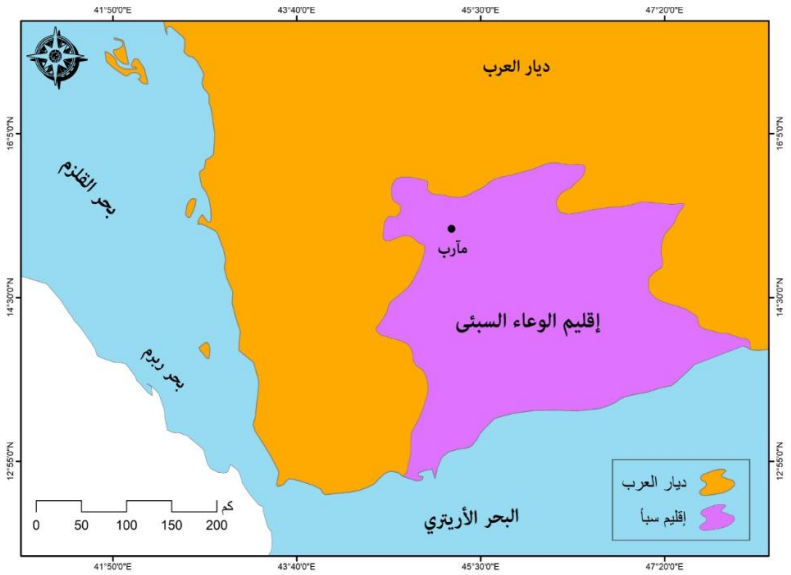

شكل رقم (٢٨): إقليم الوعاء السبئيّ الحضاريّ في القرن (الحادى عشر ق.م)

أَمِنَها فاستراح فيها في أثناء هجرته من شماليّ "ديار العربيّة" بصفة عامة إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" في إطار جملة من العلاقات التجاريّة ربطت بين موطنه الأصليّ وكذلك متطلبات الممالك الشماليّة من ناحية، وبين مستقره النهائيّ في الجنوب من ناحية أخرى. ولعل ذلك ما جعل "شرادر" و"كيبرت"، و"هارتمان"، و"دلتش"، و"فريتز هومل" يظنون أن السبئيين عاشوا –أصلًا– في شماليّ "ديار العربيّة" حيث "العربيّة الصحروايّة" و"العربيّة الصخرية" (صالح،١٩٩٤: ص ٤٤). بل جعل "مولر" و"جلاسز"، و"فنكلر"، و"ماير، وألوا موزيل" يظنون أن السبئيين عاشوا في الجنوب، ولكن جالية منهم اتجهت خلال القرن (الثامن ق.م) إلى واحة "تيماء"، في منطقة "الجوف الشماليّ"، ولو أن جميعهم راجعوا نصوص الآيات السابقة؛ لأدركوا أنها حضارة نشأت في الجنوب وتواصلت مع موطنها في الشمال؛ ولأدركوا –أيضًا– أن بين النشأة والتواصل كانت هناك العديد من القرى التي ربطت بين هذا وذاك.

وفيما يرتبط بالدراسة فإن الوعاء "السبئيّ" بمدخلات أحيزته الجغرافيّة وباقتصاديّات أوساطه البيئيّة كان له قصب السبق الحضاريّ والتمدد المكانيّ عند مقارنته بغيره من حضارات الأحيزة الجغرافيّة الأخرى في "ديار العربيّة السعيدة". ولما كانت القرى المباركة –سالفة الذكر– كانت تقع في الجزء الأوسط من هذه الديار، فإن هذا الجزء كان بمنزلة ممر ربط بين الوعاء "السبئيّ الحضاريّ" في الجنوب، وبين منطقة العرب الصحراوية والصخرية بما كانت تنطوي عليه من احتياجات في الشمال؛ ومن ثم لم يكن الجزء الأوسط في "ديار العربيّة السعيدة" خلال القرن (الحادي عشر ق.م) تحديدًا سوى ممر حضاريّ بين مخرجات حضاريّة جنوبيّة ومتطلبات ممالك شماليّة، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل(٢٩)

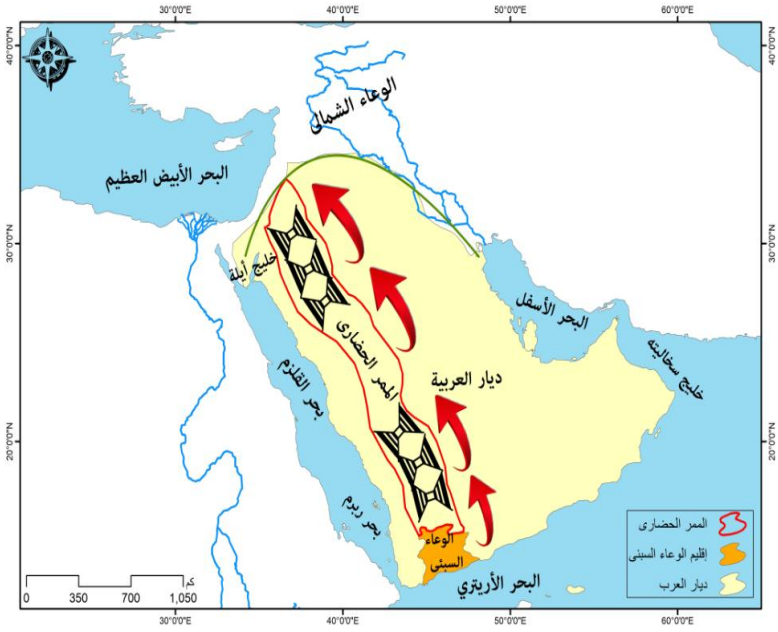

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٢٩): الممر الحضاريّ بين الوعائين السبئيّ والشماليّ في القرن (الحادي عشر ق.م)

والمحصلة، لم يستطع السبئيون في مواطنهم الأصليّة شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" سواء أ كانوا في "ديار العربيّة الصحراوية"، أم كانوا في "ديار العربيّة

الصخرية" أن يكونوا جزءًا من مكون النطاق السياسيّ غير المستقر، بدافعية اختلاف رؤى الحضارات المحيطة بهم آنذاك وتطلعاتها، وبهجرتهم نحو الجنوب اكتسبوا قيمة مضافة بما كان لدى الإقليم الذين استقروا فيه من خصائص طبيعيّة ساعدت في ممارسة حرفة الزراعة، وبهذه الممارسة اكتسبوا قيمة مضافة أخرى تم توظيفها لخدمة العلاقات التجاريّة مع موطنهم القديم، وكذلك جملة الممالك الشماليّة غير المستقرة من الناحية السياسيّة.

٢ – الوعاء الحضاريّ السبئيّ في الفترة من القرن (العاشر ق.م) إلى القرن (التاسع ق.م).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

"وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)

صدق الله العظيم/ سورة النمل من الأية (١٨) إلى الآية (٢٥)

ورث النبيّ "سليمان" –عليه السلام– النبيّ "داود" –عليه السلام– في الملك في إطار ما يُعرف بمملكة "داود" خلال القرن (العاشر ق.م) ، غير أنه لم يرث معرفة العلاقات التجاريّة –إن كانت موجودة في فترة النبيّ دواد عليه السلام– بين مملكته في شمال عمومية "ديار العربيّة" سواء أكانت "السعيدة" أم كانت"الصحراوية" أم كانت"الصخرية" من ناحية وبين "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" من ناحية أخرى. ولعل دليل ذلك حديث "الهدهد" في الآية الكريمة رقم (٢٢) سابقة الذكر. والحقيقة أن هذا الأمر يتسق –تمامًا– مع واقعية الأحداث التاريخيّة إذا ما أُحسن تنظيمها في نسق كليّ شموليّ ينسب للمكان.

فبناءً على حالة عدم الاستقرار السياسيّ التي كانت عليها الممالك والدويلات في شمال عمرمية "ديار العربيّة" خلال الفترة من القرن (الثالث عشر ق.م) إلى القرن (الحادي عشر ق.م) استطاعت مملكة "آشور" بسط نفوذها إلى الغرب منها؛ فسيطرت على جملة أراضي القوس الحضاريّ آنذاك؛ فشملت مملكة "متياني"، ومملكة "الحيثيين"، وكذلك الجزء الأكبر من "مصر الحديثة". وبذلك تحول الجزء الأوسط من "ديار العربيّة السعيدة" من كونه ممرًا حضاريًا بين "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" في الجنوب وبين الممالك الشماليّة التي تقع شماليّ وشمال عمومية "ديار العربيّة" إلى ممر غلب عليه "**الجمود التجاريّ**" وذلك بسببية الهيمنة "الآشورية" على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٠).

أما بصدد مملكة النبيّ "داود" عليه السلام فلقد كانت الجزء الأصغر في الكل الأكبر من هيمنة "الآشوريين" على شرقيّ، وشماليّ، وغربيّ عمومية "ديار العربيّة" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣١)

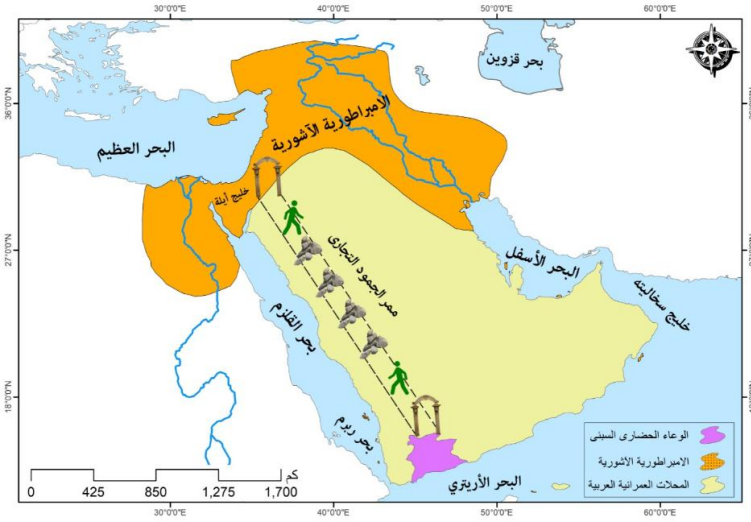

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٣٠): ممر الجمود التجاريّ خلال القرن (العاشر ق.م)

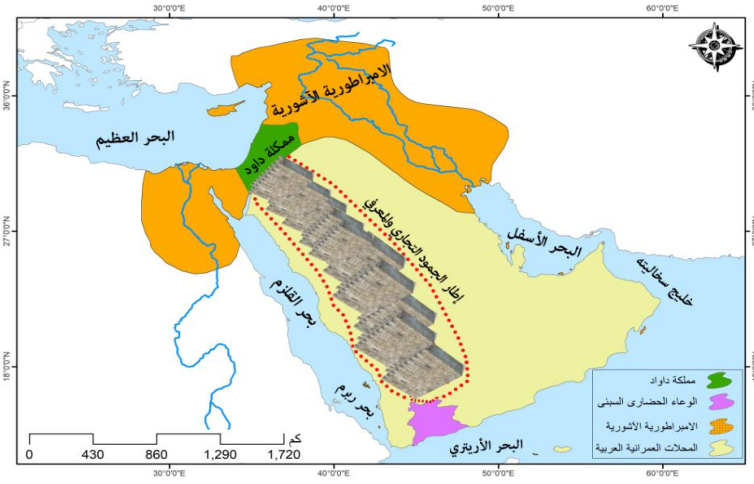

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٣١): مملكة النبيّ دواد في إطار
الجمود التجاريّ والمعرفي خلال القرن (العاشر ق.م)

والمحصلة، نجح "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" خلال تلك الفترة أن ينأى بمعطياته المكتسبة عن منطقة ساد فيها الاضطراب السياسيّ ومن بعده "**البناء**

الفوضويّ"[١] (وليس الفوضى الخلاقة)، في ظل رؤية توسعية غلبت على "الآشوريين". وفيما يتعلق بمملكة النبيّ"داود" –عليه السلام– الذي يعد عبرانيًا مثاليًا[٢] ومن بعده النبيّ "سليمان"– عليه السلام– يمكن القول: إن مملكتهما تعد أحد مظاهر نتاج "**البناء الفوضويّ**" في ظل هيمنة "الآشوريين" على ما يُعرف الآن بـ "بادية الشام". والحقيقة أنه خلال هذه الفترة ظهر العديد من الممالك والدويلات التي تعدّ نتاج "**البناء الفوضويّ**" في هذه المنطقة تحديدًا، ولعل منها دويلات "الفينقيين" التي كانت تتلاقى بحدودها الجنوبيّة مع الحدود الشماليّة لمملكة النبيّ "داود" عليه السلام.

٣ – الوعاء الحضاريّ السبئيّ المكاربيّ خلال القرن (الثامن قبل الميلاد) [١]:

ليس كما يُظن، وخلال التاريخ فلا توجد حضارة ورثت حضارة، إنما يوجد حضارة نمت بضعف حضارة أخرى. وفي حقيقة الأمر فالنمو هنا لفظة مجازية لا تعني النشأة والازدهار بقدر ما تعني: أنها –في فترة سابقة– نالت من تداعيات نجاح حضارة من قبلها، وبضعفها في فترة لاحقة بقيت واستطاعت الحفاظ على مكتسباتها، وهذا يعني: أنه نجاح مكتسب بفضل ضعف الآخر. وهنا تكمن القيمة في ضرورة التمييز بين الحضارة الأصيلة من حيث النشأة والحضارة المهجنة من حيث التكوين والانتفاع. وبنزعة دينية، وبألقاب غلب عليها الوساطة بين الآلهة من ناحية، ومجتمع "الوعاء الحضاريّ" السبئيّ من ناحية أخرى. وسعيًا إلى بسط الهيمنة في ظل نفوذ فقد الكثير من تاريخيته القوية التي كان عليها؛ تلقب الحكام

---

[١] نسبة إلى نظرية الفوضى.

[٢] عبرانيًا نسبة إلى العبرانيين، وهم الذين تحولوا وانتقلوا من البداوة إلى الحضر، أي: انتقلوا من الصحراء إلى المحلات الفلسطينية (على، ١٩٩٣:ج/١ ص٦٣٠).

[١] وفيما يتعلق بزمنية الحضارة، فليس معنى نسبها إلى زمنية محددة أنه لم يكن لها وجود قبل ذلك، بل يعني: أن نضجها الحضاريّ والتأثيريّ ظهر خلال هذه الفترة، وقد يسبق هذا النضج قرون عديدة لم تكن خلالها سوى كيان حضاريّ محدود التأثير والفعل.

باسم "المكرب" والذي يعني: المقرب من الآلهة، والوسيط بين الآلهة والناس (جواد على، ١٩٩٣: ج/٢-٢٦٨).

وبناء على ذلك يمكن القول: إن "المكاربة" انسخلوا عن "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" **بدافعية الدين** خلال فترة يؤرخ لها في القرن (الثامن ق.م) (صالح،١٩٩٤: ص ٥٥). أما ازدهارهم فلقد كانت بواعثه بناء مشروعهم القوميّ الذي تمثل في بناء سد اعتراضيّ لتجميع المياه عُرف بسد "مأرب". وبالماء استطاع "الوعاء الحضاريّ السبئيّ المكاربيّ" السيطرة على وسطه البيئيّ الذي كان يتمثل في وادٍ خصب شبه دائريّ، وبناء حيزه الجغرافيّ وتنظيمه الذي تمثل في مدينة "**صرواح**" – حيث لم يتخذ المكاربيّون "**مأرب**" عاصمة لهم على الرغم من كونها عاصمة المملكة الأشهر التي كانت قبلهم– وبالسيطرة ومن بعده التنظيم تمكن المكاربيّون من اتخاذ جملة من التدابير استطاعوا من خلالها التقدم في مجال الزراعة. بيد أن الزراعة بمفردها لم تكفل البقاء لمن سبقتها؛ لذا كان لابد من البحث عن تدابير أخرى تعين على البقاء ولم يكن مصير من سبقهم ببعيد. وبالفعل نجح العِلِّيُّون فيهم من صباغة وسطهم البيئيّ وحيزهم الجغرافيّ بصبغة تمكنهم من البقاء، ولم تكن تلك الصبغة سوى سلطة الدين التي أضحت معابده السمة الغالبة في حضارتهم. وبذلك تمكن المكاربيّون بالماء بوصفه باعثًا للاقتصاد، وبسلطة الدين بوصفها باعثًا للتوجيه من اكتساب خطوات استباقية عن غيرهم من الممالك المحيطة بهم، وكذلك المقدمات العمرانيّة في "ديار العربيّة السعيدة". وفي إطار ذلك يرى العديد من المؤرخين أن عليهم أن يفتخروا بمشروع سدهم المائيّ الذي تقترب قيمته –بعض الشيء– من "اللاهون" في "مصر" والذي تم بناؤه في القرن (الثامن عشر ق.م) (صالح، ١٩٩٤: ص٦٥). وفي إطار ذلك، وما يجب التنوية إليه أن منطقة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" شهدت –خلال تلك الفترة– نوعًا من البناء الحضاريّ بفعل اقتصاديّات كانت توجّه بغلاف الدين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وخلال ذات الفترة فإن القوس

الحضاريّ الذي كان يقع إلى الشمال من "ديار العربيّة السعيدة" كان يشهد تحولًا من "**البناء الفوضويّ**" إلى "**الفوضى الخلاقة**" ، وكان من أبرز مظاهره انقسام مملكة النبيّ "سليمان" التي لم تستمر بين نشأتها وزوالها سوى (قرن)، فلقد قسمت إلى مملكتين: (الأولى) في الشمال وتُعرف بمملكة "إسرائيل"، و(الثانية) في الجنوب وتُعرف بمملكة "يهوذا" وكلاهما مُضاف إليه الدويلات الفينيقية في إطار الهيمنة الآشورية، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٢).

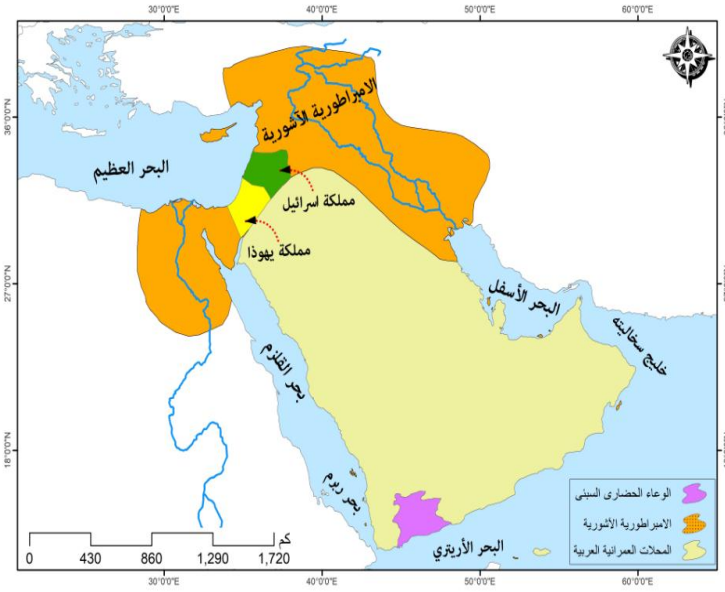

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٣٢): الآشوريون ومحصلات الفوضى الخلاقة في مملكة النبيّ داود خلال القرن (الثامن ق.م)

وبصدد "الوعاء الحضاريّ السبئيّ المكاربيّ" فلما أعرضوا بفعل الخلاف بين رؤى العِلِّيِّين أصحاب السلطة الانتفاعية والصبغة الدينية وبين غيرهم من أصحاب السلطات الأقل شأنًا في الأقاليم المجاورة لهم، وذلك على نحو ما جاء بالآية الكريمة: بسم الله الرحمن الرحيم

(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)) صدق الله العظيم/ سورة سبأ الآية (١٦)

لم تكن النتيجة سوى الاختلاف (لا الخلاف) الذي أفضى إلى القلة. وفي حقيقة الأمر تعد هذه الحضارة تجسيدًا لسلطة الدين ودوره في تنظيم الحيز الجغرافيّ بوصفه سبيلًا انتفاعيًا، فلقد تبين من خلال هذا الوعاء الحضاريّ أن غلبة استخدام سلطة الدين في "ديار العربيّة السعيدة" كانت أقوى من أي سلطة تنظيمية أخرى، وعلى الرغم من ذلك؛ فلم تحل هذه السلطة دون ضعفها. وفي إطار ما سبق فالقول: إن منطقة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" كانت في مرحلة حضاريّة وعمرانيّة متقدمة عند مقارنتها بالإطار العام لعمومية "ديار العربيّة"؛ ومن ثم كان اتجاه غلبة التأثير والتأثر يتحرك من جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" إلى الجزء الأوسط والشماليّ، في ظل علاقة اكتسبت مدخلاتها من الجنوب، وصُدرت نتائجها إلى العديد من الأحيزة الجغرافيّة في "ديار العربيّة السعيدة" .

والمحصلة، انسلخ "المكاربة" عن الوعاء الحضاريّ السبئيّ في ذات الإقليم مع استبدال العاصمة من "مأرب" عاصمة الوعاء الحضاريّ السبئيّ إلى "صرواح" عاصمة المكاربة. ولقد تمكنوا من الانسلاخ بدافعية سلطة الدين الذي كان يعد الغلاف العام للتعايشيات كافة. وفي ذات تلك الفترة شهدت منطقة شمال عمومية "ديار العربيّة" نوعًا آخر بدافعية الانقسام؛ حيث تحولت من "**البناء الفوضويّ**" إلى "**الفوضى الخلاقة**"؛ الأمر الذي يعني: أن منطقة "الشام" حاليًا لم تشهد أولى تجاربها الفوضويّة الخلاقة في العقد الثاني من القرن (العشرين) في إطار نتائج و"عد بلفور" إنما شهدتها خلال القرن (الثامن ق.م).

والمحصلة، أن هذه الفترة في تاريخيّة "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" عامة و"الوعاء الحضاريّ السبئيّ المكاربيّ" فيه خاصة، شهدت المقدمات الأولى في

الانحراف عن مسار الغايات التي كان يأملها السبئيون عامة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٣).

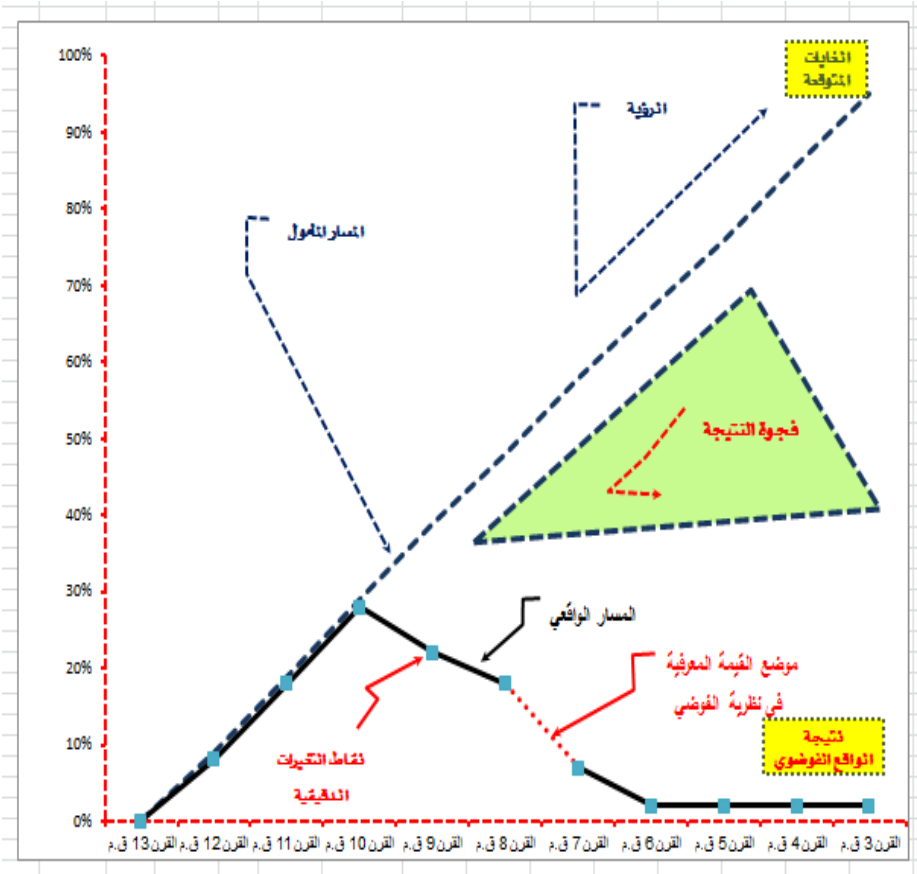

شكل رقم (٣٣): الانحراف الحضاريّ السبئيّ المكاربيّ خلال القرن (الثامن ق.م)

ولقد كان لزامًا عليهم أن يدركوا أن هذا الانحراف ما هو إلا الخطوة الأولى في جملة انحرافات أخرى ستقع بالتتابع، وستظل ولن تهدأ إلا بالمزيد من الانحرافات التي لن تتوقف إلا بزوال الوعاء الحضاريّ ذاته. ولعل هذا ما كان يجب أن تنتبه إليه الأوعية الحضاريّة كافة على مستوى "ديار العربيّة السعيدة" بعد ذلك.

ثانيًا – الوعاء الحضاريّ القتبانيّ.

مملكة قتبان القرن (السابع ق. م)

من الأمور المهمة التي يجب الإشارة إليها بصدد هذا الوعاء تحديدًا أن شواهده الأولى كانت بالفعل موجودة قبل القرن (السابع ق.م) بل يمكن القول: إن شواهده تلك كانت معاصرة للفترة الزمنيّة التي نهض فيها "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" ذاته خلال القرن (الثاني عشر ق.م)، بيد أنه لم يكن لديه أي استقلالية ذاتية، إنما كان يعيش باستقلالية انتمائية يتبع فيها الوعاء الحضاريّ السائد مُستغنيًا بذلك عن الحكم ومكتفيًا بالظل.

وبناءً على ذلك فإن "الوعاء الحضاريّ القتبانيّ" لم يرث مملكة "سبأ" ولم ينسلخ عنها، إنما عاصر كيانها السلطويّ في بعض عهود بقاياها وبقايا غيرها من أوعية "**الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**" آنذاك. وبناءً على ذلك فهو في جملته وعاء الظل الذي كان يعيش في كنف غيره من الأوعية الحضاريّة الأقوى ولاسيما مملكة "سبأ" التي بضعفها نضج وجوديًا وأضحى واقعًا سياسيًا. هذا هو "الوعاء الحضاريّ القتبانيّ" الذي يمثل أحد الممالك في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"، وبأكثر دقة أحد ممالك الجنوب الذي تكون بذاتية الظل في ظل كنف مملكة "سبأ" من ناحية، وبذاتية الانفتاح في ظل سواحله التي كان يطل بها على ما يعرف الآن بخليج "عدن" من ناحية أخرى؛ متخذًا من "تمنع" عاصمة له، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٣٤). وبالذاتيتين، سيطرت المملكة على وسطها البيئيّ والذي تمثل في إطار حدودها الحضاريّة، وبالذاتيتين تمكنت من تحديد وسطها البيئيّ، وتنظيم حيزها الجغرافيّ الذي تمثل في مدينة "تمنع" العاصمة. وبنضج السيطرة والتكوين أضحى لحضارة "قتبان" أبعاد اقتصاديّة واضحة تمثلت في

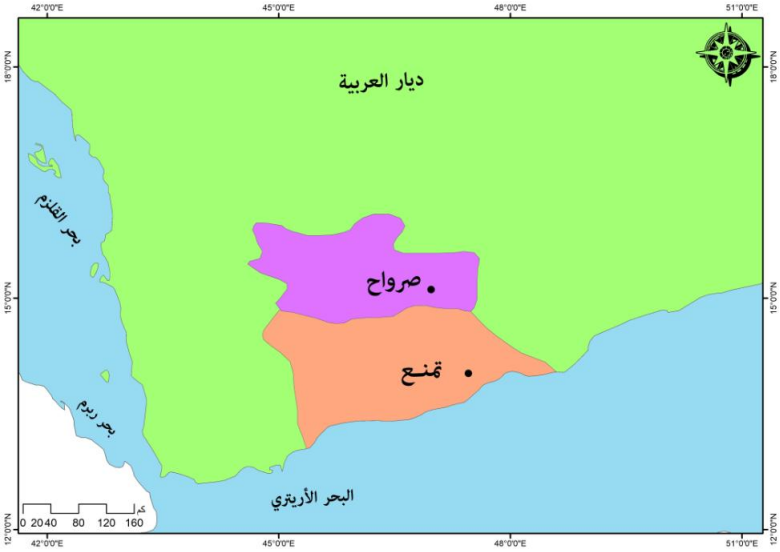

شكل رقم (٣٤): الإطار المكانيّ للوعاء الحضاريّ القتبانيّ في القرن (السابع ق.م)

التجارة الداخلية "**على مستوى الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**"؛ وذلك بعدّها محطة تجاريّة برية، وفي التجارة الخارجية وذلك بعدّها محطة برية / بحرية خارجية. وبذلك كانت مملكة "قتبان" محطة القلب الجنوبيّ للتجارة الخارجية في إطار "ديار العربيّة السعيدة"؛ ومن ثم فهي لم تكن مملكة محلية في **الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**، بقدر ما كانت مملكة ذاتية تجاوزت بأهميتها الإقليميّة هامشيتها المكانيّة؛ ومن ثم أضحت إحدى المحطات الرئيسة في حركة التجارة العالميّة آنذاك.

وفي حقيقة الأمر يمكن القول: إن "الوعاء الحضاريّ القتبانيّ" يعد أول الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" الذي استفاد مما كان عليه أمر المنطقة التي تقع في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" من حالة الفوضى التي تحولت من اتجاه "البناء الفوضويّ" إلى اتجاه "الفوضى الخلاقة". فخلال تلك الفترة ولأمور ترتبط في المقام الأول بالموقف السياسيّ الذي كانت عليه الحضارة "الآشورية" والتي كانت تهيمن على ما يُعرف بـ "العراق" حاليًا والجزء الأكبر مما يُعرف الآن بـ "الشام"

حاليًا وكذلك "مصر"؛ تكونت في مَعِيَّتها إحدى ممالك العرب في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" -وليس في شمال- تحت اسم "قيدار".

وبناءً على ذلك وبدافعية منتجات عروبة "الوعاء الحضاريّ القتبانيّ" في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" وباحتياجات عروبة المملكة **المُخلقة** الجديدة التي عُرفت بـ مملكة "**قيدار**" في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ ازدهرت طرق التجارة البرية في غربيّ "ديار العربيّة السعيدة" وأضحت لا تقل أهمية عن طرق التجارة البحرية في بحر "القلزم" وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٣٥).

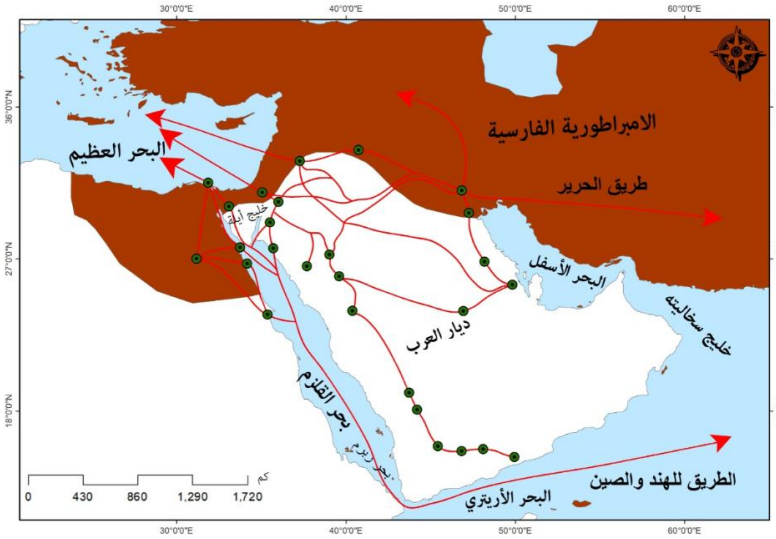

شكل رقم (٣٥): طرق التجارة العالميّة في القرن (السابع ق.م)

وفي إطار هذا كله، فلقد كفل الوسط البيئيّ لمحطة "قتبان" التجاريّة ديمومية البقاء المشروط من خلال إمكانات الزراعة والرعي في ظل تنظيم مباشر من الحيز الجغرافيّ الذي تمثل في "تمنع" العاصمة؛ ولأنها أحد الأوعية الحضاريّة الوليدة من إطار الظل السياسيّ في كنف تاريخيّة "الوعاء الحضاريّ السبئيّ" فلقد حاول حكامه ضمان السيطرة عليه، ولم تكن هناك وسيلة ضامنة لذلك سوى السلطة باسم الدين أيضًا، وبالفعل نجح حكام "قتبان" في ذلك، بل زادوا على هذا باستحداث

أمرٌ لم يكن موجودًا لديهم من قبل وهو الملكية؛ ومن ثم تحول الوسط البيئيّ من وسط تعايشيّ عام إلى وسط معاشيّ خاص، استُنت له التنظيمات والقوانين التي توجه المعاملات الاقتصاديّة. وفي حقيقة الأمر ساعد على ذلك رواج التجارة الخارجية فجعلت من "قتبان" مملكة "**الترانزيت**" في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"[١]. ولقد اسْتَتبع ذلك مزيدًا من السيطرة على الوسط البيئيّ والمزيد من التنظيمات على مستوى الحيز الجغرافيّ. فلقد مهدت العديد من الطرق البرية رابطة الوديان عبر الجبال، ومنها -بعد ذلك- للمحطات البرية شمالًا أو إلى الموانئ البحرية جنوبًا. وبالربط نشأت العديد من المقدمات العمرانيّة في هيئة أقرب إلى المحطات الخدمية وبنضجها وارتفاع مكوسها تحولت إلى مدن تجاريّة ذات ظهير يعتمد على الاستثمارات الزراعية (صالح،١٩٩٤: ص٧٧). وبذلك تحولت مملكة "قتبان" من مرحلة البناء إلى مرحلة النضج معتمدة في ذلك على علاقاتها التجاريّة وعلاقاتها الإقليميّة في "ديار العربيّة السعيدة". بيد أن النضج لا يعني الاكتمال وكلاهما مختلف؛ ولأن نضجها الذاتيّ اعتمد -في المقام الأول- على محلات خارجية مرهونة بطرق ومحطات تجاريّة؛ فاستقرارها لم يكن وليد أرضها بقدر ما كان بدافعية نتائج التغيرات في مجالها الإقليميّ؛ ولذلك، وعلى الرغم من تعدد مدخلاتها التجاريّة فإنها جميعًا انهارت ومن دون مقدمات[١] فتحولت من **مملكة الترانزيت** التجاريّة إلى

[١] توضح الأحداث التاريخيّة أن الصبغة الثيوقراطية في الحكم أشبه بسلاح ذي حدين، فهي وإن ضمنت القداسة للحاكم الأعلى وكفلت له الولاء الروحي من شعبه. إلا أنها كانت تخلق أمامه -على مر الزمن- منافسين من كبار رجال الكهنوت الذين يشاركونه السلطة باسم الدين. وحينذاك يرى من مصلحته أن يرتفع عن مستوى رياسة الكهنوت إلى مستوى الملكية ذات السلطة الشاملة.

[١] يرى بعض الباحثين أن سبب ذلك هو نجاح البطالمة في الوصول إلى الهند من دون وساطة "ديار العربية السعيدة" أو ترانزيت مملكة "قتبان" التجارية.

وعاء من الرماد. فلقد احترقت[٢]، وباحتراقها فقدت العديد من المحطات التجاريّة في "ديار العربيّة السعيدة" مكانتها وكذلك إمكانات العمران.

ومما يلفت الانتباه أن عضويتها في "**الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**" لم توفر لها الحماية التي تحول دون الاحتراق. وتعد هذه النتيجة من الأمور التي تستدعي المزيد من الدراسة؛ كونها تعكس حقيقة مستوى الهشاشة الذي كان عليه هذا الاتحاد. فنهاية "الوعاء الحضاريّ القتبانيّ" يستدل من خلاله على أن قوة هذا الاتحاد كانت اسمية لا فعلية، في ظل تجاوز طموحاته حقيقته الواقعية. ولعل هذا الاستدلال كان الموقف السائد؛ ولاسيما أنّ جميع المعطيات أفضت –بعد ذلك– إلى تجاوز النتيجة التي آلت إليها "قتبان" بالمزيد من التردي الذي انتهى بقدوم "**الأحباش**" وهذا ما سيتم التعرف إليه من خلال الجزء الثالث في هذه الدراسة.

ثالثًا: الوعاء الحضاريّ المعينيّ.(القرن السادس ق. م)

هو –في جملته– حضارة الولوج إلى وسط "ديار العربيّة السعيدة" وشماليّها ، وبتغيير الاتجاه؛ فهو مدخل التكثيف الانتفاعيّ إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". وهو في اقتصاديّاته من المخرجات السعيدة في "**الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**". هذا هو "الوعاء الحضاريّ المعينيّ" الذي اتخذ من منطقة "الجوف" حاليًا وسطًا بيئيًا تعايشيًا، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٣٦). وفي إطار ذلك فالموقع هنا يمثل القيمة في حضارة هذا الوعاء، فانتفع به وزاده بالاستفادة من خصوبة الموضع؛ فأضحى واقعًا تجاريًا اتصل من خلاله بطرق التجارة البرية شمالًا وجنوبًا، ومدخلًا تنظيميًا أُعيد –من خلاله– توزيع الاحتياجات؛ ولاسيما من منتجات

[٢] في عهد الملك شهر هلال (١٠٠ – ١٠٦م)، دُمرت "تمنع" عاصمة مملكة قتبان تدميرًا عنيفًا مازالت شواهده باقية في معالمها القديمة؛ حيث اكتسب بعضها طبقة كثيفة من الرماد، دلت على حريق متعمد لا تعرف حتى الآن حقيقة المتسببين فيه.

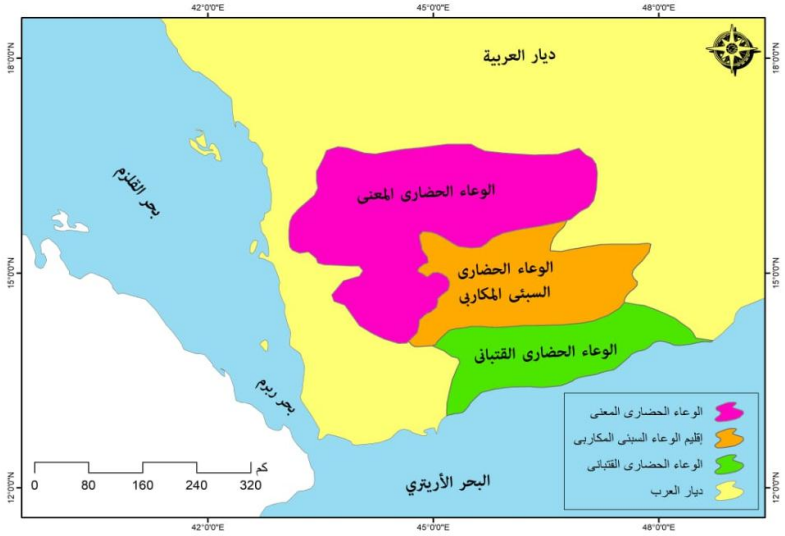

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٣٦): الإطار المكانيّ للوعاء الحضاريّ المعينيّ خلال القرن (السادس ق.م)

"**الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**" فلقد غُلفت جغرافيّاتها بالصبغة الدينية من خلال جملة من المعبودات حاولت كفالة نظامها السياسيّ. بيد أن قوة سلطة الامتلاك والاستثمار في الأراضي الزراعية كانت أقوى من سلطة المعبودات والمعابد التوجيهية؛ ومن ثم كان للاقتصاد الزراعيّ كلمة البقاء في هذا الوعاء الحضاريّ. وفي عبارة تستند إلى جملة من العلاقات المكانيّة فإنه يمكن القول: إن حضارة "معين" كانت أكثر حضارات "ديار العربيّة السعيدة" اتصالًا بغيرها من الحضارات والبلدان الأخرى سواء أ في داخل "شبه الجزيرة" أم خارجها خلال تلك الفترة. فلقد ارتبطت –من خلال موقعها الجغرافيّ– بطريق التجارة الشماليّ الرئيس الذي كان يخرج من عاصمتها "قرناو" في اتجاه الشمال، وببلوغه "نجران" كان ينقسم إلى طريقين يتجه **(الأول)** إلى الشمال الشرقيّ حيث "نجد" وما وراءها، ويتبعه **(الثاني)** نحو الشمال والشمال الغربيّ حيث الحجاز وما وراءها. ولأنهم أدركوا ما تعنيه العلاقات المكانيّة من قيمة ارتباطية وتجاريّة فلقد فطن "المعينيّون" بحدسهم

الانتفاعيّ إلى أن القيمة تكمن في طريق "الحجاز"؛ كونه كان ينتهي بفرعين (**الأول**) يتجه إلى "غزة" مدخل بلاد "الشام" بخيراتها و(الثاني) يتجه إلى "العقبة" مدخل "سيناء" والديار المصرية بميراث حضارتها، وكلاهما قيمة تجاريّة متصلة غير منفصلة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٧).

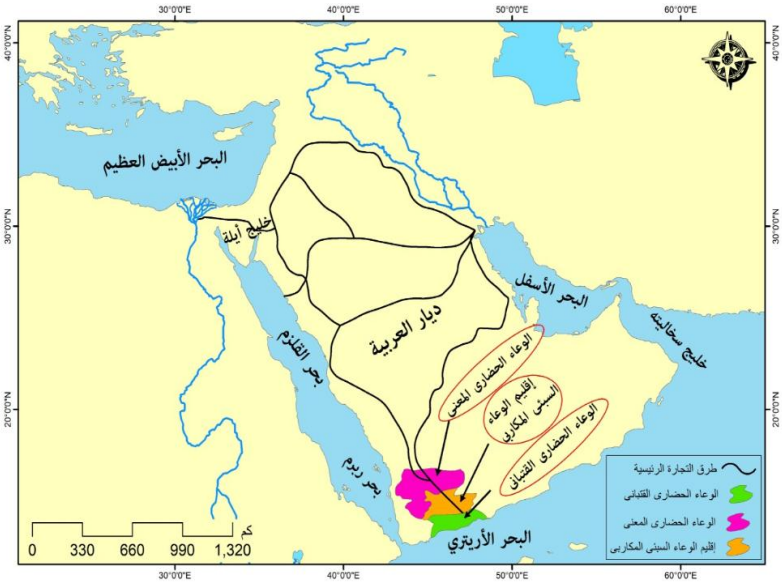

شكل رقم (٣٧): طرق التجارة الرئيسة في القرن (السادس ق.م)

ولأنها القيمة؛ فلقد كان لزامًا عليهم تحري الحفاظ عليها؛ كونها تعني ضمان ديمومية البقاء. ولقد تجسد هذا التحري في بناء المحطات الخادمة لهذا الطريق والتوسع فيها بإمدادها بالحاميات والجاليات المعينيّة سواء أكان ذلك على مستوى الطرق الرئيسة أم الطرق المتفرعة منها، ولعل ذلك يفسر انتشار المدن على طريق الحجاز بعدّها المحصلات النهائيّة لجملة المحطات التجاريّة المعينيّة. وفي الحقيقة فأمر هذه الطرق ومحطاتها التجاريّة يتجاوز نطاق "ديار العربيّة السعيدة" ولا مغالاة في القول: إن طريق الحجاز وتحديد فرعه الذي كان يتجه من "العقبة" إلى مدخل "سيناء" كان يستمر مارًا بشماليّ الدلتا، وإقليم مريوط (الساحل الشماليّ

الغربيّ في مصر) ومن بعده حتى بلاد إفريقية (حيث تونس). وفي عبارة تاريخيّة من شأنها أن تعيد النظر في كثير من الآراء في إطار التثبت التاريخيّ، فلقد دفعت منتجات "الوعاء الحضاريّ المعينيّ" وجميع السلع التي كانت تصل إليه من عمومية الجنوب، "الفينيقيين" للخروج إلى شماليّ "إفريقيا"، ومن بعدها بحرها الشماليّ، بل لا مغالاة في القول: إن "الفينيقيين" هم "المعينيّون" المتحولون في بلاد "الشام" والوالجون إلى شماليّ "إفريقيا" وهم أهل الطرق البحرية المتحولون المستفيدون من أهل الطرق البرية. ولم تكن محطاتهم التجاريّة سوى نقاط تماست حول قوس ارتكز حول أرض شماليّ "مصر"[١] خلال (الألف عام ق.م) وذلك بعد استفادتهم بما يمكن تسميته الآن باقتصاديّات فرق العملة[١]؛ كونهم أدركوا ما لم يدركه غيرهم؛ فلقد أدركوا أن قوة أرض مصر الاقتصاديّة تكمن في فرق الربح الناجم من سهولة العمل ووفرة العائد.

والحقيقة أن السياق التاريخيّ هكذا وعلى الرغم من حيوية معطياته، فإن هذا الأمر لم يكن ليتم، وتلك المنظومة التجاريّة لم تكن لتكتمل، ولم تكن لتصل آثارها إلى "إفريقية" (تونس) من دون دافع آخر يمثل الإطار الشامل لهذا كله. وهنا تكمن القيمة التفسيرية التي لم تكن لتُدرك إلا في ظل معالجة تتصف بشموليّة رؤية تتضمن "الوعاء الحضاريّ المعينيّ" وكل الأوعية الحضاريّة الأخرى على مستوى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ مُضافًا إليها الدويلات "الفينيقية" و"مصر، وبلاد "الليبو"(ليبيا حاليًا) ومن بعدها "إفريقية" هذا من ناحية، أما الناحية الأخرى والمهمة

---

[١] من الجدير بالذكر أن تجار "معين"، ووسطاءها من المحطات التجارية قد تعاملوا مع "مصر"، واستقر بعضهم فيها، ولعل "زيد إيل بن زيد" المعينيّ خير مثال على ذلك. فلقد دفن في أرض "مصر" ووجد له تابوت في مدينة "منف" كتب عليه بحروف المسند ما يفهم منه أنه عمل في خدمة معبد مصريّ، حيث كان يتولى توريد بعض منتجات العرب إليه مثل "المر"، و"الذريرة" (قصب الطيب)، في مقابل ما يصدره إلى بلده من المنسوجات المصرية (صالح،١٩٩٤:ص ٩٤).

[١] استطاع الفينيقيون أن يضيفوا مزيدًا من الرخص على رخص أسعار السلع المصرية؛ وذلك بنقلها وإعادة تصنيعها وتصديرها في ظل آليات سوق حوض البحر المتوسط المفتوحة، ولم تكن محطاتهم سوى جزء من منظومة الحلف التجاريّ في شماليّ إفريقيا (جريف، ١٩٥٦: ص ٤٣٠).

فإنها تتمثل في "**البناء الفوضويّ**" الجديد في شماليّ "ديار العربيّة". فلقد استُبدل "الآشوريون" بـ "البابليين"؛ تلك الإمبراطورية التي كان لها قدم حرب أدت إلى اضطراب منطقة "الشام" حاليًا وإزالة ملك "العبرانيين" وتحديدًا مملكة "إسرائيل" من دون مملكة "يهوذا"؛ ومن ثم بلغ نفوذهم شرقيّ البحر العظيم (البحر المتوسط) وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٨).

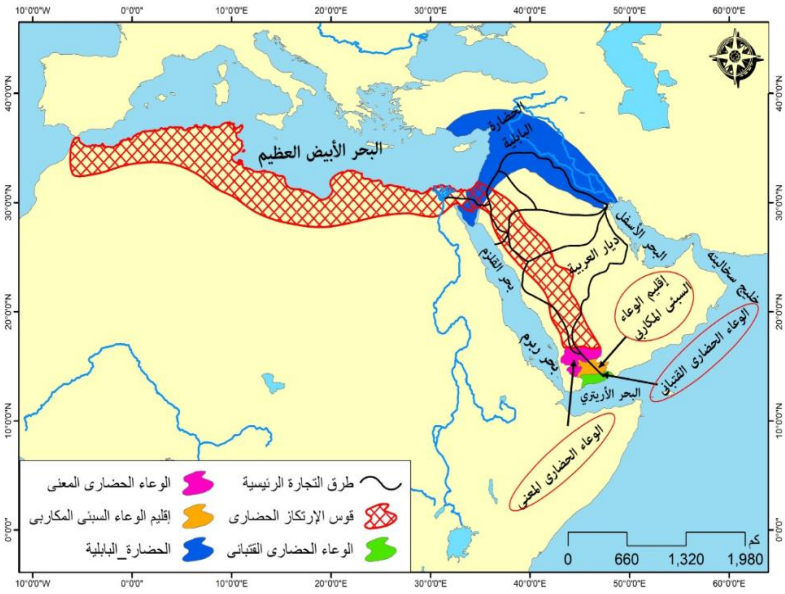

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٣٨): البابليون ومدخلات السيطرة على قوس الارتكاز الحضاريّ خلال القرن (السادس ق.م)

وأيًا كان الأمر فلقد كشف "المعينيّون" عن قيمة إقليم "الحجاز" الانتفاعية، وذلك ببناء الجديد من المحطات التجاريّة أو الاستفادة بما كان قائمًا من أنوية الأحيزة الجغرافيّة، ولعل محطة "العلا" خير دليل على ذلك. ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا أن قيمة عمرانيّة "الحجاز" و"نجد" لم تكن وليدة أسباب ذاتية بقدر ما كانت نتاج العلاقات المكانيّة الخارجية؛ ومن ثم لم يكن عمران "الحجاز" و"نجد" سوى

عمران المستقر المحليّ وبـ"المعينيّين" أضحى عمران الممر الإقليميّ. وهنا تكمن قيمة أخرى تتجاوز القيمة سالفة الذكر، وتتمثل في قيمة معرفة أن وجوديّة "الحجاز" و"نجد" لا يمكن أن تستقيم إلا بوجوديّة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" من قبل "وشماليّ "ديار العربيّة السعيدة" و"مصر" من بعد. أما فيما يتعلق بجنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" عامة فإنه لا يمكن أن يستقيم إلا بارتباطه بـ"ديار العربيّة السعيدة" بإقليمي "الحجاز"، و"نجد" وغير ذلك فهو إلى زوال. وليس أدل على ذلك من حضارة "معين" التي أُستُغلت من قبل حضارة "قتبان" المجاورة لها من الشرق؛ للتضييق على حضارة "سبأ" المجاورة لهما من الشمال وما كانت النتيجة إلا سقوطها وذلك بعد تدمير "سبأ" لعاصمتها "قرناو" أما "قتبان" فلقد شغلتها مشكلاتها الداخلية وبأكثر دقة، فلقد نأت بنفسها بعد أن نجحت في إقحام غيرها. وأيًا كان الأمر فـ"المعينيّون" لم يدركوا أن وجوديّتهم التعايشيّة قامت على وجوديّة علاقاتهم المكانيّة في "ديار العربيّة السعيدة"، وبانتفاء هذه الوجوديّة أضحوا على هامشيتها. وفي عبارة أخيرة تحتاج إلى التدقيق الاستيعابيّ لا التدقيق الثبوتيّ؛ فلقد كانت الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة" خلال تلك الفترة بمنزلة القلب الذي تحددت بتدفقاته بنية النظام التجاريّ الإقليميّ في جنوبيّ غربيّ آسيا، وبلاد الشام، وشماليّ إفريقيا.

رابعًا – الوعاء الحضاريّ الحضرميّ. (القرن الخامس قبل الميلاد)

النجاة إلى حين، ذاك هو الجوهر التعايشيّ الذي يفسر مشكلة تحديد الهوية الزمنيّة لحضارة "حضرموت" والتي يرجع ثبتها التاريخيّ إلى القرن (الخامس ق.م)، وعلى الرغم من وجوديّتها بداية من القرن (الحادي عشر ق.م). فلم تكن تاريخيّتها قبل القرن (الخامس ق.م) سوى جزء في الكل للاتحاد الحضاريّ المشترك الموجود آنذاك سواء أ كان ذلك جزءًا في مملكة "سبأ" أم كان جزءًا من مملكة "معين" على نحو ما يوضحه الشكلان رقم (٣٩)، و(٤٩).

شكل رقم (٣٩): الوعاء الحضاريّ الحضرمي في إطار حضارة سبأ خلال القرن (الخامس ق.م)

ولعل سبب ذلك يكمن في سواحلها على "بحر العرب" وما مثلته من قيمة انتفاعية وهيمنة مكانيّة كانت تزيد من حيوية من كان يُخضعها. ولعل في مملكة "معين" ما يبرهن على ذلك؛ كونها اكتسبت من ارتباطها بسواحل "حضرموت" القيمة التي استطاعت من خلالها الولوج إلى شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" ومن بعدها بلاد "الشام" شمالًا وأرض "مصر" غربًا وساحلًا. وفي عبارة انتفاعية فالهيمنة على "حضرموت" جنوبًا كانت تعني: القدرة على التواصل شمالًا؛ لذا كان من الطبيعيّ أن تكون "حضرموت" في ظل ما مثلته سواحلها من قيمة أن تكون جزءًا من الكل المهيمن أيًا كانت ضالته إلى حين.

شكل رقم (٤٠): الإقليم الحضرميّ في إطار حضارة سبأ خلال القرن (الخامس ق.م)

وفي حقيقة الأمر فإن الجغرافيات التاريخيّة "لحضرموت" لا تحمل –بين تبعاتها– ما يمكن الاستدلال من خلاله أنها مارست استقلالها في ظل حكم مطلق أو حتى هيمنة واضحة، ويتضح ذلك من خلال حدود مملكة "حضرموت" الجنوبيّة؛ حيث شهدت جملة من الاضطرابات مارستها القبائل الحميرية المجاورة لها؛ ومن ثم كان لزامًا على الحضارمة أن يدركوا ما يعنيه "**التوازن الجيوسياسيّ**" في ظل وجودهم بين العديد من مراكز القوى. ولعل قدرتهم على البقاء في إطار تلك المراكز لم تكن وليدة قدرتهم الذاتية بقدر ما كانت وليدة عدم الاتفاق بين مراكز هذه القوى. ولعل هذا ما نجح فيه إقليم "ظفار" الذي كان يمثل الجزء الشرقيّ من مملكة "حضرموت" (يدخل الآن هذا الإقليم في نطاق دولة سلطنة عمان في الجزء الغربيّ منها حاليًا)، ولم تنجح فيه "شبوة" عاصمة المملكة ذاتها. وفي إطار هذا النجاح التوازنيّ استمدت المملكة بواعثها الاقتصاديّة وحيويتها التعايشيّة، وبنيتها الارتباطية، بيد أن هذا التوازن ومن بعده أسوارها لم يضمنا لها الاستمرارية ولم يَنأَيا بها عن

هيمنة مملكة "سبأ" التي أدركت –من قبل– أن التوازن الجيوسياسيّ لا يعد قدرة مكتسبة ترتكز على طبيعة علاقات الجوار بقدر ما يعد حقيقة ذاتية ترتكز على جغرافيّات قوامها الكيفية التي يمكن من خلالها الانتفاع بخصائص المكان داخل إطار محدد. **والمحصلة؛** لم تستطع مملكة حضرموت إدارة ما لديها من إمكانات ذاتية فكانت جزءًا من الطموحات الخارجية.

خامسًا– الوعاء الأوسانيّ الحضاريّ. (مملكة القرن الرابع ق. م)

إذا لم تكن تمتلك قوة البر، فلن تستفيد من البحر الذي تطل عليه. هذا هو حال لسان "الأوسانيين" الذين تشهد تاريخيّتهم بأنهم كانوا جزءًا في أي كل مهيمن. وفي إطار من غفلة القتبانيين وانشغالهم، استطاع " الأوسانيون" الاستقواء بأحلافهم من أقاليم "مسورا"، و"يافع"، و"لجح"، ودثينة" و"أبيان" وقبائلهم. ولما ظنوا أنهم مانعتهم أحلافهم أعلنوا مملكتهم فكانت مملكة "أوسان" وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٤١). وفي حقيقة الأمر فلم تكن غفلة مملكة "قتبان" نتاج اضطراب داخليّ أو حتى نزاع حدوديّ، بل كانت بسبب اضطراب إقليميّ ناجم عن تداعيات اضمحلال "مصر الفرعونية" وإعلانها جزءًا من إمبراطورية "الإسكندر" في عام (٣٣٢ ق.م). وهنا تكمن أحد سرائر "القيمة الجيوسياسيّة" وانعكاسات العلاقات المكانيّة؛ فأرض "مصر الفرعونية" لم تكن الوادي والدلتا وحسب، بل تلك كانت أرض الإدارة، وكان يتبعها –بعد ذلك– أرض النفوذ والسيادة (أراضي الحدود) ثم يتبع هذا وذاك أرض المجال الحيويّ التأمينيّ (ما بعد أراضي النفوذ). ومن ثم فتبعية استقرار مصر كانت تلقي بظلالها على الجزء الجنوبيّ الغربيّ من "ديار العربيّة السعيدة" بعدّها جزءًا من المجال الحيويّ التأمينيّ الذي كان يكفل لمصر الاستقرار، ويكفل للجزء الجنوبيّ والغربيّ من "ديار العربيّة السعيدة" التوازن؛ ومن ثم لم يكن إعلان مملكة "أوسان" إلا أحد تداعيات الغفلة المكانيّة لمملكة "قتبان" في

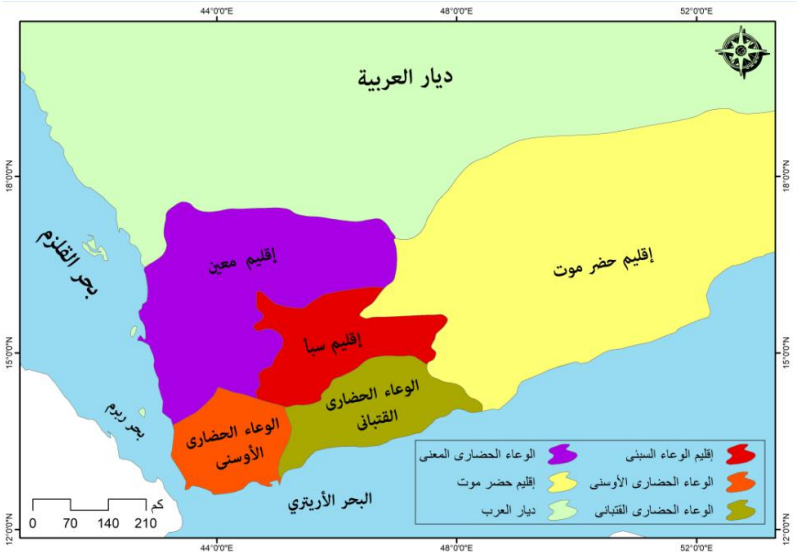

شكل رقم (٤١):**الوعاء الأوساني الحضاريّ في القرن (الرابع (ق.م)**

ظل إعادة "**التخليق الفوضويّ**" في شماليّ غربيّ "ديار العربيّة". وبالاضطراب زادت هيمنة مملكة "أوسان" ببسط نفوذها الإقليميّ على مملكة "قتبان"؛ سعيًا إلى بلوغ الساحل بكل مكتسبات علاقاته المكانيّة التي ضمت شرقيّ إفريقيا. وفي إطار ذلك لم تكن الهوية الحضاريّة لمملكة "أوسان" إلا جزءًا من تبعات "**الفوضى الخلاقة الإقليميّة**" التي تكونت خلال تلك الفترة في ظل الإمبراطورية الإغريقية، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٤٢). وأيًا كان الأمر فهوية هذه المملكة كانت تحمل –بين طياتها– النتيجة مسبقًا، فلقد تلاشت خلال القرن (الثاني ق. م) ولم تبقَ سوى هوية سواحلها التي لم تستفد منها.

والمحصلة، لم تكن مملكة "أوسان" سوى أحد مظاهر الضعف التي استقوت بنداءات التفتت على مستوى الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" من ناحية، وأحد تبعات "**الفوضى الخلاقة الإقليميّة**" التي نجمت عن

شكل رقم (٤٢): مخرجات الفوضى الخلاقة

في الإمبراطورية الإغريقية خلال نهاية القرن (الرابع ق.م)

اتجاهات "البناء الفوضويّ" الإغريقيّ في شماليّ شرقيّ "إفريقيا" وعمومية ما يُعرف حاليًا بـ"الشام" ومن بعدهما يُعرف حاليًا بـ "العراق".

والمحصلة، فمن الأمور اللافتة للانتباه والتي يجب أن نقف عندها كثيرًا هي مدخلات بواعث القيمة في حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". فمن خلال محصلات "الوعاء الحضاريّ الأوسانيّ" ومن قبله "الحضرميّ"، و"المعينيّ"، و"القتبانيّ" وانتهاءً بـ"السبئيّ" يتضح أنها أوعية حضاريّة لم تتجذر بثوابت تعينها على الثبات والاستقرار. بل لا مغالاة في القول: إنها –بالفعل– حضارات عظيمة من حيث الفكر غير أنها مُتعبة من حيث الجوهر. استفادت من إمكانات أوساطها البيئيّة في الزراعة كما استفادت من موقعها البريّ والبحريّ، غير أنها كانت من نوع الاستفادة التمريرية لجملة من السلع وليست نوعًا من الاستفادة التفعيلية الضامنة للاستقرار على مستوى محليتها الذاتية بمعزل عن المتغيرات الإقليميّة أو حتى العالميّة؛ ولذلك يمكن القول: إن جملة الأوعية الحضاريّة هنا كانت بمنزلة محطة التمرير بضمانات السلطة الدينية وبألقاب تشريعية، وفي جملة أخيرة فإن علاقات

جملة الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" كانت أقرب ما تكون إلى طبيعيّة شخصيتها التضاريسية.

والمحصلة، فأهمية الوحدة التي يجب أن تكون عليها "ديار العربيّة" من ناحية، وشمال "ديار العربيّة" حيث بادية "الشام" حاليًا وشماليّ شرقيّ "إفريقيا" من ناحية أخرى أمرٌ لا فصال فيه وما دونه فنتيجته عمومية "البناء الفوضويّ" الذي سيفضي -بدوره- إلى "التخليق الفوضويّ" ولا رابح لأي وعاء كان يظن أنه بمنأى عن هذه النتيجة.

المحور الرابع:

الوعاء الحضارى الكنديّ القلب السياسيّ في القرن (الأول ق.م)

يمثل "الوعاء الحضاريّ الكنديّ" مرحلة الخروج من الإطار المكانيّ لنفوذ الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" في فترة جمعت بين القرنين (الأول ق.م) وبين القرن (الأول م). وبأكثر واقعية سياسيّة، يمثل "الوعاء الحضاريّ الكنديّ" النتيجة الجزئية في النتيجة الكلية التي آلت إليها الأوضاع السياسيّة من اضطرابات على مستوى الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". وأخيرًا وبأكثر واقعية، يمثل "الوعاء الحضاريّ الكنديّ" مرحلة الخروج من إطار "البناء الفوضويّ" التي آلت إليها الأوعية الحضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" إلى إطار "التخليق الفوضويّ" في الجزء الأوسط من "ديار العربيّة السعيدة". ويتسق ذلك –تمامًا– مع قلة المصادر التي تشير إلى تاريخيّة "كندة". بل إن إشارات "بلينيّ"، و"بُطليموس"، و"تيوسوس"، و"بروكوبيوس"، و"مالالاس"، و"ثيوفانيس" عن "الوعاء الحضاريّ الكنديّ" لا تحمل –بين طياتها– الثبت التاريخيّ بقدر ما تحمل مدخلات من الجدل التاريخيّ بشأنها. وبصفة عامة فلقد رد أغلب المؤرخين المسلمين بطون "كندة" إلى أصل "قحطانيّ"، وذهبوا إلى أنهم أقاموا –في بداية أمرهم– في شرقيّ "اليمن" (حاليًا) وغربيّ "حضرموت"، وعندما احتدمت المنازعات بينهم وبين "الحضارمة" نزحت بطون "كندة" إلى الشمال (صالح،١٩٩٤: ١٨٤). وفي إطار اتجاه هذا النزوح يشير "بطليموس الجغرافيّ" في خريطته التي جاءت تحت عنوان **"A PHRICAE TABVLA III"**، إلى "ماؤوكسموس" بعدّها عاصمة حضارة "كندة" في القرن (الثاني م) وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٤٣)[١] الذي يضم جميع القبائل والمدن التي أوردها "بطليموس

[١] نُشرت هذه الخريطة التي توضح "ديار العربية السعيدة" في عام (١٧٢٠)، وهي تظهر "ديار العربية السعيدة"،والعرب الصحراوية" و"العرب الصخرية". كما تشمل مناطق أخرى مثل

شكل رقم (٤٣): ماؤوكسموس عاصمة الحضارة الكنديّة في القرن (الأول م)

الجغرافيّ" في خريطته. واعتمادًا على هذه الخريطة؛ وعلى ضوء اكتشافات النصوص "السبئية" و"الحميرية" في الفترة الحديثة؛ فإنه يمكن القول: إن الإطار المكانيّ لحضارة "كندة" كان يتمثل في قلب منطقة "نجد" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٤٤).

وفيما يرتبط بالجدل التاريخيّ الذي يدور حول هذا الإطار فإنه أمرٌ طبيعيّ يتعلق بتاريخيّة تلك الحضارة التي ارتبطت بالبادية أكثر من ارتباطها بالحضر؛ ولا مغالاة في القول: إن ذلك هو المتوقع؛ كونها الأصل الثابت في الكل المتغير آنذاك؛ كونها الإطار المكانيّ الذي كان بمنأى عن الجزء الحيويّ بالتغيرات التي كانت تجتاح إلى الجزء الأكبر من "ديار العربيّة السعيدة" آنذاك. وفي هذه النقطة تحديدًا تكمن مدخلات بواعث القيمة في حضارة "كندة"، ولعل في المراحل الآتية ما يشير إلى دلالات تلك القيمة.

فلسطين وبلاد ما بين النهرين وكلديا وبلاد فارس ومصر والحبشة. وهناك عدد كبير من البلدان، ويحتوي إطار العنوان على تسع قطع نقود مزخرفة. وتستعمل الخريطة نفس أسماء القبائل والمدن التي استخدمها بطليموس (مكتبة الكونجرس الأمريكية،٢٠١٨).

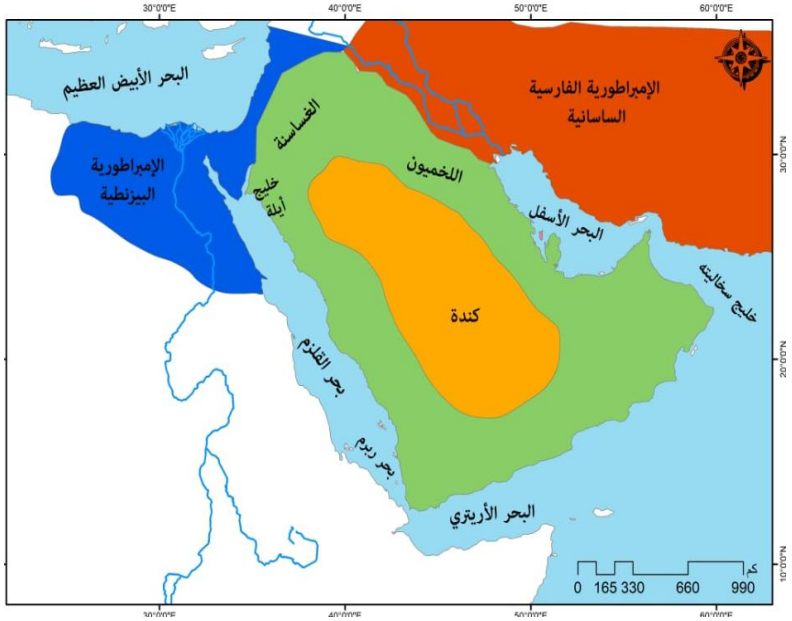

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٤٤): الإطار المكانيّ للوعاء الحضاريّ الكنديّ في القرن (الأول م)

المرحلة الأولى: (الانتشار الأفقيّ وتوزيع القوى):

انتشرت "كندة" بأرض "نجد" في ظل إطار مكانيّ تم ترسيم حدوده الشرقيّة والشماليّة خاصة وفق محددات واقعية هندسية دقيقة صاغتها نتائج التصادمات مع كيانات الجوار. وبأكثر دقة صاغتها نتائج التصادمات مع مندوبي المعسكرين: الشرقيّ بفارسيّته، والغربيّ برومانيّته في "ديار العربيّة السعيدة"، وبأكثر قربًا صاغتها نتائج التصادمات مع أولاد العمومة في الجزأين: الشرقيّ حيث "المناذرة"، والجزء الشماليّ حيث "الغساسنة". ولعل من الجدير بالذكر أن تلك الهندسة كان من أهم نتائجها إعادة تنظيم توزيع القبائل على مستوى مناطق التماس التصادميّ، ليس هذا وحسب ففيها من علا شأنه، وفيها من فقد هويته. وفي حقيقة الأمر لا تكمن القيمة هنا في معرفة ذلك وحسب، بل تكمن في معرفة أن ثمة نقيضًا كان يوجد على أطر

التماس في الجزأين: الجنوبيّ والغربيّ من "الإطار الحضاريّ الكنديّ" ولا شيء سوى الاستقرار، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٤٥).

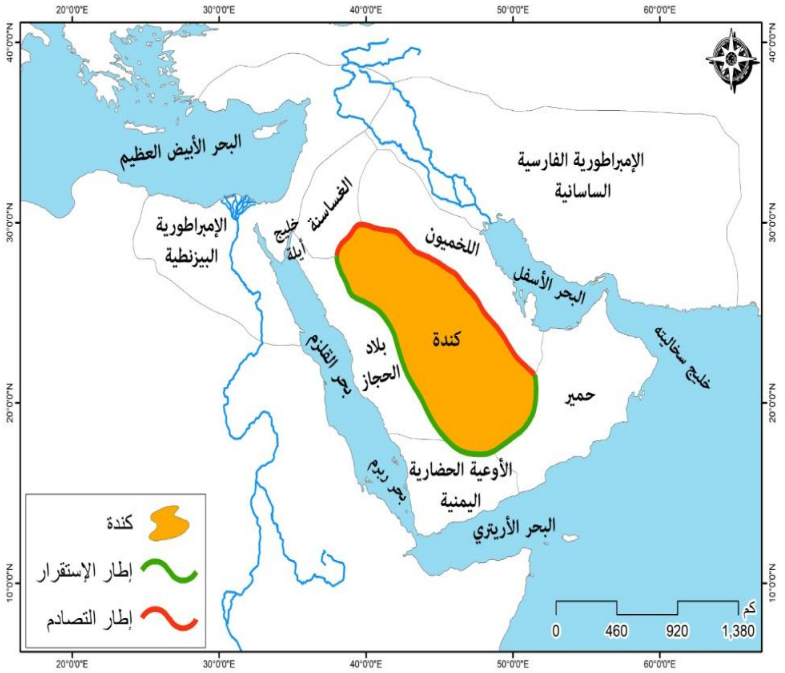

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٤٥): إطار الاستقرار وإطار التصادم فى الوعاء الحضاري الكنديّ

وبناء على ذلك يمكن القول: إن بواعث القيمة في "الوعاء الحضاريّ الكنديّ" خلال تلك المرحلة لم تكن مرئية؛ كونها لم تكن ذاتية المصدر، بل اعتمدت –في المقام الأول– على توسطها جملة الأطر الحضاريّة في "ديار العربيّة السعيدة"، فكان فيها بمنزلة بؤرة توازن العلاقات المكانيّة التي كانت تتحرك بدافعية التغيرات الخارجية، حيث المعسكران: "الفارسيّ" و"الرومانيّ" من ناحية والاتجاهات الوظيفيّة والتوظيفيّة التي كانت عليها الأطر الحضاريّة في "ديار العربيّة السعيدة" حيث "المناذرة" و"الغساسنة" من ناحية أخرى.

المرحلة الثانية: (سلطة الانتشار):

النجاح إحدى السلطات الدافعة للمزيد. نعم ... نجح "الحارث الكنديّ" في تأكيد إطاره المكانيّ الذي توسط بها إطار "ديار العربيّة السعيدة"، وسواء أ كان ذلك بعلو همته أم كان حتى بدافعية التوسط المكانيّ؛ فلم يكتفِ به، ولم يكن المزيد سوى تلك الحواف الزراعية في غربيّ الإطار المكانيّ للمناذرة شرقًا. وبذلك شجعه نجاحه في التحول من المحلية الذاتية إلى الإقليميّة الخارجية وكان له هذا، وذلك بعد رضوخ "المناذرة" ومن بعدهم "الغساسنة"، فزادت قوته. **بيد أن** إدراك بواعث القيمة في هذه المرحلة لا يكمن في ذلك؛ بل يكمن في فهم مباركة المعسكرين: "الفارسيّ" من الشرق، و"الرومانيّ" من الغرب وإدراكها على رضوخ مندوبيهما في "ديار العربيّة السعيدة". فكلاهما رأى الصلاح في إعلاء شأن "الحارث الكنديّ"،

فأما "الفرس" فلقد رأوا فيه الفرصة لمنازلة "المناذرة"؛ للحد من سيطرتهم المكانيّة؛ ومن ثم كان "الحارث الكنديّ" بمنزلة السبيل لصناعة "**الدولة الخانقة**" **"Stiffing state"** التي من شأنها إلهاء "المناذرة" في حروب مفتعلة[١].

وأما "الرومان" فلقد رأوا فيه الفرصة الضامنة لتهديد "الغساسنة" وبأكثر دقة لتهديد دولتهم الوظيفيّة؛ لضمان القيام بدورها الوظيفيّ فكانت تهديدات "الحارث الكنديّ" بمنزلة "**الدولة الضامنة**" **"Guarantors state"**؛ للحفاظ على قيام "الغساسنة" بدورهم الوظيفيّ.

---

[١] ذكر المؤرخون المسلمون أن "قباذا" ملك الفرس أقر "الحارث الكنديّ" على ما استولى رجاله عليه من أطراف "العراق"، وأضافوا أنه استقبله بنفسه في العراق. وبعد أن اطمأن "قباذا" إليه عزل "المنذر الثالث" وولى "الحارث الكنديّ" على أطراف العراق. وكان "الحارث" له أولاد كثيرون فولاهم رؤساء على القبائل العرب؛ ولاسيما المهيمنة على الطرق التجارية بعدّها مدخل العلاقات المكانية. وأسند إلى أكبرهم "حجر" رياسة قبائل "أسد" و"كنانة"، ثم تشجع بما صارت إليه رئاسته فقام بشن العديد من الهجمات الخاطفة على "الغساسنة"، بل تجرأ أخوه فأغار على حدود "فلسطين" (صالح،١٩٩٤: ص ١٨٥). ومن الجدير بالذكر أن تاريخيّة العديد من المناطق في "ديار العربية السعيدة" آنذاك صُنعت بين كلمتين: الأولى النجاح والثانية التشجيع.

وسواء أكانت "كندة" قد سعت إلى المزيد أم حتى أُستغلت من قبل الآخر؛ فلقد أدت خطواتهم الاستباقية هذه إلى صناعة جملة من الجغرافيات السياسيّة الجديدة في "ديار العربيّة السعيدة" ولن يُدعى أنها إرث للحاضر بقدر ما هي مدخل فرضيّ يسهم في محاولات إدراك المستقبل. والحقيقة، ومن خلال حضارة "كندة" تحديدًا يمكن القول: إن ثمة أمرًا أضحى جديدًا في إطار الاتجاهات السياسيّة لا على مستوى "ديار العربيّة السعيدة" فحسب، بل على مستوى العالم المعروف آنذاك. فلم يكن "**التخليق الفوضويّ**" الذي قام به "الحارث الكنديّ" بدافعية قوى أحادية أو بدافعية قوى متحدة بل كان بدافعية قوتين مختلفتين في الاتجاه وفي الأهداف، بيد أن هاتين القوتين اتفقتا على وجوبية "**التخليق الفوضويّ**". وهنا تكمن بواعث القيمة المعرفية، فالاتفاق هنا لم يكن إلا بسببية أخرى، مضمونها: **ألا تتاح للمناذرة قوة جديدة تساعدها في التأهل إلى تهديد "الفرس" شرقًا من ناحية، وألا تتاح للغساسنة قوة جديدة فتباري بها الرومان شمالًا وغربًا**" وبصرف النظر عن كونهما عدوين متجاورين حدوديًا إلا أن "**التخليق الفوضويّ**" هنا كان الضامن لبقائهما سائدتين.

المرحلة الثالثة: (التشتت):

وكما يمكن القول: إن تاريخيّة "كندة" استمرت لفترة زمنية اقتربت من قرون (ستة)، فإنه يمكن القول: إن مآل نتيجتها ومصير وجوديّتها حددته أعوام (أربعة)؛ تلك التي مضت بدافعية كلمتي النجاح والتشجيع خلال الفترة من عام (٥٢٥م) إلى عام (٥٢٨م)؛ تلك الفترة التي خرج فيها الإطار المكانيّ لحضارة "كندة" من الذاتية المحلية إلى الإقليميّة الخارجية؛ وتلك كانت فترة "الحارث الكنديّ" الذي عضده ملك "الفرس" حكمًا وهزمه موته تشتتًا. فلم تغنِ سطوته على الحواف الزراعية لأرض "المناذرة" عنه تأييد ملك "فارس" الجديد لاستعادة "المناذرة" لحواف أرضهم الزراعية.

بل لم تغنِ تاريخيّة "كندة" طوال القرون (الستة) العديد من القبائل عن الخروج من تحت عباءة حكمها وسيطرتها. فلم تنجح "كندة" في أن تكون دولة توظيفيّة (على وتيرة المناذرة) أو حتى دولة وظيفيّة (على وتيرة الغساسنة)؛ ومن ثم كان خروج العديد من القبائل من إطار هيمنتها المكانيّة العامل الأساسيّ الذي فَتَّ في عضدها. وليس هذا وحسب بل كان ما تبقى من هذه الهيمنة بمنزلة المجال التطبيقيّ لتلك السياسات التي تعلمها "المناذرة" لا بمجاورة "الفرس" وحسب بل من خلال التجربة التاريخيّة، فلقد عمل "المناذرة" على تزكية الفرقة بين الأخين الحاكمين من أبناء "الحارث"[1]، ولم يكن نتاج ذلك إلا ذهاب ريحهم، بل لم تسنِ جميع محاولات استنصار "امرئ القيس" من الحيلولة دون استرجاع "كندة". وفيما يتعلق ببواعث القيمة في هذه المرحلة فيتمثل في أن عملية النجاح في الإطار المكانيّ وما يمثله من محلية ذاتية لا تكفل –بالضرورة– ذات النجاح عند الخروج عن هذا الإطار نحو المزيد؛ ومن ثم كانت قوة حضارة "كندة" في أنها إطار التوازن في القلب النجديّ والذي كان بدوره بمنزلة القلب في "ديار العربيّة السعيدة" خلال هذه الفترة.

والمحصلة، وفي إطار العموم فلم ينهض "الفرس" لمساعدة "الوعاء الحضاريّ الكنديّ"، ولم يُسهم "الرومان" في الحيلولة دون نهايته، ولعل سبب ذلك أن "الوعاء الحضاريّ الكنديّ" كان بمنزلة الثقل السياسيّ المتبقي في "ديار العربيّة السعيدة.

---

[1] كان للحارث ولد يدعى "شرجبيل"، وكان يحكم قبائل "بكر بن وائل" وما والاها من قبائل المنطقة الشرقية، كما كان له ولد أصغر يدعى "مسلمة"، وكان يحكم قبائل "تغلب"، و"النمر بن قاسط"، وبعد موت "الحارث" استطاع المناذرة تزكية الفرقة بين الأخين، فتقاتلا وأضعف كل منهما هيبة الآخر، فأما الكبير فقتل، وأما الصغير فلقد فر هاربًا ثم قتل (صالح، ١٩٩٤:ص١٨٦).

الجزء الثالث

الأُطُر الحضاريّة التوظيفيّة والوظيفيّة والتشاركية لديار العربيّة السعيدة من بداية القرن (الثاني م) حتى بداية القرن (السابع م)[١]

أضحت واقعًا ملموسًا، وكونها كانت في أحيزة جغرافيّة منفصلة فإن ذلك لم يكن يعني أنها غير متصلة. نشأت بدافعية خصائصها الذاتية ولا شك في ذلك، ثم نمت ببواعث علاقتها الخارجية التي كان لها دور لا يمكن إغفاله في عملية نموها. كادت تُغلف الإطار المكانيّ للوعاء الحضاريّ الكنديّ، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٤٦)

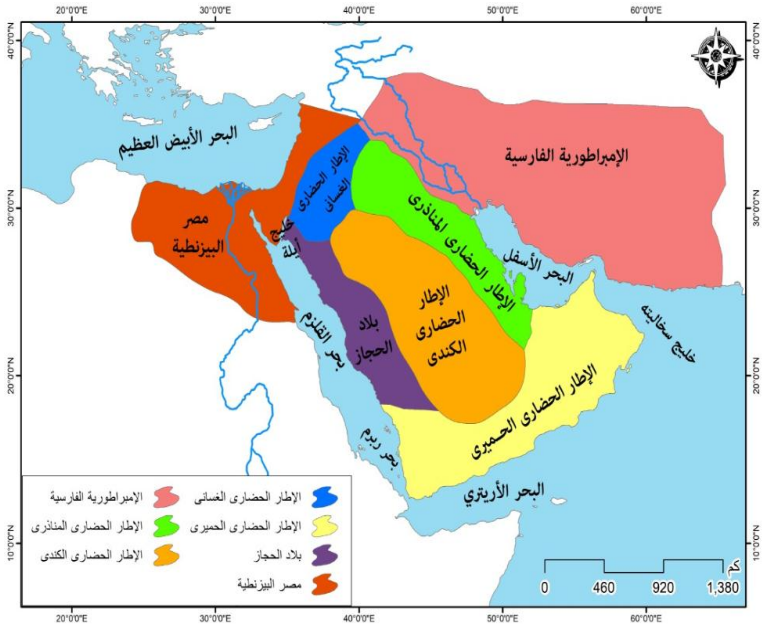

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٤٦): الأُطُر الحضاريّة التوظيفيّة والوظيفيّة والتشاركية

[١] الأُطُر أو إطارات ومفردها إطار، وهو كل ما أُحاط بالشيء من الخارج. والمقصود بالأطر الحضاريّة هنا هي جملة الأمكنة التي تغلفت بخصائص ثقافية وحضاريّة واضحة خلال الفترة الممتدة من بداية الأول الميلاديّ؛ حتى بداية القرن السابع الميلاديّ وكانت أصولها عربية.

إلا أن كلًا منها كانت له اتجاهاته التي يتعايش بها.

تلك هي الأطر الحضاريّة التي تشاركت في زمنية كادت تكون واحدة كل من "ديار العربيّة السعيدة"، و"ديار العربيّة الصحراوية"، و"ديار العربيّة الصخرية" في الفترة من بداية القرن (الثاني م)؛ حتى بداية القرن (السابع م).

تلك هي الأطر الحضاريّة التي تشاركت في كل من "ديار العربيّة السعيدة"، و"ديار العربيّة الصحراوية"، و"ديار العربيّة الصخرية" من خلال زمنية كادت تكون واحدة. وتتمثل هذه الأطر فيما يأتي:

- **الإطار التوظيفيّ الحضاريّ المناذريّ.**
- **الإطار الوظيفيّ الحضاريّ الغسانيّ.**
- **الإطار التشاركيّ الحضاريّ الحميريّ.**

وفيما يأتي محاولة التعرف إلى بواعث القيمة في تلك الأطر والأوعية الحضاريّة في ظل فترة تاريخيّة تسارعت فيها مقاصد التغيير؛ حتى إن جغرافيّاتها لم تتضح خصائصها إلا بعد أن أضحت جزءًا من عمومية نتاج "**التخليق الفوضويّ**"، ولعل الإطار الحضاريّ الحميريّ" من أظهر نتائج ذلك.

المحور الخامس:

الإطار الحضاريّ المناذريّ والتوظيف الفوضويّ في القرن (الثاني م)

"تنوخ"، و"لخم"، و"بنو نصر"، و"المناذرة"، تلك هي الأسماء التي غلفت الإطار المكانيّ لجملة البطون التي انتشرت بين بادية العراق (وتحديدًا في الجزء الغربيّ منها)، وبداية الشام (وتحديدًا في الجزء الشماليّ منها) وتحديدًا في غربيّ "ديار العربيّة السعيدة" وشرقيّ "العرب الصحراوية" وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٤٧).

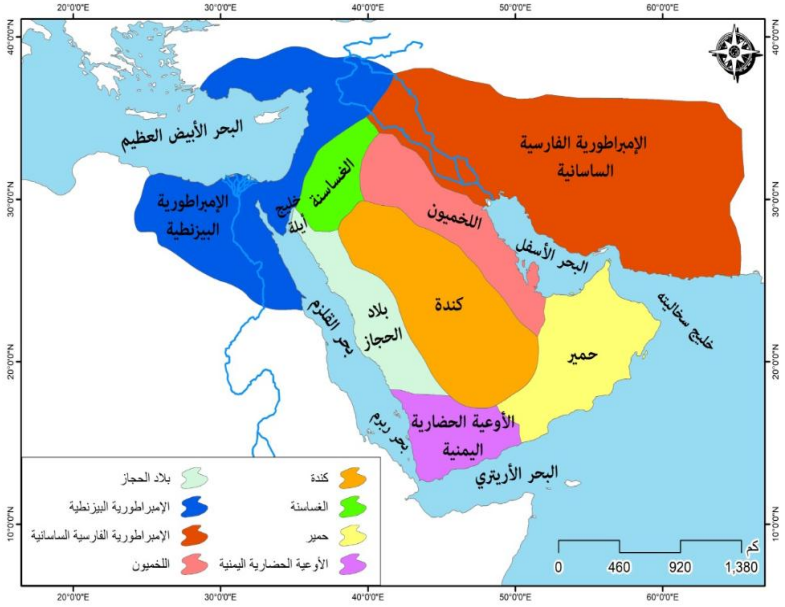

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٤٧): الإطار المكانيّ لدولة المناذرة كله أبيض ما عدا المناذرة

وبالانتشار الوظيفيّ لتلك البطون تكون إرهاصات نشأة حضارة "المناذرة" في القرن (الثاني م). وفي حقيقة الأمر لا تكمن القيمة في حضارة "المناذرة" في الانتشار المكانيّ لبطونها أو حتى نتائجها، بقدر ما تكمن في معرفة المراحل التوظيفية التي مرت بها هذه الحضارة لبلوغ هذا النتاج من ناحية، وأثر هذا النتاج في "ديار العربيّة السعيدة" من ناحية أخرى. وفي إطار السعي إلى الوقوف على مدخلات "الوعاء الحضاريّ المناذريّ" كان من الضروريّ أن يتتبعه من خلال بنية بنائيّة تتمثل فيما يأتي:

أولاً– مرحلة (التطلع والوراثة).

وفيها تطلع "المناذرة" إلى بلوغ ما اكتسبته حضارة "تدمر" المجاورة لبطونها في بادية الشام من قيمة تجاريّة ووساطة مكانيّة؛ تلك القيمة التي عبرت وربطت بين "المعسكر الفارسيّ" شرقًا من ناحية، و"المعسكر الرومانيّ" غربًا من ناحية أخرى،

وذلك على الرغم من اختلافها وخلافها. وقد يُظن أن قيمة تلك المرحلة تمثلت في وجود رغبة ذاتية تمكن "المناذرة" من تبوّء درجة متقدمة في إطار التنافس التجاريّ مع "تدمر" بيد أنها غير ذلك، بل تجسدت القيمة في معرفة أن "**الوسيط**" لابد له من ذاتية تحميه وإن لم يكن كُفْئًا لها فعليه البحث عن قوة من شأنها أن تأويه، وبلا مغالاة في ذلك فلا ينتظر من يغنيه ممن كان في فترة سابقة يأويه.

فلقد سقطت "تدمر"، فلقد أسقط "الرومان" حليفتهم مملكة "تدمر" في عام (٢٧٣م). ولم يكن إسقاطهم كونهم تقاعسوا في دورهم "الوسيط" بل لأن هناك من كان يتطلع ليرث هذا الدور ولديه مزيد. وورثت "الحيرة" ذلك، فلقد ورثت عاصمة "المناذرة" الوساطة التجاريّة بعد أن غلفتها بالتجربة التعايشيّة. وفي ظل هذا الإطار الحضاريّ، وفي ظل هذه المرحلة من مراحل بواعث القيمة في هذا الإطار يمكن القول: إن "الدين" لم يكن الموجّه الأول في نشأة حضارة المناذرة، وليس أدل على ذلك من "الحيرة" ذاتهـــا؛ حيـث مُورست فيها العديد من المذاهب الدينية التي تنوعت بين "الوثنية"، و"المجوسية"، و"الزرادشتية"، و"الفارسيّة"، و"اليهودية"، و"المسيحية"، وإنما كانت مكانة الوساطة في حلقة التجارة العالميّة آنذاك. وفي إطار ذلك يمكن القول: إن "المناذرة" وفي مرحلتهم الوظيفيّة الأولى تخلوا عن اكتساب القيمة من سلطة الدين، وذلك على وتيرة الأوعية الحضاريّة في "ديار العربيّة السعيدة" خلال الفترة من القرن (الثاني عشر ق.م) إلى القرن (الأول م)؛ ليكتسبوها من الوساطة التجاريّة في عالمهم الجديد.

ثانيًا –مرحلة (التقلب بين المنفعتين).

ورثت "الحيرة" وساطة "تدمر" التجاريّة، بيد أن الوراثة لا تعني –بالضرورة– النجاح، كما أنها لا تكفل درء مخاطر القوى المحيطة وليس سقوط "تدمر" ببعيد، وهنا يكمن مدخل إدراك موضع القيمة للانتقال إلى المرحلة (الثانية). فكما ورث "المناذرة" الوساطة التجاريّة كان لزامًا عليهم أن يتعلموا كيفية الحفاظ عليها في ظل

نظام اقتصاديّ لا تلزمه الندرة بقدر ما تتعهده القوة؛ ومن ثم كان لزامًا على "المناذرة" أن يتعززوا عن حولهم من العرب سواء أ كان ذلك على مستوى بادية "الشام"، أم بادية "العراق" أم بالأخص من "ديار العربيّة السعيدة "، ليس هذا فحسب بل كان لزامًا عليهم اكتساب مزيد من الشرعية الوجوديّة؛ فتحولوا من دور **الاكتساب التعزيزيّ** إلى دور الزعامة السيادية – نعم فلقد كان للمناذرة هدف واضح بصرته أعينهم وعضدته منازل أقدامهم سواء أ كان ذلك صوابًا أم كان ما قد يُرى أنه خطأ– وبالتعزيز وبالزعامة تقلب "المناذرة" بين المعسكرين[١] التجاريّين وبأكثر دقة تقلب "المناذرة" بين المنفعتين: الشرقيّة الفارسيّة والغربيّة الرومانيّة، وبتقلبهم أضحى للمناذرة وجوديّة مكانيّة خيَّل لهم أنها المستقر.

ثالثًا – مرحلة (الاكتفاء المنفعيّ والدولة الحاجزة).

الاتجاه الواضح، كان هذا شعار "المناذرة" في تلك المرحلة. فلقد أتى التقلب بين المنفعتين بنتائجه الزمنيّة؛ فاستقرت مكانتهم التعايشيّة. ولأنهم يتطلعون للمزيد؛ فلقد اقتضى أمرهم المفاضلة بين المنفعتين؛ لتحديد اتجاه الانتماء إلى أي المعسكرين: الشرقيّ بمجاورته المكانيّة أم الغربيّ بسطوته النفوذية. وشيئًا فشيئًا اكتفى "المناذرة" بالولاء للمعسكر (الشرقيّ) الذي كان يتمثل في "الفرس" دون المعسكر (الغربيّ) الذي كان يتمثل في "الرومان". والحق أن الولاء كلمة فضفاضة غير أنها تتناسب مع حالة "الفرس" ونظرتهم إلى الأمور. وهنا يكمن باعث موضع القيمة في هذه المرحلة، فولاء الضعيف للقويّ لا يعبر –في حد ذاته– عن جوهر معرفة العلاقة إنما يعكس رغبة عيش الضعيف في ظل شراكة القوى، أما عندما يتقبل القويّ الضعيف فحتمًا يكمن في القبول المعرفة كما تكمن فيه القيمة. ولم يكن قبول "الفرس" بذلك لموعدة وعدوها إياهم فلقد رأوا في "المناذرة" ما لم يره أحد فلقد رأوا فيهم "**الدولة التشاركية**"**"The participatory State"** التي يمكن أن

[١] من الجدير بالذكر أن كلمة "الحيرة" (عاصمة المناذرة) تعني -في اللغة الأرامية- المعسكر، أو الحصن، أو المخيم، وكذلك تعني: المستودع.

تمارس دور "**الدولة الحاجزة**" **"The Buffer State"** لا بينهم وبين "الروم"، بل بينهم وبين أبناء عمومة "المناذرة" وهم "العرب" في "ديار العربيّة السعيدة". وهنا القيمة وبواعثها، فالمعسكر (الغربيّ) حيث الرومان كان بالنسبة للفرس واقعية تنافسية قوامها الهيمنة المؤقتة سواء أ كان ذلك لصالح "الفرس" أم كان لصالح "الرومان" أنفسهم، أما "ديار العربيّة السعيدة"، فهي هيمنة البقاء سواء أكان ذلك لصالح المعسكر الشرقيّ أم لديار العربيّة السعيدة التي يُسهل توحيدها باسم الدين. ومن ثم لم يكن ولاء "المناذرة" "للفرس" سوى "**الشريط الحاجز**" وبأكثر دقة الشريط الآمن بينها وبين "ديار العربيّة السعيدة" حتى تتفرغ لهيمنة التنافس المؤقتة مع "الرومان". وبذلك استفاد "الفرس" في هذه المرحلة أكثر بكثير مما ظنه "المناذرة"، ويكفي "الفرس" أنهم قد استخدموا "المناذرة" خلال تلك المرحلة بوصفها خطوة استباقية متحركة ضد "ديار العربيّة السعيدة" من ناحية –وذلك على نحو ما يوضحه الشكل رقم (٤٨)– أو في محاربة جيوش "الرومان" من ناحية أخرى.

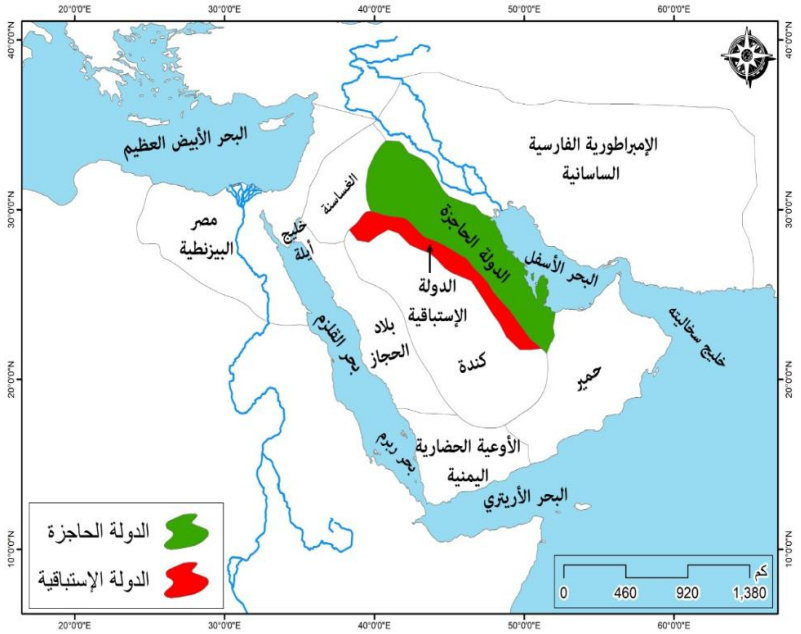

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٤٨): المناذرة الدولة الحاجزة والخطوات الاستباقية

رابعًا: مرحلة (الوجود من الحركة).

ليس بالضرورة أن يعني الانتقال من مرحلة لأخرى بلوغ المزيد، بيد أن تلك هي واقعية القيمة في المرحلة (الرابعة). فلقد أضحى "للمناذرة" وجود يتجاوز إطار انتشار بطون قبائلهم، وذلك بعد أن نجحوا في دورهم الحاجز بين الولاء للقوة من ناحية، وعلاقتهم بأبناء عمومهم من ناحية أخرى. وفي حقيقة الأمر تتجاوز القيمة في هذه المرحلة وجوديّة الدور الحاجز لتصل إلى حد وجوديّة الذات، ولم يكن يتسنى ذلك إلا بالتجربة التي لا تكفلها إلا نتيجة الحروب. نعم ... فإذا كان "الفرس" عدّوا "المناذرة" خلال تلك الفترة قوة متحركة تُصوب إلى "الرومان" تارة أو إلى "ديار العربيّة السعيدة" تارة أخرى فإن "المناذرة" لم يعدّوا أنفسهم هؤلاء، فلقد أدركوا أنهم الإطار المكانيّ النابض في حيوية "**الجغرافيات السياسيّة**" المتغيرة للأطر الحضاريّة في "ديار العربيّة السعيدة" آنذاك. وتبرهن حروب "المنذر الثالث" (٥١٢م – ٥٥٤م) على ذلك؛ حتى إنه استطاع أن يكتسح بادية "الشام" من حدود "العراق" متجاوزًا في ذلك "الغساسنة" (أبناء عمومته من العرب)، ليصل إلى "أنطاكية"؛ الأمر الذي جعل من قيصر "الروم" يوفد إليه رسله من القساوسة؛ ليفاوضوه في إطلاق بعض من أسرهم من قادته الكبار، أو يقنعوه بقبول الهدنة، أو يغروه بالانقلاب على "الفرس" والانضمام إلى صفوفهم، متجاوزين –في ذلك– كل ثوابت الجغرافيات السياسيّة. وعلى ما يبدو فالرومان لم يكن ليدركوا بواعث القيمة وثوابتها لدى "المناذرة" خلال تلك المرحلة؛ فلقد أرادوا الخروج من تحت عباءة الولاء للفرس والتحرر من أي ولاء يقدمه "الرومان"، ليس هذا وحسب، بل البحث عن شراكات إقليميّة من شأنها أن تعضد ذاتية الوجود لديهم. وبالفعل نجح "المناذرة" في ذلك وأضحى لهم قوة اقتصاديّة تجاوزت العلاقات السياسيّة مع الإطار الحضاريّ "الحميريّ" في جنوب "ديار العربيّة السعيدة" (صالح،١٩٩٤: ص١٧٢)، والأمر كله

في إطار حضاريّ مع أبناء العمومة من العرب، وهذا ما لم يكن ليرتضيه "الفرس" أولًا ومن بعدهم "الرومان".

خامسًا – مرحلة (تنامي القوى وتخطي الوظيفيّة الحاجزة).

أن تنجح فهذا مقبول، وأن يكون لك وجود؛ فهذا أمرٌ وارد، بيد أن تتجاوز الدور التوظيفيّ الذي رُسم لك في الإطار المكانيّ الذي حُدد لك فهذا لا نقبله. لم يكن هذا لسان حديث "الفرس" للمناذرة وحسب؛ بل لسان حديث "الرومان" أيضًا؛ ومن ثم فلم يكن بد من البحث عن إحدى آليات البقاء؛ لضمان استمرار السلطة ولا شيء سوى الهدنة أو حتى المصالحة، لا بين "المناذرة" من ناحية وبين "الفرس" و"الرومان" من ناحية أخرى، فهذا أمرٌ يتنافى "**جيوبوليتيكيًا**" مع اتجاهات الانتفاع على مستوى المنطقة آنذاك؛ لا بل لم يكن بد من الهدنة و المصالحة بين "الفرس" من ناحية و"الرومان" من ناحية أخرى؛ فلقد تهادن المعسكران في سبيل ضمان البقاء؛ ولتفعيل هذا الضمان كان لابد من واقعية مرئية تتجاوز حدود كلمات نصوص المعاهدات لتخرج إلى حدود التطبيق السياسيّ في المكان، بل لابد من نتائج. وبالفعل رفع "الفرس" كنف الحماية عن "المناذرة" كما رفع "الرومان" كنف الحماية عن "الغساسنة"[١]. ولا شيء بعد ذلك سوى نزاع الحدود لا بين "الفرس والرومان" بل بين أبناء العمومية في "ديار العربيّة السعيدة" حيث "المناذرة" و"الغساسنة". وكانت الحرب التي استمرت أكثر مما استمرت حروب "الفرس" والرومان ذاتهما، وشهدت الحدود سِجال نتائج الحرب بينهما في ظل ظاهر قوامه انتصار "الغساسنة" وباطن واقعيته هزيمة الطرفين لصالح انتصار المعسكرين الشرقيّ بفارسيّته والغربيّ برومانيّته. وقد يُظن أن الباطن هذا حَمل القيمة المعرفية لهذه المرحلة، بيد أنها لم تكن سوى معرفة الزبد. أما قيمة ما يمكث في الأرض في

[١] أحد الأطر الحضاريّة في "ديار العربية السعيدة" والذي سيتم استعراضه.

معرفة تلك المرحلة فيتمثل في محاولة "الفرس" صناعة قوى استباقية جديدة في "ديار العربيّة السعيدة" لتقوم بدور "المناذرة" الذين رأوا فيهم بلوغهم حد الشيخوخة المبكرة. وبالفعل قد كان، وتمثل ذلك في استمالة الإطار الحضاريّ "الكنديّ" الذي تنامى فأضحى محور الجغرافيات السياسيّة في قلب "ديار العربيّة السعيدة". وبذلك تحول قلب "ديار العربيّة السعيدة" من طور "**البناء الفوضويّ**" إلى طور "**التخليق الفوضويّ**" وبذلك خلق "الفرس" جغرافيّات سياسيّة لم تكن موجودة من قبل. فلقد تجاوزوا مفهوم صناعة "**الدولة الحاجزة**" **"Bufferstate"** حيث صناعة "المناذرة" من قبل بمفهوم آخر تمثل في صناعة "**الدولة الخانقة**" **"Stifing state"** حيث صناعة الإطار "الكنديّ" من بعد، فأضحت حركة "المناذرة" مشروطة بين قوتين: الأولى طبيعيّة الجوار تمثلت في "الفرس" شرقًا والأخرى اختلاقية الحوار تمثلت في "كندة" غربًا. ليس هذا وحسب بل كان للرومان دور آخر تمثل في اختلاق جديد تمثل في صناعة جغرافيّات سياسيّة جديدة يمكن أن يطلق عليها "**الدولة المُهددة**" **"Endangered state"** أو حتى "**الدولة المُغيرة**" **"Marauding state"** ولم تكن تلك الصناعة سوى إعادة تفعيل دور "الغساسنة"، سواء أ كان ذلك ضد "المناذرة" أم حتى "الفرس" بعد ذلك. نعم فكلا الطرفين (الفرس، والروم) يدرك – تمامًا– أن هدنتهم أو حتى صلحهم لا ثوابت فيه، إنما أمرٌ عارض صنعه الاتفاق الدائم حول عدم تمكين "ديار العربيّة السعيدة" من الاتفاق.

سادسًا –مرحلة (العودة بأبناء العمومة).

أضحت جغرافيّات "الدول الحاجزة" **"Buffer state"**، و"الدولة الخانقة" **"stiffing state"**، و"الدولة الممُهددة" **"Endangered state"** واقعًا سياسيًا حُصرت بداخله دولة "المناذرة"، ولا شيء بعد الحصار سوى النهاية ولا شك في ذلك، أو العودة إلى البداية ولا اِسْتَعْلاء على ذلك. ولم يكن هناك من بد سوى العودة

إلى البداية، لا إلى ولاء "الفرس" أو حتى "الرومان"، بل إلى اللجوء إلى أبناء العمومة وبدقة أكثر اللجوء إلى ما تبقى ممن لا يدين بالولاء إلى المعسكرين. ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن بهذا الولاء القليل استطاع "المناذرة" العودة –مرة أخرى– إلى المشهد السياسيّ؛ حتى إنه اتسعت جغرافيّات ملكهم غربًا ببلوغهم أرض "اليمامة". وهنا يكمن مدخل فهم بواعث القيمة في المرحلة (السادسة)، حيث استطاع عرب "المناذرة" العودة مرة أخرى بالولاء القبليّ "لديار العربيّة السعيدة" لا بالولاء لأحد المعسكرين، ولن ترضيهم النتيجة. وإذا كان ذلك هو مدخل بواعث القيمة في هذه المرحلة فإن نتاجها يتجاوز هذا كله؛ فلقد نشبت –وللمرة الأولى– إحدى الحروب الإقليميّة في شرقيّ "ديار العربيّة السعيدة" وغربيّ "الفرس" وذلك بين قطبي القوى المتنامية آنذاك، حيث "المناذرة" وأبناء عموماتهم من ناحية، وجميع أعوان "الفرس" و"العرب" الخاضعين لهم من ناحية أخرى. وفيها هُزم الأعوان وجميع الخاضعين. وإذا كان هذا هو نتاج القيمة في هذه المرحلة؛ فإن جوهرها كان من الآيات المبشرة على مستوى "ديار العربيّة" وذلك بأن الولاء لأبناء العمومة استطاع أن يعوض قلة العدد في مقاومة إحدى الدولتين الكبيرتين اللتين حكمتا الشرقين: الأدنى والأوسط في ذلك الحين.

سابعًا –مرحلة (القبول).

نعم...لقد انتصفت العرب على العجم. وقد يكتفي بهذه العبارة بوصفها خاتمة لمراحل تغير القيمة في الإطار الحضاريّ "المناذرة" وذلك بعد أن مرت بـ (ست) مراحل كان اتجاهها نحو بلوغ المزيد. بيد أن الأمر ليس كذلك فالجغرافيا التاريخيّة لا تنظر في إعادتها لبناء روافد القيمة في جغرافيّات الماضي على أنها كيانات منفصلة، بل تنظر إليها بعدّها دوافع متصلة برباط سريّ ولابد من الاجتهاد لبلوغ معرفته؛ كونه يمثل مفتاح الولوج إلى فهم المعرفة غير المرئية التي تمثل قاعدة التاريخ. ولم يكن ذلك الرباط سوى القَبُول، فلقد اتسعت عاصمتهم لطوائف

شتى من "اللخميين" (أهل الطبقة العليا من المناذرة)، والأحلاف الذين لحقوا بهم، والعباد من "النصارى"، وجماعات من أهل "العراق"، وجاليات كبار "الفرس" وموظفيهم ، فضلًا على أبناء العموم. ذلك القبول الذي تعددت في ظله المذاهب الدينية بين "الوثنية" و"المجوسية" و"الزرادشتية"، و"الفارسيّة"، و"اليهودية"، و"المسيحية". ووجدت المسيحية مجالًا رحبًا بين هذه الديانات، وأخذت بالمذهب "النسطوريّ" أكثر من المذهب "اليعقوبيّ". ولا شك في أن ذات هذا القبول قد جعلها بعد الفتح العربيّ عام (٦٣٣م) المحطة الرئيسة في انتصار العرب على "الفرس" في معركة "القادسية" عام (٦٣٦م) وصدق رسول الله –صلى الله عليه سلم– عند حديثه عن معركة "ذي قار" وعند استشرافه بعد ذلك بقوله: "**هذا يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبي نصروا**" صدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وبصدد ذات القبول فربما يطفو على السطح سؤالان، مضمونهما:

- **إذا كان القبول هو ذاك الرباط السريّ في حضارة "المناذرة" فلماذا لم يرتضوا بأن يكونوا جزءًا أصيلًا في بلاد المعسكر (الشرقيّ) حيث "الفرس" أو حتى في بلاد المعسكر (الغربيّ) حيث الرومان؟**
- **ليس هذا وحسب بل لماذا ارتضوا بأن يكونوا جزءًا تعايشيًا في إطار الإسلام الذي لم تتجاوز وجوديّته العقدين آنذاك؟**

ولن تخرج الإجابة في ظل التاريخيّة الدقيقة للمناذرة عن كونها أنهم أضحوا جزءًا لا يتجزأ في قبول آخر تجاوز فكرة القبول لديهم، ولا شيء سوى تعاليم الشريعة الجديدة التي استجدت في "ديار العربيّة".

المحور السادس:

الإطار الحضاريّ الغسانيّ والوظيفة الفوضويّة في القرن (الثالث م)

نعم ... وبصورة مباشرة، فشتان الفرق بين كلمة التوظيف، وكلمة الوظيفة. فـ(الأولى) تعني: التثمير، أو التنمية، أو حتى التشغيل وفيها يكون مصدر الفعل من الذات نحو الغرض، في حين أن الكلمة (الثانية) تعني: الاستخدام لغرض ما وبصفة منتظمة وفيها يكون مصدر الفعل من الغرض نحو الذات. وبصورة أكثر وضوحًا فذاك هو الفرق بين حضارة "المناذرة" وتوظيفهم لإطارهم المكانيّ لغرض ما من ناحية؛ وبين الغرض من وظيفة حضارة "الغساسنة" في إطارهم المكانيّ من ناحية أخرى[١]. وفي إطار أصوليتهم القبليّة أطلق المؤرخون المسلمون على بطون القبائل التي أُنتسب إليها "الغساسنة" آل "جفنة" وآل "ثعلبة" فضلًا عن آل "غسان". وذكروا أن "غسان" كان اسم ماء نزلوا عليه فسموا باسمه، وأضافوا أنهم نزلوا في جنوبيّ "الشام" بجوار قبائل عربيّة قوية تدعى قبائل "الضجاعمة"، وهي أحد بطون قبيلة "قضاعة" التي استخدمها "الروم البيزنطيون" في حماية حدودهم الصحراوية. فخضع "الغساسنة" لها حينًا، وتألبوا عليها حينًا؛ حتى أجلوها عن مواضعها، فتفرقت وورثوها في أرضها وفي شهرتها، وحينذاك حصل "الروم البيزنطيون" على حافِظ جديد، وصائن لمصالحهم، فأقروهم على مكانتهم؛ ليعملوا باسمهم على مناطق الحواف وفي قوافل التجارة (صالح،١٩٩٤: ص ١٧٧). وفي حقيقة الأمر لم يكن ذلك الإقرار سوى نوع من الإبرام وتوثيق الغرض من الدور الوظيفيّ لدولة "الغساسنة" نظير تخصيص بعض موارد الشام المالية؛ ليستعينوا بها في تقوية دولتهم ونفقات وظيفتهم. وهنا تكمن جميع مدخلات ثوابت معرفة القيمة في حضارة

[١] يرى بعض الباحثين أن الإطار المكانيّ لحضارة "الغساسنة" الذي امتد من أطراف شماليّ "الشام"؛ حتى منطقة "الجولان" جنوبيّ الشام – وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٤٩)- يمثل الدور الذي قام به "المناذرة" على أطراف "العراق" أي: بتكوين دولة حاجزة ووسيطة على أطراف بادية الشام، تدين بالولاء لدولة الروم البيزنطية وتنتفع منها وتعمل باسمها.

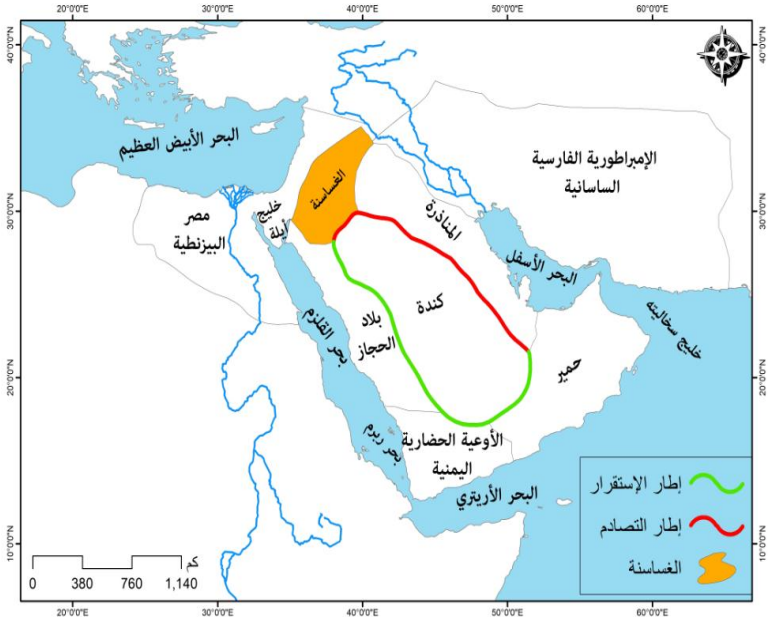

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٤٩): الإطار المكانيّ للغساسنة في القرن (الثالث م)

"الغساسنة"، فلم تكن سوى دولة وظيفيّة أقرتها المصالح؛ ومن ثم فلا غرابة في أنه لم يكن لحكام "الغساسنة" أي شأن في المتغير العام للمحيط السياسيّ قبل أوائل القرن (السادس م). وعندما أضحى لهم ذلك في عام (٥٢٨م) لم يخرج هذا الشأن عن كونه صراع السيطرة على الطريق الحربيّ بين مدينتي "دمشق" و"تدمر". ومن دواعي الاستغراب أن الطرف (الثاني) من هذا الصراع لم يكن سوى أبناء عمومتهم من "العرب"، فالصراع كان مع "المناذرة" جيرانهم في حدودهم الشرقيّة. وفي حقيقة الأمر لم يكن هذا الصراع أمرًا عارضًا وبالسيطرة على الطريق سينسحب الطرفان إلى حدود أطرهم المكانيّة، لا بل كان الحال الثابت بينهما في إطار حروب يمكن تسميتها بـ "**حروب الوكالة عن المعسكرين**". ولعل من الأمور التي تسترعي الانتباه أن جميع نتائج هذه الحروب كانت لصالح المعسكرين "الفارسيّ (الشرقيّ) و"البيزنطيّ" (الغربيّ) من ناحية، وليس للمندوبين، من ناحية أخرى. بل كاد الأمر

يصل إلى أن تعود نتائج هذه الحروب بحد الانتفاع الأعلى لكلا الطرفين في المعسكرين عند هزيمة أحد المندوبين، وهنا تكمن معرفة القيمة في تاريخيّة "الغساسنة" تحديدًا، والتي يمكن التعرف إلى بعض مراحلها على ضوء ما يأتي:

أولًا – مرحلة (الذاتية).

وعلى الرغم مما سبق، وعلى الرغم من كونهم ينتمون –في مجملهم– إلى الدولة الوظيفيّة، وعلى الرغم من كونهم مندوبي "الرومان البيزنطيين" في بلاد الشام، فإن "الغساسنة" لم يستطيعوا أن يتخلوا عن عروبتهم، وبأكثر تحديدًا لم يستطيعوا أن يتناسوا أصوليتهم القبليّة التي قامت في جزء منها على أصولية الذات، وفي عبارة أخرى لم يستطيعوا أن يتناسوا أصوليتهم القبليّة التي قامت في جزء منها على الأصولية من ناحية والذاتية من ناحية أخرى. نعم ... فعلى الرغم من أخذ "الغساسنة" بالمسيحية مثل "الرومان" فإنهم لم يأخذوا بالمذهب الذي ناصره "الرومان". وهنا تكمن أحد روافد معرفة القيمة في حضارة "الغساسنة" فعلى الرغم من كونهم جزءًا هامشيًا في إطار "الرومان" فإنهم لم يؤمنوا إلا بما اقتنعوا به.

وإذا كان هذا الأمر أحد بواعث القيمة خلال تلك المرحلة فإن القيمة كلها تكمن في محاولة فهم دور الدين في بنية التعايش ليس على مستوى الإطار المكانيّ لحضارة "الغساسنة" وحسب؛ بل على مستوى "ديار العربيّة السعيدة" التي يتغلب فيها الدين على قوة استخدام السيف أو حتى الولاء له.

ثانيًا – مرحلة (الاستيلاء).

لا سبيل للدولة الوظيفيّة إلا نهاية غالبها التشتت وهذا أمر تحصيليّ أكثر من كونه حتميًا، فلقد شهد عام (٥٨٤م) تشتت الأسرة الحاكمة لدولة "الغساسنة"، وذلك بعد أن فقدت ملكها في إطار انتشارها المكانيّ، وهبط زعماؤها إلى مرتبة الإمارة بعد أن سُمح لهم بترأس مناطق متفرقة في إطار ملكهم القديم

(صالح،١٩٩٤: ص١٨٠)، وبأكثر دقة مناطق محدودة، وذلك بعد استيلاء "الفرس" على إطارهم المكانيّ في بلاد "الشام" عام (٦١٣م). ويعد ذلك أمرًا تحصيليًا؛كونهم كانوا يخوضون حروبًا بالوكالة غلبت عليها آمال رغباتهم في الهيمنة والمزيد من التوسعات الإقليميّة. وعلى الرغم من وجود فرق بين الآمال من ناحية، وبين الواقع من ناحية أخرى. فإن كليهما كانا يسيران عند "الغساسنة" في اتجاه واحد، بل يكاد يكون مصدرهما واحدًا؛ فلم تكن آمال "الغساسنة" إلا انعكاسًا لواقع نتيجة السجل الحربيّ "للرومان البيزنطيين" فبانتصاراتهم تزداد آمالهم وبإخفاقاتهم فلا يوجد غير تشتتهم. ولعل في نجاح "هرقل" (قيصر الروم) في إجلاء جيوش "الفرس" من "الشام" في عام (٦٢٩م) خير دليل على ذلك بعد عودة زعامة "الغساسنة" على الأطراف الصحراوية والقوافل التجاريّة في منطقة "الشام"، وبأكثر دقة بعد عودة الزعامة الوظيفيّة عادت الأطراف الصحراوية والقوافل التجاريّة التي كانت تلج إلى بلاد الرومان. وفيما يتعلق بمعرفة بواعث القيمة في هذه المرحلة فلم تكن حضارة "الغساسنة" سوى وظيفة الظل في الدولة الرومانيّة البيزنطية.

ثالثًا – مرحلة (الإذابة).

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر. سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق. وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له».

هذا خطاب سيدنا محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى "الحارث بن شمر" آخر أمراء "الغساسنة" والذي أسلم في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه–. وفي حقيقة الأمر فإن روافد القيمة في هذه المرحلة تجسدها الفترة الزمنيّة بين خطاب سيدنا "محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم"– وبين إسلام "الحارث" في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه–؛ الأمر الذي يعني: أنه لم يعتنق الإسلام في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– واعتنقه بعد ذلك

على الرغم من كونه وسوابقه من حكام "الغساسنة" من أشد أنصار مذهب الطبيعة الواحدة في الدين المسيحيّ. ولا مغالاة بحثية في ذلك فالرومان ذاتهم أصحاب الوظيفة لم يستطيعوا استمالة "الغساسنة" للدخول في مذهبهم العقديّ في إطار ذات الدين **فهو بمنزلة عماد وحدة قبيلتهم.**

ولا مغالاة بحثية بأن اعتناقهم الإسلام كان بسبب قوة السيف؛ فما كان عليهم إلا أن ينتقلوا بوظيفتهم الظلية إلى أماكن أخرى في رحاب "الدولة البيزنطية" بيد أن القيمة الحقيقية لا تكمن في السلاح بقدر ما تكمن في وجوديّة نشأة القبليّة ورباطها الذي يجب أن يكون أقوى من أي سببية أخرى ولا شيء أعلى لديهم سوى رباط الدين فهو بمنزلة عماد وحدة قبيلتهم؛ حتى إنهم تلاشوا تمامًا في إطار الدولة الأموية التي نسب إليها الكثير من أعمال "الغساسنة" (صالح،١٩٩٤: ص ١٨١).

والمحصـــلة؛ فالإطار المكانيّ لحضارة "الغساسنة" لم يكن إلا الإطار الوظيفيّ لظل "الدولة الرومانيّة البيزنطية" في "ديار العربيّة السعيدة". حيث لم يكن سوى الحد الأعلى من نتائج "**التخليق الفوضويّ**" في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة". والحقيقة قد يرى بعضهم أن هذه النتيجة غير ذي بال والأحق أنها تمثل كل البال ليس في خصوصيتها وإنما لتداعي آثار عمومياتها. فهذه النتيجة الفوضويّة كانت بمنزلة أحد الأقطاب الجاذبة لعمومية أخرى من "**التخليق الفوضويّ**" كانت ستعد الأشد أثرًا والأكثر فعلًا إذا تسنى لها النجاح ليس على مستوى"ديار العربيّة السعيدة" فحسب، ولكن كان الأمل ليصل إلى إعادة صناعة خريطة العالم المعروف آنذاك، ولا شيء سوى "**التخليق الفوضويّ الحبشيّ**" عابر الحدود والقارات، والذي سيتم التعرف إلى مدخلاته الإقليميّة والدولية على نحو ما سيتضح من خلال المحور الآتي.

المحور السابع:

الإطار الحضاريّ الحميريّ ومدخلاته والتشارك الفوضويّ الخلاق في القرن (الثاني م)

ثمة فرق بين كونها قامت بفضل ما آلت إليه نتيجة الاضطرابات في الجزء الجنوبيّ من "ديار العربيّة السعيدة"، وبين كونها قامت نتيجة التصدي للاضطرابات في الجزء الجنوبيّ من "ديار العربيّة السعيدة". ولعل ذلك الفرق يمكن إيضاحه في عبارة تقريبية، مضمونها: أن (الأول) هو قيام الفرصة والانتظار، أما (الثاني) فهو قيام القوة والاستفسار. وبين هذا وذاك تأتي قيمة الحضارة الحميرية[1] لتجسد واقعًا تاريخيًا لا مبالغة عند وصفه بأنه الأهم في "ديار العربيّة السعيدة" قبل ظهور الإسلام. ولمزيد من التحديد الدقيق الذي يصقل هذا الواقع من أي ظنون بحثية، فإن جوهر بواعث القيمة هنا لا يرتبط بالنتيجة بقدر ما يرتبط ببنية المدخلات السببية التي أدت إلى النتيجة. وفي إطار ذلك يمكن التعرف إلى هذه القيمة وواقعيتها التاريخيّة من خلال المراحل الآتية.

أولًا – مرحلة روافد الفوضى).

"التنافس الشديد"، و"رغبة الانتشار"؛ و"تطلعات الرياسة القبليّة"؛و "السيادة المكانيّة"؛ و"الرومان والعداء السبئيّ" و"التشتت"؛ و "المنافسة بين التجارة البحرية والتجارة البرية"؛و "فرق العملة"؛ و"توظيف الدين"، و"المزيد من الثراء"، و"المزيد من الافتقار"، و"انتشار استعمال الخيول"؛ و"الفرس والنتيجة"؛ و"ترقب الأحباش"، و"الاندثار والبناء".

لا رباط مكانيّ يمكن أن تشتمله المدخلات السابقة كافة في الإطار العام للعالم القديم خلال الفترة من عام (٩٠م) إلى عام (٢٦٥م) إلا الجزء الجنوبيّ من "ديار العرب". ولا كلمة واحدة تستطيع أن تصف وتفسر سببية المدخلات السابقة كافة بعد

[1] وبصدد "حمير" تحديدًا فإن أحداثها المتسارعة أدت إلى الاضطراب الفهميّ في كثير من الأحيان.

فهمها وسبر أغوارها إلا كلمة الانتفاع. وفي إطار ذلك نُسجت مدخلات القيمة في الجزء الجنوبيّ من "ديار العربيّة السعيدة"؛ كما نُسجت تاريخيّته. ولعل أبرز ما اضطلَعت به تاريخيّة تلك الفترة تلك النتائج التي نجمت عن استنفاد ما تبقى من القوى التي شكلت الأوعية الحضاريّة في تاريخيّة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ حتى بداية القرن (الأول م)، فلم تعد "مملكة سبأ"، أو "قتبان"، أو "معين"، أو "حضرموت"، أو "أوسان" – وذلك على نحو ما يتضح من الشكل (٥٠) –

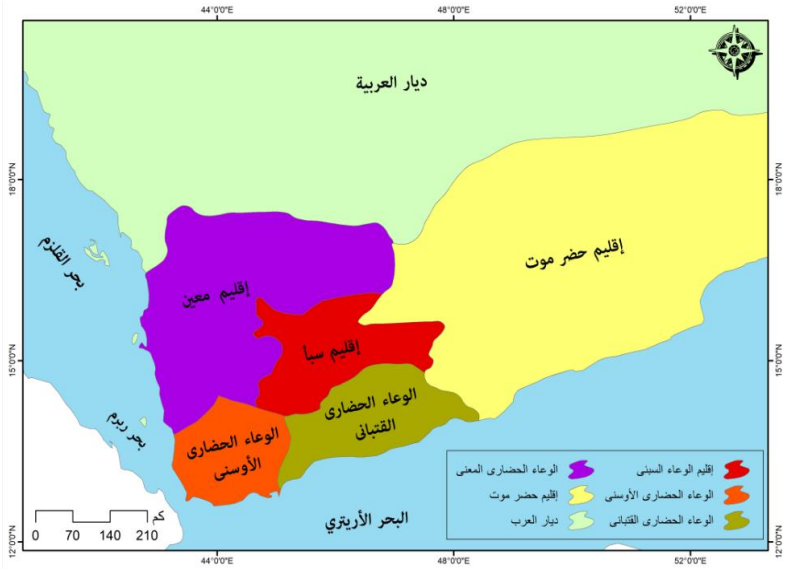

شكل رقم (٥٠): "الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة في القرن (الثالث م)

إلا أثرًا بَعْدَ عَيْنٍ. وما تبقى لم يكن سوى جملة من القبائل تحلت بنسبها إلى تاريخيّة "سبأ" وألقاب ملوكها أكثر من نسبتها إلى الواقع بوصفه فعلًا. ولعل من أبرزها قبيلة "مرثد"، و"جرت"، و"سخيم"، و"تبع"، و"همدان". ومما يسترعي الانتباه أن واقعية تلك القبائل لم تكن إلا نوعًا من التكيف التعايشيّ حددته مستويات المصالح (صالح،١٩٩٤: ص ١١٧). وفي إطار ذلك، وبين الاضطلاع، والاستنفاد، والتكيف، استطاعت قبائل

"حميـر" التـي ورثـت –أولًا– الإطـار المكـانيّ لحضـارة "أوسـان" أن تحـدد مسـارها، وبـأكثر دقة أدركت أن مكمن القوة يتمثل في السيطرة على إرث ما تبقى من مملكة "سبأ".

ثانيًا – مرحلة (الفوضويّ الخلاقة).

نجحت قبائل "حمير" خلال القرن الأول الميلاديّ في أن ترث ما تبقى من مملكة "سبأ"، كما نجحت في أن تتخذ من "ظفار" عاصمة لها، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٥١)

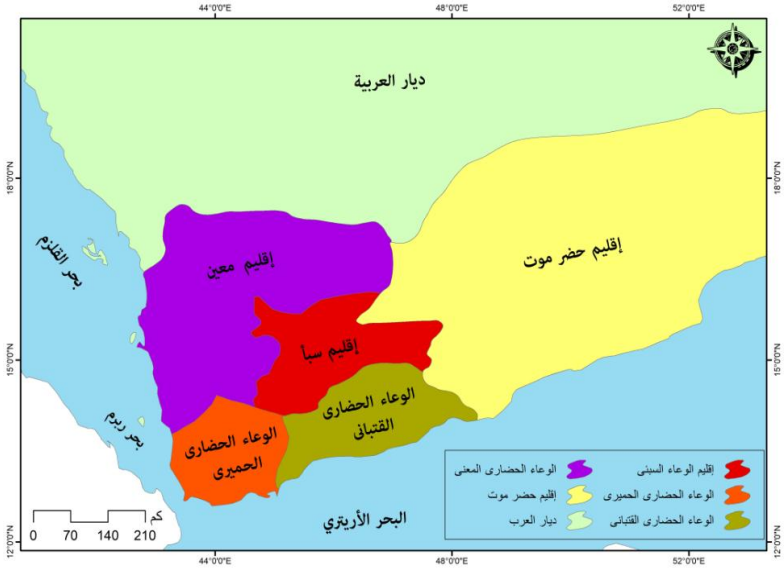

شكل رقم (٥١): الإطار المكانيّ لبداية التوسع الإقليميّ للوعاء الحضاريّ الحميريّ

وفي حقيقة الأمر لم يكن ذلك النجاح إلا بفضل ما آلت إليه نتيجة الاضطرابات من فوضى؛ ولأنه نجاح غلفته الفوضى؛ فلم يكن حتى منتصف القرن (الثاني م) يتصف بالاستقرار. فلقد تنازع هذا النجاح (خمس) أسر قبليّة، وبأكثر دقة (خمس) أسر إقليميّة كان من أبرزها: قبيلة "همدان". وفي حقيقة الأمر فإن مفهوم القيمة في تلك المرحلة يكمن في نتيجة "**الفوضى الخلاقة**" وما أسفرت عنه من تركز الزعامات الفوضويّة وتوحيدها في اثنتين تمثلتا في زعامة "حمير"، وزعامة "همدان". ومن

الناحية التاريخيّة فقد يُظن أن هذا الأمر غير ذي بال أو أهمية، والحق أن هذا الأمر في تلك المرحلة يعد المسار الذي ولجت منه -بعد ذلك-تاريخيّة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ حتى بداية القرن (السابع م).

ثالثًا – مرحلة (فوضى الزعامة بالاستعانة).

لم يكن نجاح قبائل "حمير" في اتخاذ "ظفار" عاصمة لهم إلا نوعًا من القفز فوق حركة الأحداث التاريخيّة. هذا ما رأته قبائل "همدان" ولم ترضَ عنه. ويدخل تحت عدم الرضاء هذا تحالفهم مع البقية من قبائل "حضرموت" لعلهم بذلك يعيدون تصحيح مسار حركة الأحداث. بيد أن عدم الرضاء هذا لم يقف عند هذا الحد، بل يمكن القول: إنهم قد تجاوزوا كل الحدود، بل يمكن القول: إنهم قد زادوا فوق فوضتهم المحلية أو حتى الإقليميّة بأخرى دولية عبارة الحدود والبحار؛ فلقد استعانوا بـ "الأحباش"[١]. وأيًا كان موطن هؤلاء فلقد خرجت الفوضى من إطار القبيلة العربيّة إلى إطار الممالك والدول الخارجية وذلك على نحو ما يتضح بالشكل رقم (٥٢).

[١] اختلفت آراء الباحثين في تحديد أصل الأحباش، ولأهمية ذلك تاريخيًا أو حتى استشرافيًا يمكن حصر هذه الاختلافات في آراء ثلاثة هي على النحو الآتي:

- ذهب بعضهم إلى عدّهم فرعًا من سكان الجزء الجنوبيّ في "ديار العربية السعيدة"، وتحديدًا في منطقة سهل "تهامة". ولقد قام بعضهم بالنزوح إلى الساحل الإفريقيّ المواجه لهم. ولقد استطاعوا تكوين بعض الجماعات التي نشرت اللغة السامية. ولقد عرفوا عند العرب حينذاك بتسمية "الحبش".
- ذهب فريق آخر إلى عدّهم مولدين من مهاجرين أحباش إلى سواحل تهامة، تكاثروا فيها ثم عملوا لمصلحتهم في فترات الفوضى الداخلية بالانحياز إلى فريق ضد آخر.
- يرى بعضهم أنهم غزاة من "الحبشة" استغلوا فترات الاضطراب والتفكك في الجزء الجنوبيّ من "ديار العربية السعيدة"؛ فاحتلوا مناطق ساحلية واسعة من ساحل .

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٢): الطبقات العالميّة الجديدة للتخليق الفوضويّ في القرن (الثالث م)

وأيًا كان موطن هؤلاء فإنها لن تخفي واقعية التمزق والفوضى التي آلت إليها مطامع الزعامة الذاتية التي طغت فوق المصالح القبليّة أو حتى الإقليميّة. وفي حقيقة الأمر فلقد أتت هذه الزعامة بما لم يُؤتَ به من قبل، فعلى الرغم –على سبيل المثال– من توظيف "المناذرة" بالانتماء إلى "الفرس" أو وظيفة "الغساسنة" بالعمل في ظل توجهات "الرومان"، فإن زعامتها كانت تدرك أن ثمة حدودًا لا يمكن تجاوزها في إطار توازن القوى الإقليميّة. أما وإن تجاوز "الهمادنة" هذا كله، أرضًا وحدودًا، قبليّة وإقليميّة؛ فلا شيء بعد ذلك إلا اتساع حدود **الفوضى الإقليميّة** وبلوغها **الحدود الدوليّة**. وأيًا كان الأمر فلقد نجح "الهمادنة" –بالفعل– في عدم تمكين "الحميريين" من سلطة الحكم. بيد أن نجاحهم هذا كان مقيدًا بكشف ما كان

عليه الوزن السياسيّ لممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" من ضآلة تأثيرية وهشاشة للسيادة النفوذية.

وبأكثر دقة، فلقد كان هذا مقيدًا بكشف واقعية الوزن السياسيّ الذي حُجبت حقيقته بفعل التجارة الخارجية وتحديدًا باحتياجات الأسواق الغربيّة.

وبصدد هذه النقطة تحديدًا فلقد ذكر "بليني" (خلال القرن الأول الميلاديّ)، في كتابه "التاريخ الطبيعيّ" أمرين متقابلين. أولهما أن السفن التابعة للرومان كانت تخرج من "برينكي" (قرب أسوان في مصر على البحر الأحمر)، إلى ميناء "أوكيليس" على مضيق "باب المندب" من دون توقف، ومن هناك إلى "الهند" رأسًا من دون وساطة العرب. لكنه أضاف إلى ذلك أمرًا آخر، مضمونه: **أن العرب ظلوا من أغنى الأمم؛ وذلك بسبب تدفق الثروة من "روما"، و"باريثا" عليهم وتكدسها بين أيديهم. فهم يبيعون ما يحصلون عليه من تجارة البحر من دون إنتاج، ويبيعون ما يحصلون عليه من إنتاج غالبيتهم، ولا يشترون شيئًا في مقابله.** وفي ذات الإطار أشار "بليني- أيضًا- إلى أن "السبئيين" كانوا أعظم القبائل ثراءً بما تنتجه غاباتهم من "البخور"، وما يملكونه من مناجم "الذهب"، وما يوجد عندهم من الأراضي الزراعية، وما ينتجونه من "الحبوب" و"الكروم" و"العسل". وتكمن قيمة ما ذكره "بليني" في تصويره لمدى استهلاك العالم الخارجيّ لمنتجات ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" ؛ فلقد رَوى أن "روما" قد استهلكت في جنازة أحد الأباطرة ما يساوي الإنتاج السنويّ لممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" ، كما روى أنه ترتب على ازياد استهلاك البخور والصموغ أن التجار لم يجدوا الوقت الكافي لسيقانه؛ لكي تنضج (الفاسي،٢٠١٣: ص.ص ٦٥-٧٣).

وفي إطار ما سبق؛ فعلى الرغم من سيطرة تجار "الرومان" و"الإغريق" على أغلب تجارة الهند في "المحيط الهندي" و"البحر الأحمر"؛ فإن "العرب" ظلوا ينتفعون ببيعها ويقومون بنقل منتجاتهم الخاصة من البخور والصموغ ومشتقاتها سواء برًا أو بحرًا

وهو أمرٌ لم ينتفع به الجنوبيّون وحدهم بل انتفع به العرب الشماليّون أيضًا ولفترة طويلة. وأيًا كان الأمر فما يجب الانتباه إليه والأخذ بمخرجاته، أن بواعث القيمة هنا لم تتكون بالصمغ أو البخور أو حتى كل منتجات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"، بل تكونت من خلال احتياجات الأسواق الخارجية التي كانت تستهلك هذه المنتجات، ولولا ذلك لبقيت الصموغ حبيسة أرضها (أشجارها) ولظلت رائحة البخور في إطار إقليمها. أما القول الفصل، فمضمونه: أن الوزن السياسيّ لممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" لم يكن يعتمد على قوى ذاتية أو حتى إقليميّة؛ بل كان يعتمد على احتياجات الآخر الخارجية.

رابعًا – مرحلة (الفوضى واستدعاء المزيد).

استعان "الهمادنة" بـ"الأحباش" في حروبهم ضد "الحميريين"، واستعان "الحميريون" بالأحباش من مملكة "أكسيوم" (الحبشة حاليًا) في حروبهم؛ سعيًا إلى تثبيت حكمهم. كلتا العبارتين صحيحتان؛ فلقد أدرك "الأحباش" أن الحقيقة الثابتة في ظل عمومية البناء الفوضويّ السائدة خلال تلك الفترة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" هي الانتفاع ومقدار عوائده؛ ومن ثم لم يكن لديهم ركائز سياسيّة من شأنها أن تلزمهم بتحالفات إقليميّة تتصف بالديمومية إنما هي تحالفات وقتية تتحدد بالمصالح الانتفاعية، وبالفعل انتقل "الأحباش" من التحالف السياسيّ مع "الهمادنة" إلى التحالف الانتفاعيّ مع "الحميريين"؛ ومن ثم أضحى "الأحباش" العامل المشترك الحربيّ في "**التخليق الفوضويّ**" على مستوى "ديار العربيّة السعيدة" عامة وجنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خاصة؛ تلك الفوضى التي نبتت بالخلافات وأثمرت بتعدد الزعامات. وفي حقيقة الأمر لا تكمن القيمة هنا في معرفة هذه الخلافات أو حتى تعدد الزعامات؛ بل تكمن في وضوح الحقيقة الثابتة التي أدركها "الأحباش"؛ حتى إنهم أضحوا جزءًا من تكوينها، ليس هذا وحسب، إنما تلك هي القيمة القريبة التي تطفو فوق أحداث التاريخ؛ أما بواعث قيمة الجوهر فتكمن في إدراك "الرومان" لتلك

الحقيقة من ناحية ونجاحهم في توظيفها من ناحية أخرى؛ ولا نتاج طبيعيّ بعد ذلك سوى أن يتحالف "الرومان" أنفسهم مع "الأحباش" أصحاب الاتجاه الواضح. ولولا وفاة ملك "أكسيوم" وعموم الاضطرابات في المملكة لنجح هذا التحالف في تطويق "ديار العربيّة السعيدة" بحريًا من الناحية الغربيّة والجنوبيّة، ولنجح –أيضًا– في تجميد تجارتها أو حتى التحكم فيها. وبناء على ما سبق فلقد تجاوزت عمومية الفوضى في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خلال تلك المرحلة حدود استدعاء المزيد من الفوضى الإقليميّة إلى استدعاء المزيد من الفوضى العالميّة؛ بهدف تغليب زعامة على أخرى.

خامسًا– مرحلة (الحكم الاسميّ والالتفاف الدينيّ).

نعم ... تغلبت زعامة قبائل "حمير"، ونجح "شمر يهرعش" في أن ينفرد بحكم ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" في الفترة من عام (٢٩١م) إلى عام (٣١٦م). ولأنه النجاح الذي أعقب فترات سادتها الفوضى؛ فلقد نظرت إليه العديد من المصادر التاريخيّة على أنه فاتح عظيم امتد حكمه –في زعمها– إلى أرض "بابل"، و"فارس"، و"سمرقند" و"أرمينيا"، و"الصين"، و"التبت". وبعيدًا عن مدى مصداقية زعم هذه الزعامة فإن هذا يدخل في دائرة ما يمكن تسميته بـ "الحكم الاسميّ"؛ وهذا أمرٌ طبيعيّ كان يهدف –في المقام الأول– إلى محاولة استنهاض همم قوميّة "ديار العربيّة السعيدة " بعد فترات من عموم الفوضى الإقليميّة؛ ومن ثم فإن الشكل رقم (٥٣) الذي يوضح الإطار العام لمملكة "حمير" خلال هذه الفترة التاريخيّة إنما يعبر عن طموحات ذاتية بلغت حد السيطرة على "أرض الأحباش"، و"تهامة"، و"حضرموت". وعلى الرغم من كونها طموحات ذاتية، فإن هذا لم يكن ليمنع أن ثمة زعامة استطاعت الاستفادة من ذلك بفرض هيمنتها الاسمية على جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". إلا أن هذه الهيمنة لم تكن لتمنع الحد من طموحات

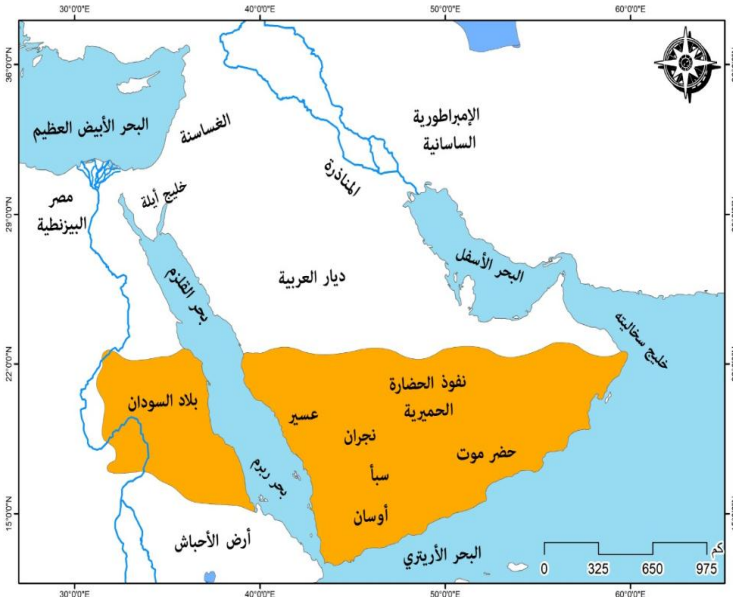

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٣): الإطار الاسميّ لنفوذ حكم الحضارة الحميرية

ملك "أكسيوم" (أرض الأحباش) في السيطرة على أرض جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ تلك الطموحات التي مهدت لها جملة من الآمال المفتعلة. نعم فلقد كانت لدى ملك "أكسيوم" –هو الآخر– العديد من الطموحات حاول افتعالها عن طريق الألقاب التي خلعها على نفسه. ولقد عزز هذا الافتعال جملة من الأسباب، أبرزها: ما كانت عليه "ديار العربيّة السعيدة" من عموم الفوضى؛ ومن ثم أراد لطموحاته أن تسبقه إلى "ديار العربيّة العرب" قبل أن تصل إليها جيوشه. وفي إطار تلك الطموحات كانت تاريخيّة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" حتى نهاية القرن (الرابع م). **وبصدد هذه النقطة تحديدًا وما يجب الانتباه إليه أن ضعف الحالة السياسيّة وما آلت إليه عمومية البناء الفوضويّ في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" إنما شجعت نتائجه على استقواء من كانت تتصف تاريخيّتهم بالعيش في كنف الآخر وفي ظلال خطواته على الرغم من وجود البحر فاصلًا بينهم.**

وفي حقيقة الأمر فالتاريخ عامة والجغرافيا التاريخيّة خاصة لا تكمن بواعث قيمتهما في تعدد الأحداث بقدر ما تكمن في استيعاب هذه الأحداث وفهمها من خلال رباطها السُّرِّيُّ وهنا يكمن جوهر القيمة. وبصدد هذه المرحلة (التي تعد من أدق المراحل التاريخيّة في شرقيّ إفريقيا خاصة، وديار العربيّة السعيدة عامة)، وما تنطوي عليه من قيمة؛ فقلد سمح الإمبراطور البيزنطيّ "قسطنطين الأكبر" بانتشار المسيحية في دولته، ابتداء من عام (٣١١م)، ثم أضحت الدين الرسميّ للإمبراطورية بداية من عام (٣٧٥م)، ثم ذهبت إلى "أرض الأحباش" في ذات العام. وبالفعل فلقد نجح "الرومان" بالدين في ما لم تنجح فيه التجارة، فلقد استطاعوا بلوغ القلب في "أرض الأحباش". وعلى الرغم من سبق الديانة "اليهودية" فإن انتشار "المسيحية" كان الأمر الغالب؛ الأمر الذي تلقفه ملك "أرض الحبشة"؛ حتى عزر طموحاته الاسمية بأخرى واقعية ينتهي مآلها إلى أرض جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ ومن ثم فلم تكن طموحاته إلا جزءًا من الالتفاف الدينيّ، أراد به بلوغ غايته وكذلك كانت نوعًا من الانتفاع الدينيّ سعى "الرومان" من خلاله إلى بلوغ غايتهم؛ ومن ثم يمكن القول: إن عموم الفوضى في "ديار العربيّة السعيدة" ساعدت على تجاوز الديانة اليهودية ومحاولة الاستفادة من الديانة "المسيحية" في أرض "الأحباش"؛ كونها المدخل لعقد التحالفات السياسيّة والاتفاقيات الاقتصاديّة في ظل قوة الدولة البيزنطية.

سادسًا – مرحلة (اللقب الملكيّ والتوظيف الدينيّ).

بالفعل ... فمن الصعوبة بمكان إخضاع ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" تحت زعامة واحدة يُدان لها بالسلطة. غير أن تلك الصعوبة لم تكن لتمنع المحاولة. وفي إطار المحاولة يمكن القول: إن النصف الأول من القرن (الخامس م) شهد سعيًا كفلته جملة التغيرات التي عاينتها "ديار العربيّة السعيدة" خاصة (على المستوى الإقليميّ) والإطار الحضاريّ المحيط بها عامة (على

المستوى العالميّ)؛ ونظرًا لكونها جملة من التغيرات كانت تتصف بمعلومية أسبابها وبخفية اتجاهاتها؛ فلم يكن هذا السعي إلا محاولة لقبية أكثر من كونه سيادة واقعية. وفي إطار ذلك زاد "أب كرب أسعد" في ألقابه لعله بذلك يؤكد قوة سلطانه فأضحى ملك "سبأ"، ودوريدان"، و"حضرموت"، و"يمنت"، و"أعرب"، و"طورم"، و"تهمتا". وسواء أ حالفه النجاح أم لا فالأمر في إطاره العام سوء بسوء في ظل عمومية فوضى توحدت على الانتفاع، ولم يتسنَ -بعدُ- الخروج من دائرتها. وهنا تكمن قيمة الوعي في هذه المرحلة التاريخيّة؛ تكمن في مدى إدراك السببية التي من شأنها أن تعين على الدفع للخروج من هذه الدائرة. وفي حقيقة الأمر لم تتوافر لدى ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خلال تلك المرحلة أي سببية ذاتية؛ إنما جاءتها تسعى؛ بهدف واضح يرتكز على متناقضين؛ فأما السببية فلقد تمثلت في الدين وقوة سلطانه، وأما الهدف فظاهره الواضح سعي الدولة "البيزنطية" للتبشير "بالمسيحية" في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"، وأما باطنه الأوضح فتكشفه مراحل الشكل رقم (٥٤) التي تنتهي غايتها إلى تطويق بلاد "فارس" بالديانة الجديدة. وفي عبارة واضحة فلقد أرادت "بيزنطة" أن تضمن لها أنصارًا باسم الدين؛ للحيلولة دون انطلاق نفوذ "الفرس" المحتمل في "ديار العربيّة السعيدة".

وما يجب التنويه عنه أن الديانة "اليهودية" موجودة -بالفعل- في ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" لكن في ظل انتشار محدود، وفي إطار ذلك يرى بعضهم أنه ليس من المستبعد أن هذه الديانة تسللت إلى "ديار العربيّة السعيدة" عامة وجنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خاصة بإيعاز من الفرس؛ نكاية في البيزنطيين المسيحيين (صالح،١٩٩٤: ص ١٢٧). ومن ثم يمكن القول: إن باعث قيمة هذه المرحلة التاريخيّة في أنها شهدت البداية (الأولى) في محاولة معالجة

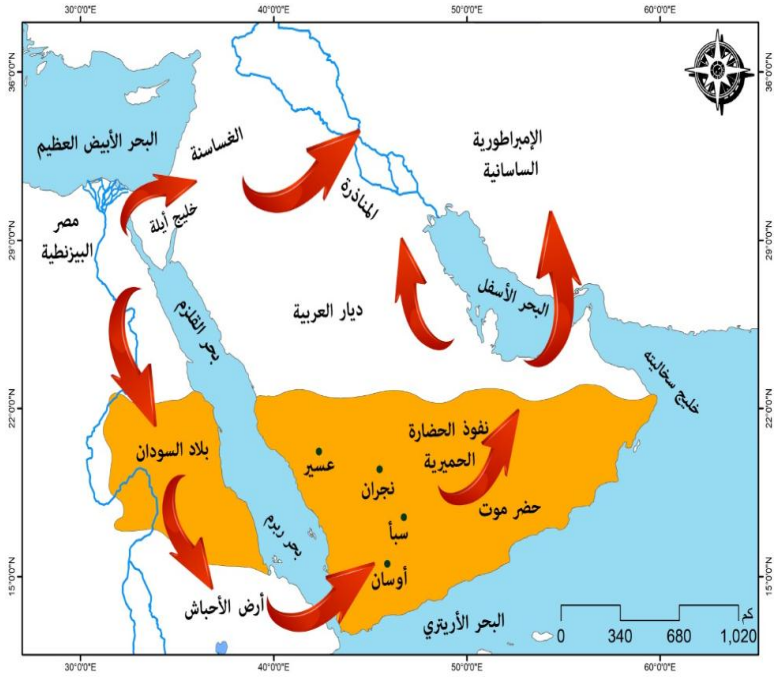

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٤): اتجاهات التطويق التخليقيّ خلال القرن (الخامس م)

عمومية الفوضى بالدين الجديد وسواء أ كان ذلك بالبعثات التبشيرية أم كان بالتجارة البرية والبحرية فلقد أضحى الدين الجديد حقيقة متحركة في إطار "ديار العربيّة السعيدة"، كما أضحى الحقيقة التوظيفيّة والوظيفيّة الخفية في إطار عمومية الفوضى. ومهما كان من أمر الديانة "اليهودية" و"المسيحية" في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ فلقد ظل اتباعهما خلال تلك المرحلة التاريخيّة قلة قليلة. حيث ظلت غالبية أهل ثورة الديار على عقائدهم الوضعية القديمة وإن حاولوا أن يوسعوا آفاقهم الدينية من تلقاء أنفسهم تارة ونتيجة اتصالهم بأصحاب الديانتين (اليهودية والمسيحية) تارة أخرى.

سابعًا – مرحلة (الدين بين الثنائية العقائدية والزعامة الوظيفيّة).

وسواء أ بسبب تهوده، أم صداقته لليهود، أو تأثره بتحريضهم، أم حتى بسبب انتشار النفوذ الحبشيّ المسيحيّ في ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة " فلقد تعهد "ذو نواس" (أحد الملوك الحميريين في النصف الأول من القرن السادس الميلاديّ) المسيحيين بالسوء؛ ولاسيما التجار الأشاعرة (حلفاء بيزنطية والأحباش). ولأنه سوء تجاوز حد الدين وبلغ حد الانتفاع من عوائد التجارة، فلم يكن بد من البحث عن متعهد لديه سطوة دينية مسيحية، ونفوذ، ومقاصد تجاريّة، ولم يكن يجتمع ذلك آنذاك إلا في إمبراطور "بيزنطة" صاحب البعثات التبشيرية النشطة إلى البلدان كافة التي يمكن من خلالها الوصول إلى تجارة "الهند". وعلى الرغم من مناشدتهم إيَّاهُ بالتدخل المباشر لمعاونتهم، فإنه لم يعبأ لذلك، فلقد تجاوزت تكاليف إرسال الحملات إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" الحد الأعلى للانتفاع من عوائد ذلك.

وبصدد الاستعانة بأطراف خارجية؛ فمن الملاحظ أن تلك المسألة تنشط ارتباطيًا عندما تستشعر فئة دينية ما بأنها مستضعفة أمام فئة دينية أخرى؛ ومن ثم فإنه كثيرًا ما تلجأ إلى الاستنصار بمراكز قوى أخرى تعينها على دحر الفئة الدينية الغالبة. وربما تلجأ الفئة الغالبة بعد قهرها بالمستنصرين إلى الاستعانة بأطراف خارجية أخرى تعينها على كل ما سبق. وفي الحقيقة فالأمر كذلك لا يعدو إلا أن يكون محاولات انتفاع أبعد ما يكون على الدين، ومن نافلة القول: إن الجزء الأكبر من تاريخيّة تلك المسألة لم تسهم فيه عملية الاستنصار بأي نفع فيما عدا أنها كانت تزيد من الفُرْقة دون الإصلاح. وهنا تكمن بواعث القيمة في هذه المرحلة التي لا تتمثل في رفض إمبراطور بيزنطة مناشدة مسيحيّي ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بقدر ما تتمثل في محاولات استنصار مسيحيي جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بكل من لا ينتمي للعرب ذاتهم، وذلك على الرغم من أن مسيحية

"المناذرة"، ومسيحية "الغساسنة" من بني عمومتهم كانت الأقرب لهم من "بيزنطة". **ولأن** العلاقات بين الدول غالبًا ما تقاس بالتأثير، والتأثر في إطار عوائد الانتفاع؛ فلقد أدرك "كاليب آل أصبعا" ملك "الحبشة" عوائد هذا الانتفاع، ونفوذه السياسيّ والتجاريّ. ولأنها البلاد الأغنى على مستوى العالم المعروف آنذاك، فلقد أبحر في مقدمة حملة تجاوز بها "باب المندب" ، ونجح في بلوغ السواحل الجنوبيّة لممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة " كما نجح في عام (٥٢٣م) في تعين والٍ حبشيّ على "ظفار". وبذلك أضحى للأحباش موطأ قدم في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". وعلى الرغم من كونه موطأ فلم يستمر إلا قليلًا؛ على الرغم من نجاح "ذي نواس" من استعادة هذا الموطأ بعد فرارهم إلى الجبال[١] إلا أن الأمر لم يعد يرتبط بالدين بقدر ارتباطه بتوازن القوى السياسيّة ومدى هيمنتها على ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" التي كانت تتحكم في مدخلات منطقة القلب الحيويّ ومخرجاتها في العالم المعروف آنذاك؛ ومن ثم لم يكن الدين إلا ذريعة للتدخل، أما الغاية فلم تكن سوى الانتفاع بعوائد القلب الحيويّ.

والحقيقة، لا يجب أن تقتصر مكتسبات القيمة في هذا الحدث على النتيجة التي انتهت بتغلب "ذي نواس" على ملك الحبشة" بل يجب أن تكون تلك النتيجة الجزء الأصغر في الكل الأكبر الذي يجب أن نوليه القيمة. ويتمثل الجزء الأكبر في السببية التي كانت وراء مجازفة ملك "الحبشة" في التحرك من "أكسيوم" العاصمة وعبوره "باب المندب" وتوغله في منطقة مضرسة حتى بلغ "ظفار" شمالًا،

---

[١] وبعد موت الوالي الحبشيّ، نجح "ذو نواس" في تجميع أنصاره وتوحيدهم على هدف واحد ينتهي إلى استعادة "ظفار" وطرد جميع "الأحباش"، وكان لهم ذلك. بيد أنه طغت عليه زعامته فترك أمر المسيحيين لليهود يفعلون بهم ما يريدون. وعندما اطمأن لسطوته في حاصر "نجران" التي كانت تمثل المعقل الرئيس للمسيحية، وقيل: إنه وعد أهلها الأمان، ولم يفتحوا له أبواب مدينتهم؛ كان انتقامه وأعوانه على نحو ما جاء بالقرآن الكريم في سورة البروج: بسم الله الرحمن الرحيم: (**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (٩)) صدق الله العظيم.

وقد يكتفي بأن سببية ذلك هي ضعف الآخر الذي يتمثل –هنا– في حضارة "حمير" بيد أن ذلك لم يكن ليكتمل تفسيريًا إلا بإيعاز من الدولة البيزنطية ومن ورائهما "روما".

ثامنًا – مرحلة (المكتسبات الفوضويّة والتضيقات الانتفاعية).

نجح "ذو نواس"، وبالمكايدة بين الديانتين استطاع هزيمة الأحباش في "ظفار". ولأن الدول لا تستمر بمكتسبات نجاح وقتيّ أو بمكايدات ونزاع دينيّ؛ نجح نجاشيّ الحبشة في العودة –مرة أخرى– باحتلال واضح بُذل فيه كل جهد.

وفي إطار ذلك أضحت ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بداية من عام (٥٢٥م) واقعًا سياسيًا يتبع –مباشرة– النجاشي. ولأنها ممالك ودويلات تحمل من تاريخيّة النَزْعات الاستقلالية ما يعيق السيطرة عليها، كان لابد من سبيل يفوق تلك التاريخيّة وما تنطوي عليه. بيد أن السبيل كان لابد من أن يكون مشروطًا بما يضمن سلامة تلك الممالك والدويلات التي تمثل البؤر التجاريّة النشطة في حيوية القلب الانتفاعيّ آنذاك؛ ومن ثم كان لزامًا على هذا السبيل المشروط أن يضمن التصدي لتاريخيّة النَزْعات، وأن يحافظ على حيوية المحطات. ولم يكن من سبيل يستطيع ذلك سوى سبيل سلطة الدين. وبالفعل وُظفت "المسيحية" وانتشرت كنائسها وتضخم أعداد أتباعها وكادت كنيستا "نجران"، و"عدن" تتفوقان على كنائس "المنشأ". وبالفعل استوى الأمر، وبالاستواء تكونت جغرافيّات سياسيّة جديدة لم تشهدها "ديار العربيّة السعيدة" من قبل. وفي حقيقة الأمر لا تكمن مكتسبات القيمة في هذه المرحلة في الاستواء بقدر ما تكمن في توابعه الاكتسابية، فعلى سبيل المثال لا الحصر سعى الإمبراطور البيزنطيّ إلى الانتفاع برؤساء مسيحيي "الحبشة" وجنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة"، وتوجيههم بأن يجمعوا كلمتهم في قضية واحدة هي المسيحية ودفعها والعمل بها لبلوغ **الغاية الجيوسياسيّة،** ومضمونها: التضييق على "الفرس" ومن ثم وُجهت المسيحية بوصفها حقيقة دينية

أُنيِط بها الانتفاع، ولضمان تحقيق ذلك كان لابد من أن يتولى "أبرهة" الولاية على جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة".

تاسعًا – مرحلة (أبرهة والجغرافيات الجيوبوليتيكية).

تمكن "أبرهة" من استرضاء نجاشيّ "الحبشة" حيث كان عليه توطيد دعائم حكمه، وسواء أكان ذلك بانتحال ألقاب ملكية (أنحل أبرهة الحبشيّ اللقب السبئيّ ملك "سبأ" و"ذوريدان" و"حضرموت" وأعرابها في الجبال وتهامة)، أم باستجداء أطراف خارجية، فلقد نجح في إدراك ما لم يدركه الأحباش ومن قبلهم "الفرس" و"الرومان"، بل نجح في إدراك ما لم يدركه العرب آنذاك، فلقد نجح في إدراك ما تعنيه السيطرة على **مدخلات** جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" **ومخرجاتها** من قيمة يمكن بها السيطرة على حركة العلاقات الدولية في العالم القديم آنذاك –وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٥٥)– بل يمكن القول: إنه استطاع أن يسبق "ماكندر" فيما يعنيه قلب العالم من أهمية حيوية، بل لا مغالاة في القول: إن جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" تكاد تتفوق على القيمة التطبيقيّة في نظرية "ماكندر". وفي حقيقة الأمر فلقد تجاوز إدراكه ما سبق كله؛ فلقد كان يعني أن جملة ما سبق ما هو إلا إطار خارجيّ ولن يستقيم الانتفاع به إلا في ظل شرطية نهضة الذات، ولإتمام ذلك كان لابد من نهضة اقتصاديّة تمثلت في إحياء سد مأرب والاستفادة من عوائده، وهيمنة دينية تمثلت في كنيسة "القليس" والتي كانت من أكبر المجامع الكنسية على مستوى العالم القديم آنذاك. وإلى جانب ما سبق كان لابد من الإعلان عن هذا كله بافتتاح حضره مندوبون من "الحبشة"، و"الروم"، و"الفرس"، و"الغساسنة"، و"المناذرة". ومن ثم وخلال فترة وجيزة لم تتجاوز العامين (من عام ٥٤٢م إلى عام ٥٤٣)، استطاع "أبرهة" تخليق جغرافيّات جديدة ظاهرها سياسيّة أما باطنها فكانت جيوبوليتيكية.

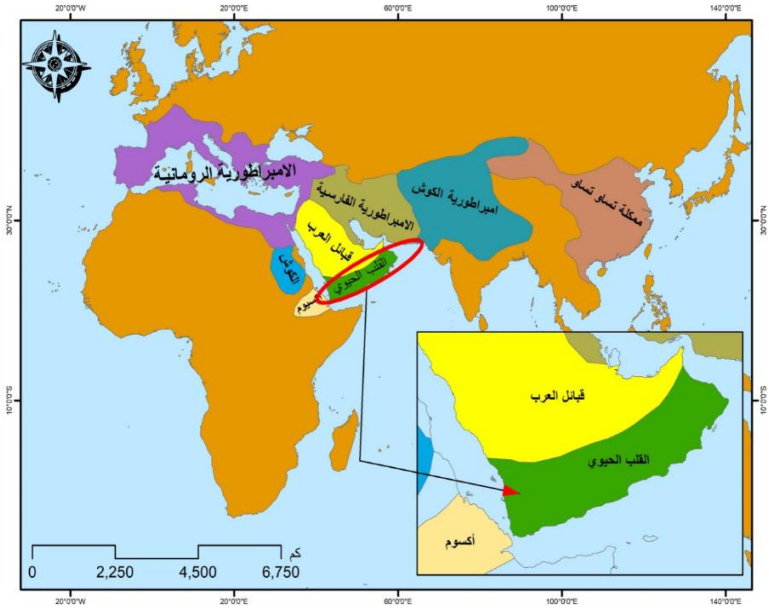

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٥): القلب الحيوى العالميّ في القرن (السادس م)

عاشرًا – مرحلة (أبرهة ورؤى الفوضى العالميّة والتمريرات الدينية).

نجح "أبرهة الحبشيّ" –باقتدار– في الإعلان عن وجوديّته بوصفه حاكمًا على كل الإطار المكانيّ الذي كانت تمثله حضارة "حمير"، وفي ذلك تجاوز كل من سبقوه على مستوى حكام ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة". وتلك حقيقة تاريخيّة لم يبرهنها الإعلان بقدر ما بُرهن عليها من خلال رؤيته. ولعل في إعادة بناء الأحداث التاريخيّة لتلك الفترة ما يوضح أن رؤيته ارتكزت على استيعاب ثلاثة مفاهيم سبق بها كل من "فردريك راتزل" و"محمود توفيق". وأما "راتزل" فلقد سبقه "أبرهة" في استيعاب ماهية العلاقة الوثيقة التي تربط الدولة بالرقعة الأرضية التي تشغلها (رياض،٢٠١٢: ص.ص ٥١-٥٦)، كما سبقه –أيضًا– في استيعابه ما يعنيه مفهوم العلاقات العضوية وكذلك الدولة العضوية. وأما "محمود توفيق" فلقد سبقه في استيعاب أن المتغيرات الجغرافيّة للدولة تمثل الجانب الثابت في تكوين

الدولة (توفيق، ١٩٨٨: ص ٣٨)، وبناء على ذلك تكونت رؤية "أبرهة الحبشيّ". وبصدد فحوى هذه الرؤية؛ وبناء على آراء العديد من الباحثين فيمكن إجمالها في **(ثلاث)** رؤى تمثلت فيما يأتي:

(الأولى): فهي رؤية ارتبطت بغزو "مكة" ومحاولة هدم الكعبة باسم التعصب الدينيّ، **وفي** حقيقة الأمر فإن هذه الرؤية تحتاج إلى مراجعات تاريخيّة، فلم تكن "المسيحية" هي الرؤية؛ ومن ثم المشكلة بقدر ما كان الأمر محاولة استخدام "المسيحية" لتمرير الرؤية؛ ومن ثم فالمشكلة أنه استطاع بناء أكبر المجامع الكنسية في المدن كافة التي تمثل محطات استقبال التجارة آنذاك، إلى غير ذلك من أسباب ترتبط بوجوديّة الديانة اليهودية من قبل وانتشار العقائد الوضعية من بعد.

(الثانية): فهي رؤية ارتبطت بغزو "مكة" ومحاولة هدم "الكعبة" (بيت الله) باسم استعادة السيطرة على الطريق الرئيس التجاريّ التي كانت "مكة" قد حققت لنفسها فيه مكانة كبيرة، **والرد** على ذلك يتمثل في أنه كان يستطيع أن يحبس التجارة بإمساكها من الجنوب حيث المصدر والتحكم في التوجيه.

(الثالثة): فهي رؤية ارتبطت بدعوة "الروم" إلى إحكام الخناق على المصالح التجاريّة الفارسيّة عن طريق ربط الدولة المسيحية الجديدة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بدولة "الغسناسنة" المسيحية في جنوبيّ "الشام" وذلك على نحو ما يتضح بالشكل رقم (٥٦) . **والرد** على ذلك أن "أبرهة" الحبشيّ لم تكن لتعني له ذلك الشأن الذي من المحتمل أن يفقد به كل ما يسعى إلى بلوغه، كما أن تاريخيّة "أبرهة" وعلاقاته بنجاشيّ "الحبشة" توضح أنه لا يخضع إلى سلطة يمكن أن تعيق رؤيته الذاتية.

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٦): دولة الأحباش الافتراضية الجديدة

إحدى عشر – مرحلة (أبرهة والرؤية الجيوبوليتيكية العالميّة).

وفي حقيقة الأمر يمكن القول: إنه تكونت لدى "أبرهة" الحبشيّ رؤية جيوبوليتيكية تتجاوز هذا كله، بل تتجاوز رؤى جميع ما سبق من حكام "ديار العربيّة السعيدة" ولا مغالاة في أنها تجاوزت طموحات المعسكرين (الفارسيّ والرومانيّ). فلقد أدرك أن تاريخيّة الجزء الغربيّ من "ديار العربيّة السعيدة" كانت جزءًا من فراغ سياسيّ – وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٥٧)– شغلته طرق تجاريّة، كما أدرك ما آلت إليه دولة "المناذرة" المسيحية من ترهل سياسيّ وما تعانيه دولة "الغساسنة" المسيحية من ضعف نسبيّ، كما أدرك ما تمثله التجارة وعوائدها من أهمية لدى

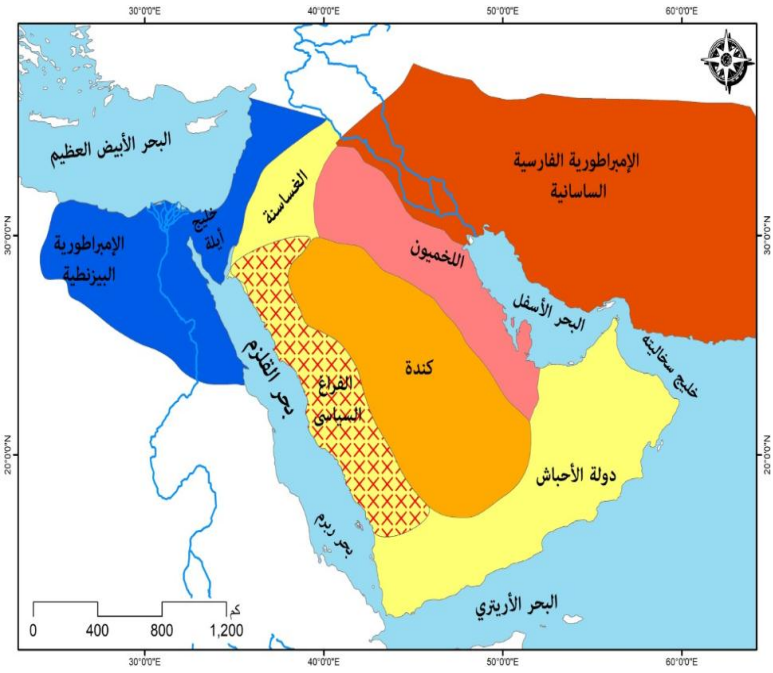

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٧): إقليم الفراغ السياسيّ في ديار العرب في القرن (السادس م)

المعسكرين :الفارسيّ شرقًا والرومانيّ البيزنطيّ غربًا، كما أدرك قيمة الدين في تمرير ما لا يستطيع غيره أن يمرره. وفي في إطار جملة استيعابه لما سبق؛ تكونت لديه رؤية واحدة وجب عليه تنفيذها على مستوى (ثلاث) خطوات تتمثل في النحو الآتي:

الخطوة الأولى: وتتمثل في الانتفاع من السيطرة على إقليم "**الفراغ السياسيّ**" في غربيّ "ديار العربيّة السعيدة"؛ ومن ثم يستطيع الهيمنة على مركزية طرق التجارة العالميّة وكذلك استقطاب دولة "الغساسنة "المسيحية"، وبذلك تتسع الرقعة العضوية لتصل بين جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" وغربيّ "ديار العربيّة السعيدة" وكذلك شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" وذلك على نحو ما جاء بالشكل رقم (٧٥)

الخطوة الثانية: وتتمثل في الانتفاع من الترهل السياسيّ لدولة "المناذرة" من خلال مسيحيتها، وبذلك يستطيع أن يهيمن -كذلك- على غربيّ "ديار العربيّة السعيدة" وكذلك قلبها الذي لن يمثل أي عائق يحول دون ذلك. وبذلك سيتحكم في "ديار العربيّة السعيدة" على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٥٨) .

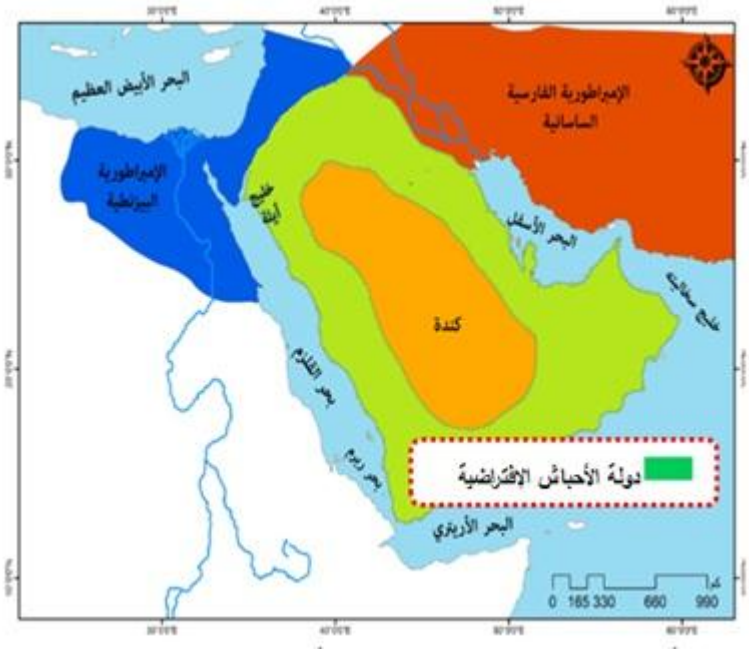

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٨): اتجاهات الجيوبوليتيكا في القرن (السادس م)

الخطوة الثالثة: وتتمثل في إحكام سيطرته على بلاد "ديار العربيّة السعيدة" بوصفها ركيزة في الهيمنة غير المباشرة على كل من المعسكرين: الشرقيّ بفارسيّته والغربيّ برومانيّته وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٥٩).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٥٩) [١]: النتيجة الافتراضية للفكر الجيوبوليتيكيّ في القرن (السادس م)

وبناء على خطواته الثلاث فلم تكن رؤيته سوى أن يحكم عمومية الفوضى التي تجاوزت حدود "ديار العربيّة السعيدة"، فلقد أدرك –وقتذاك– ما لم يدركه غيره وكذلك كان عقابه ليس كغيره. ولعل من الأمور اللافتة للانتباه أن رؤية "أبرهة" الحبشيّ بخطواتها الثلاث السابقة كانت تمثل –من الناحية التاريخيّة– الدعوة الأولى التي هدفت إلى توحيد "ديار العربيّة السعيدة" في إطار كان ظاهره "دينيًا"، أما باطنه فكان ذا واقعية "جيوبوليتيكية" ولعل هذا جزء من الكيد الذي كان عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم:

[١] **وبصدد الرأي الثالث: فهو يقف عثرة مانعة أمام ما ذهب إليه "طه حسين" (وهو رأي ليس بقليل) بشأن أن ثمة منافسة كانت موجودة بين "مكة" وبين "الكنيسة" في "نجران". ولو أنه أدرك ما تعنيه الرؤية الشمولية لطبيعة العلاقات الدولية آنذاك، وما كان عليه الأمر من فوضى عالمية؛ لأعاد كتابة ما اعتقد أنه حق وصاغه في صفحات متتاليات (حسين، ١٩٢٦: ص.ص ١٦ – ١٧).**

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)) صدق الله العظيم/سورة الفيل

هذا من ناحية، ولعل هذا جزء من الكيد الذي كان يضمره للعرب متمثلًا في "قريش" من ناحية أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(٤)) صدق الله العظيم/سورة قريش

خاتمة الدراسة:

هلك "أبرهة" الحبشيّ لكن لم تهلك رؤيته وما كانت تنطوي عليه من "**الجغرافيات جيوبوليتيكية**"، بل ظلت حبيسة القيمة التي تمثلها "ديار العربيّة السعيدة" عامة وجزئها الجنوبيّ خاصة. ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن تلك الرؤية لم تكن لتتحقق؛ اعتمادًا على تلك القيمة وحسب، إنما جاءت لتتكامل مع اتجاهات المسارات الفوضويّة التي كانت عليها جملة العلاقات الدولية آنذاك. وفي إطار تلك القيمة وتلك الاتجاهات تزعم حركة تحرير جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" "سيف بن ذي يزن". وفي حقيقة الأمر يمكن القول: إن زعامته هذه لم تكن إلا الحقيقة الواقعية للفوضويّ، لا لأنه لم يستطع تجميع أعوانه على كلمة واحدة بل لأنه رأى أن عون الخلاص من "الأحباش" يكمن في الاستنجاد بـ "جستنيان الثاني" إمبراطور الروم. وقد يظن أن ذلك أمر طبيعيّ على الرغم من مساندة الروم للأحباش ذاتهم، بيد أنّ ما هو غير طبيعيّ هو مناشدة "سيف بن ذي يزن" للفرس وذلك بعد رفضه "الرومان". وبعيدًا عن نتاج التقلب الانتفاعيّ بين المعسكرين؛ فلقد أضحت منطقة جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خاصة وممالك "ديار العربيّة السعيدة" عامة "**بؤرة الفراغ السياسيّ العالميّ**" وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٦٠).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٦٠): بؤرة الفراغ السياسيّ العالميّ في القرن (السادس م)

وأيًا كان الأمر؛ فلقد استطاع "سيف ذي يزن" بمجموعة من "الفرس" أن ينتصر في عام (٥٧٥م) على ما تبقى من جيش "أبرهة" بيد أنه لم يتسنَ له الحكم إلا قليلًا، وذلك بعد أن انتهى الأمر إلى "الفرس" وذلك للمرة الأولى في تاريخيّة "ديار العربيّة السعيدة". فلقد حكمت الفرس جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" بكل ما كانت تنطوي عليه من امتيازات سياسيّة واقتصاديّة وعلاقات إقليميّة برية وبحرية تستطيع من خلالها التأثير في المدخلات الاقتصاديّة للإمبراطورية الرومانيّة. ومن ثم أضحت تعرف الآن ببلاد "اليمن" و"عمان" فارسيّة الاتجاه. وفي حقيقة الأمر لم تكن باستطاعة أي قوة أن تُحيد بلاد "اليمن" و"عمان" عن ذلك الاتجاه لولا أن أنعم الله عليها بقوة الإسلام في عام (٦٢٨م)؛ تلك القوة التي خرجت من إقليم "**الفراغ السياسيّ الجزئيّ**" في غربيّ "ديار العربيّة السعيدة" إلى جملة "**الفراغ السياسيّ**

الكلـــيّ" علـى مسـتوى "ديـار العربيّـة السـعيدة" عامـة، ومـن بعـدهما إلـى الأقـاليم الفوضويّة العالميّة، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٦١).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

شكل رقم (٦١): طبقات الفرغ السياسيّ في ديار العرب في القرن (السادس م)

والمحصلة، إذا كان ما تبقى من حضارة "سبأ" قد استدعى الفوضى على مستوى الإطـار المكـانيّ لجنـوبيّ "ديـار العربيّـة السـعيدة" خاصـة و"ديـار العربيّـة عامـة"؛ فـإن الـدعوة الجديـدة فـي إقليم "**الفـراغ السياسـيّ**" فـي غربـيّ "ديـار العربيّـة السعيدة " استطاعت –بعد ذلك– أن تعيد للديار كلها الاستقرار.

نتائج الدراسة:

١ –تحمل كلمة "العرب" أبعادًا مكانيّة أكثر من كونها كلمات اشتقاقية وأبعادًا سياسيّة أكثر من كونها أبعادًا اجتماعية، ولقد جعلها القرآن الكريم علمًا لقوميّة شملت كل من استظل بها في "ديار العربيّة السعيدة".

٢ –شهدت "ديار العربيّة السعيدة" العديد من المقدمات العمرانيّة الموجّهة للتعايش. وسواء أكان ذلك من خلال الوجود الفعليّ –وقتذاك– أم كان من خلال التواصل الزمنيّ بعد ذلك؛ فإن "ديار العربيّة السعيدة" كان لديها فيض من غيض عمران يستدل عليه من شواهد بعضها أضحى واقعًا أثريًا وبعضها الآخر أصبح جزءًا من ملمح حضريّ.

٣ –شهدت منطقة شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" وكذلك الجزء الجنوبيّ من منطقة الشام أولى حالات مناطق "**الفراغ السياسيّ**" التي تعانى من فقدان الهوية، وذلك في ظل الحضارة "الفارسيّة" خلال فترة محاولة فرض هيمنتها على "مصر".

٤ – كان لكل قبيلة إقليم نفوذيّ فيه هي كل شيء، منه تكتسب وجوديّتها التعايشيّة، وبمقدرات تتحدد مكانتها القبليّة، تتلامس به مع غيرها من أقاليم نفوذية أخرى من دون تعدٍ، ولا غالب أو مغلوب فيها، فوجوديّتها أضحت واقعًا ملموسًا لا يحتاج إلى دليل ثبوتي بقدر احتياجه إلى فهمٍ تنمويّ.

٥ –كانت لأقاليم النفوذ القبليّة التي كانت تُحدد بمناطق أوساطها البيئيّة وأطر أحيزتها الجغرافيّة؛ الدور الرئيس في استقرار طرق التجارة البرية في غربيّ "ديار العربيّة السعيدة". وفي إطار ذلك كانت طرق التجارة تمر بمجموعة من الأقاليم في ظل وساطة مجموعة من المحطات الفيدرالية؛ الأمر الذي أدي إلى وجود ممر تجاريّ تنمويّ مُوحد اشتركت فيه القبائل تبعًا لمدى أقاليم نفوذها.

٦ –اكتسب "العرب" مكانتهم التاريخيّة من ممارستهم التجارة ونجاحهم في ربط الجنوب بمدخلات سلعه وما كان يفيد إليه، بالشمال باحتياجاته المختلفة. وهذا الأمر كان يحتاج إلى كفالة تأمينية لم تكن تستطيع أي قوى عسكرية منحها إياها. بيد أن الذي أكسبهم ذلك هي جملة التنظيمات المكانيّة لمناطق نفوذ القبائل التي كانت عليها "ديار العربيّة السعيدة".

٧ –بُذرت حضارة "سبأ" في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة"، ونبتت بوصفها بنية حضاريّة في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" وبين البذر و الإنبات كانت الهجرة إلى الجنوب في ظل محطات مؤقته أثمرت –فيما بعد– عن العديد من القرى. ولقد مارست هذه القرى دور حلقة الوصل بين الموطن الأصليّ في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة" وبين المستقر النهائيّ في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة".

٨ –كان للوعاء الحضاريّ السبئيّ بمدخلات أحيزته الجغرافيّة وباقتصاديّات أوساطه البيئيّة قصب السبق الحضاريّ والتمدد المكانيّ عند مقارنته بغيره من حضارات الأحيزة الجغرافيّة الأخرى في "ديار العربيّة السعيدة". ولقد استطاع هذا الوعاء خلال القرن (الحادي عشر ق.م) تحديدًا الربط بين مخرجات الحضارات الجنوبيّة ومتطلبات الممالك الشماليّة.

٩ –يمكن القول: إن مملكة النبيّ"داود" عليه السلام الذي يعد عبرانيًا مثاليًا ومن بعده النبيّ "سليمان" عليه السلام أحد مظاهر نتاج "**البناء الفوضويّ**" في ظل هيمنة "الآشوريين" على ما يُعرف الآن بـ "بادية الشام". والحقيقة أنه خلال هذه الفترة ظهرت العديد من الممالك والدويلات التتي تعدّ نتاج "**البناء الفوضويّ**" في هذه المنطقة تحديدًا، ولعل منها دويلات "الفينقيين" التي كانت تتلاقى بحدودها الجنوبيّة مع الحدود الشماليّة لمملكة النبيّ "داود" عليه السلام.

١٠-تمكن المكاربيون بالماء بوصفه باعثًا للاقتصاد، وبسلطة الدين بوصفه باعثًا للتوجيه من اكتساب خطوات استباقية عن غيرهم من الممالك المحيطة بهم، وكذلك المقدمات العمرانيّة في "ديار العربيّة السعيدة".

١١-يعد "الوعاء الحضاريّ السبئيّ المكاربيّ" تجسيدًا لسلطة الدين ودوره في تنظيم الحيز الجغرافيّ بوصفه سبيلًا انتفاعيًا، فلقد تبين من خلال هذا الوعاء أن غلبة استخدام سلطة الدين في "ديار العربيّة السعيدة" كانت أقوى من أي سلطة تنظيمية أخرى، وعلى الرغم من ذلك؛ فلم تحل هذه السلطة دون ضعفها.

١٢- يُستدل من خلال نهاية "الوعاء الحضاريّ القتبانيّ" على أن قوة "**الاتحاد الحضاريّ المشترك في جنوبيّ ديار العربيّة السعيدة**" كانت اسمية لا فعلية في ظل تجاوز طموحاته حقيقته الواقعية. ولعل هذا الاستدلال كان الموقف السائد؛ ولاسيما أن جميع المعطيات أفضت -بعد ذلك- إلى تجاوز النتيجة التي آلت إليها "قتبان" بالمزيد من التردي الذي انتهى بقدوم "الأحباش".

١٣-يمثل "الوعاء الحضاريّ المعينيّ" المجال التطبيقيّ الذي اتضح من خلاله أن استمرارية "الحجاز"، و"نجد" لم تكن لتستقيم وتستمر إلا بدافعية حضارات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة".

١٤-يعد "الوعاء الحضاريّ الحضرميّ" أول الأوعية الحضاريّة التي أدركت ما يعنيه "**التوازن الجيوسياسيّ**" في ظل وجودهم بين العديد من مراكز القوى. ولعل قدرتهم على البقاء في إطار تلك المراكز لم تكن وليدة قدرتهم الذاتية بقدر ما كانت وليدة التطبيق المعرفيّ بين مراكز هذه القوى.

١٥-كانت مملكة "كندة" بالنسبة إلى "الفرس" السبيل لصناعة "**الدولة الخانقة**" **"Stiffing state"** التي من شأنها إلهاء "المناذرة" في حروب مفتعلة. وأما "الرومان" فلقد رأوا فيه الفرصة الضامنة لتهديد "الغساسنة" وبأكثر دقة لتهديد دولتهم

الوظيفيّة؛ لضمان القيام بدورها الوظيفيّ فكانت تهديدات "الحارث الكنديّ" بمنزلة "**الدولة الضامنة**" **"Guarantors state"**؛ للحفاظ على قيام "الغساسنة" بدورهم الوظيفيّ. وسواء أ كانت "كندة" قد سعت إلى المزيد أم حتى أُستغلت من قبل الآخر؛ فلقد أدت خطواتهم الاستباقية إلى صناعة جملة من الجغرافيات السياسيّة الجديدة في "ديار العربيّة السعيدة" ولن يُدعى أنها إرث للحاضر بقدر ما هي مدخل فرضيّ يسهم في محاولات إدراك المستقبل.

١٦-على الرغم من حصار "الوعاء الحضاريّ المناذريّ" بجغرافيّات "الدولة الحاجزة" **"Buffer state"**، و"الدولة الخانقة" **"stiffing state"**، و"الدولة المُهددة" **"Endangered state"** فإنه لم يَعُد إلى ولاء "الفرس" أو حتى "الرومان"، بل لجأ إلى أبناء العمومة من العرب وبدقة أكثر اللجوء إلى ما تبقى ممن لا يدين بالولاء إلى المعسكرين. ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن بهذا الولاء القليل استطاع "المناذرة" العودة -مرة أخرى- إلى المشهد السياسيّ؛ حتى إنه اتسعت جغرافيّات ملكهم غربًا ببلوغهم أرض "اليمامة".

١٧ – لم تكن حضارة "الغساسنة" إلا الإطار الوظيفيّ لظل الدولة "الرومانيّة البيزنطية" في "ديار العربيّة السعيدة". ولم تكن سوى الحد الأعلى من نتائج "**التخليق الفوضويّ**" في شماليّ "ديار العربيّة السعيدة". والحقيقة قد يرى بعضهم أن هذه النتيجة غير ذي بال والأحق أنها تمثل كل البال ليس في خصوصيتها إنما لتداعي آثار عمومياتها. فهذه النتيجة الفوضويّة كانت بمنزلة أحد الأقطاب الجاذبة لعمومية أخرى **من** "**التخليق الفوضويّ**" كانت ستعد الأشد أثرًا والأكثر فعلًا إذا تسنى لها النجاح ليس على مستوى"ديار العربيّة السعيدة" فحسب، ولكن كان الأمل ليصل إلى إعادة صناعة خريطة العالم المعروف آنذاك ولا شيء سوى "**التخليق الفوضويّ الحبشيّ**" عابر الحدود والقارات.

١٨ – خرجت نتائج "الفوضى الخلاقة" في جنوبيّ "ديار العرب السعيدة" خلال القرن (الثاني م) من نطاق المحلية الإقليميّة إلى نطاق العالميّة الخارجية وذلك عندما استعانت قبيلة "همدان" بـ "الأحباش"؛ سعيًا إلى عدم تمكين "الحميريين" سلطة الحكم، وبذلك اتسعت حدود الفوضى الإقليميّة وبلغت حدود الفوضى الدولية.

١٩ –كشفت استعانة قبيلة "همدان" بـ"الأحباش" عن مستوى "**الوزن السياسيّ**" لممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" خلال القرن (الثاني م)؛ حيث اتصف هذا الوزن بهشاشته. ولعل من الأمور اللافته للانتباه والتي يجب النظر إليها بعدّها مدخلًا لإدراك القيمة خلال هذه المرحلة أن هذه الهشاشة لم تكن واضحة كأثر عين أو فعل بسببية تَغلُّفها بالتجارة الخارجية واحتياجات الأسواق الغربيّة. ولقد أسهم هذا الغلاف في تأخر النتيجة التي كان لا محال من وقوعها.

٢٠ –أكسبت عمومية الفوضى التي كانت عليها ممالك ودويلات جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" ملك "أكسيوم" (الحبشة) العديد من الطموحات بل شجعته نتائج هذه الفوضى على الاستقواء على من كان يعيش في كنف تاريخيّتهم وفي ظلال خطواتهم.

٢١ –ساعدت عمومية الفوضى في جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة" ملك الحبشة خلال القرن (الرابع م) على الاستفادة من الديانة "المسيحية" حيث عززت طموحاته الاسمية بأخرى واقعية تمكن من خلالها من الولوج إلى جنوبيّ "ديار العربيّة السعيدة".

٢٢ – شهد القرن (السادس م) الميلاديّ العديد من محاولات الاستعانة بأطراف خارجية؛ فلم يكن بد من البحث عن متعهد لديه سطوة دينية مسيحية، ونفوذ، ومقاصد تجاريّة، ولم يكن يجتمع ذلك آنذاك إلا في إمبراطور بيزنطة صاحب البعثات التبشيرية النشطة إلى البلدان كافة التي يمكن من خلالها الوصول إلى تجارة

الهند. وعلى الرغم من مناشدة "ذي نواس" إيَّاهُ بالتدخل المباشر ضد الأحباش فإنه لم يعبء بمطلبه.

توصيات الدراسة:

تمثل التوصيات في إطار الجغرافيا التاريخيّة قنوات الاتصال بين زمنين لا يوجد بينهما رباط سوى احتياجات المجتمعات وطموحاتها. وعلى الرغم من أن منابتها تتجذر في الماضي فإنها تنتمي –دائمًا– إلى المستقبل الذي لم يأتِ بعد. والحقيقة أن المعرفة التاريخيّة في حد ذاتها لا تكفل بلوغ الطموحات إنما هو أمرٌ مشروط بجملة خطوات؛ اعتمادًا على جملة من القدرات.

وبناءً على ذلك فالتوصيات في الجغرافيا التاريخيّة لا ترتبط بمدى قدرتها على التأثير في المستقبل بقدر ما ترتبط بمدى قدرتها على تطويع الحاضر لبلوغ المستقبل.

وبناءً على ذلك تأتي توصيات الدراسة بدافعية جوهر ينطوي على نتائج (الماضي) وبشموليّة غلاف يستمد حيويته بالجغرافيات التي عليها الحاضر.

وبناءً على نتائج الجوهر التي جاءت على نحو ما اتضح من نتائج الدراسة.

وبناءً على غلاف الحاضر الذي يتضمن نتائج جغرافيّات بلدان العالم العربيّ الجيوسياسية، والجيوبوليتيكية التي تتصف بما يأتي:

١ –تعاني العديد من بلدان دول العرب من مواجهة الكثير من التحديات الدولية، والإقليميّة.

٢ –لا تتصف بنية النظام الاقتصاديّ على مستوى البلدان العرب بالتكامل الذي من شأنه أن يُقلل درجة الاعتمادية على الخارج.

٣-تعد بعض من البلدان العرب ساحات تطبيقيّة لأنواع شتى من الحروب منها الوقائية ومنها الاستباقية؛ وذلك لضمان التفوق الأمنيّ لبعض البلدان الكبرى أو لبلدان العرب ذاتها.

٤-تدور قلة من بلدان العرب في فلك سياسات النظام الدوليّ الحاليّ الذي يتبنى مفاهيم واضحة في بناء رؤيته، ومضمونها: الأمن، والتنافس، والسيطرة، والهيمنة، والتحالف، والارتباط، والحماية (البدري،٢٠١٢: ص.ص ٤٤-٤٩).

٥-يمثل البناء الفوضويّ أحد الاتجاهات السلوكية التي تنتهجها العديد من البدان الكبرى، ولقد كان لهذا النهج آثاره الواضحه في العديد من بلدان العرب.

٦-يمثل استخدام الأداة العسكرية اختيارًا قائمًا أمام البلدان الكبرى للحصول على الموارد (البدري،٢٠١٢: ص ٥٦).

ولقد كان لهذا الاختيار آثاره الواضحة في العديد من بلدان العرب.

٧-يشهد النظام الإقليميّ العربيّ حالة من السيولة (القصد هنا الأحداث المتسارعة) بالتوازي مع حالة سيولة المتغيرات في النظام الدوليّ؛ بسبب استمرار عدد من الأزمات الداخلية التي لها أبعاد إقليميّة ودولية، وأبرزها: الأزمات في كل من "سوريا"، و"العراق"، و"ليبيا" (عبد الحفيظ، ٢٠١٤ : ص٨).

٨-تعاني العديد من بلدان العرب من عدم وجود توازن بين أبعاد مكوناتها الداخلية وأبعاد علاقاتها الخارجية.

٩-تخلت بعض بلدان العرب عن إحدى وظائفها الرئيسة التي ميزتها عن الاستقلال والمتمثلة في تحديد المصالح القطرية والقوميّة وسبل تحقيقها، وذلك لمصلحة أنساق واردة من بعض الدول الكبرى (عبد الحفيظ،٢٠١٤: ص ١٢).

١٠-تواجه بعض بلدان العرب المعاصرة -في ظل المتغيرات التي صاحبت العولمة- خطرين رئيسين، هما: خطر الحروب الأهلية التي تهدد بتفتيت السيادة وتمزيق الوحدة الوطنية، وخطر انتزاع السيادة ونقلها إلى كيانات دولية وإقليميّة أكبر على وتيرة الشرق الأوسط الجديد.

١١-تمارس على دولة عربيّة معينة محاولات إقليميّة ودولية يُسعى من خلالها إلى ما يمكن تسميته بانتزاع السيادة الوطنية ومن بعدها الإقليميّة.

١٢-تتصف كثير من توازنات القوى العالميّة حاليًا بتغيير اتجاهاتها السياسيّة والاقتصاديّة، وفي إطار هذا التغيير تعاني بعض دول العرب من اضطراب مقاصد اتجاهاتها التي يجب أن تكون عليها.

١٣-تشير بعض المعطيات إلى استمرار التأثير الإقليميّ والعالميّ في الأحداث الداخلية في بعض الدول العرب وبدرجات متفاوتة، وهو ما يتطلب مراجعة السياسات والإستراتيجيات والرؤى المختصة بالعرب نحو المستقبل (عبد الحفيظ،٢٠١٤: ص ١٧).

١٤-يمكن القول: إن منطقة "الشرق الأوسط" تتنازعها العديد من الاتجاهات السياسيّة الرئيسة التي تفرضها سياسات البلدان الكبرى؛ حيث يرون فيها العديد من الفرص للتوسعات الجيوبوليتيكية.

١٥-لم تعد الحدود السياسيّة للعديد من البلدان العرب بالحدود المانعة التي بمقتضاها يمكن الحصول على ضمانات الاستقرار بمعزل عن بلدان الجوار والمحيط الإقليميّ.

١٦-ترتبط روافد الاستقرار في بعض البلدان العرب براوافد خارجية عابرة الحدود، كما أنها في بعض الأحيان عابرة للمحيط الإقليميّ لبلدان العرب.

١٧-يقتضي توحيد السياسات النفطية بين البلدان العرب توحيد السياسات الأمنية، وهذا الأمر مشروط بعدم تعارضه مع مصالح العديد من البلدان الإقليميّة والعالميّة.

١٨-تتصف العديد من الشراكات السياسيّة والاقتصاديّة على مستوى بلدان العرب بضعف إمكاناتها التنفيذية والتي كثيرًا ما تحول دون بلوغها.

١٩-تمارس بعض الدول الإقليميّة العديد من التدخلات على مستوى بعض البلدان العرب لخدمة أغراضها الذاتية، ومن الملاحظ تنامي هذه التدخلات في ظل حالات الاضطراب السائدة.

٢٠-اعتمادًا على مذاهب دينية معينة، تمثل قلة قليلة من بلدان العرب فرصًا إستراتيجية للعديد من الدول الإقليميّة التي تسعى إلى الاستفادة من هذه المذاهب تحت إطار شرعية التوافق المذهبيّ.

٢١-بعض دول العرب عن دورها التأثيريّ والمساعد في بعض القضايا على مستوى دول محددة أدى إلى تفاقم هذه القضايا؛ حتى إن تبعاتها أضحت واقعًا تعاني منه جملة بلدان العرب بدرجات متفاوتة.

٢٢-تعاني بعض بلدان العرب من الهامشية؛ اعتمادًا على منظور الأهمية الإستراتيجية؛ الأمر الذي جعلها فرصًا استقطابية لتمرير العديد من التدخلات الإقليميّة الساعية إلى تنفيذ مخططات مصالحها الذاتية.

٢٣-عدم وجود خريطة تنمويّة واضحة على مستوى بعض البلدان العرب أدى إلى ضعف الاستفادة من مواردها الطبيعيّة والبشرية؛ الأمر الذي أدى إلى وجود العديد من المسوغات الخادمة للتدخلات الخارجية.

٢٤-أدى عدم وجود منظومة أمنية موحدة على مستوى البلدان العرب إلى جذب قواعد القوى العسكرية الخارجية التي أضحت تمارس العديد من الأدوار الجيوسياسيّة.

٢٥-تنامي الدور المتصاعد لبعض الجماعات الأثنية على مستوى بعض بلدان العرب من شأنه أن يؤدي إلى التأثير في وحدة هذه البلدان، وقد يؤدي ذلك إلى المطالبة بالتقسيم في ظل ما يُعرف بسياسات حق تقرير المصير.

٢٦-لم تحل خصائص البلدان العرب دون تأثرها بالعديد من المتغيرات الإقليميّة والعالميّة خلال العقد الثاني من القرن (العشرين) تحديدًا.

٢٧-تحتاج الأزمات التي تعاني منها بعض بلدان العرب إلى مدخلات الفكر الجمعيّ العابر للحدود في إطار منظومة واحدة.

٢٨-ضعف الآليات التي من شأنها أن تُسهم في بناء سوق عربيّة مشتركة على الرغم من تنامي المدخلات الاستهلاكية باختلاف أشكالها.

٢٩-ضعف الإمكانات الداعمة لبناء شبكة للنقل الموحد عابر الحدود بين بلدان العرب على الرغم من وجود الفرص المساعدة لذلك والتي من شأنها أن تربط "الخليج العربيّ" شرقًا بـ"المحيط الأطلسيّ" غربًا، و"البحر المتوسط" شمالًا و"المحيط الهنديّ" جنوبًا.

٣٠-أضحت بعض بلدان العرب مجالًا تطبيقيًا لإستراتيجيات الأمن القوميّ لقلة من البلدان الكبرى تحت إطار شرعية المساعدات والتعاون الاقتصاديّ، ولقد أدى ذلك إلى عدم توزان اتجاهاتها.

٣١-تعاني بعض بلدان العرب من الإستراتيجيات الاستباقية التي تتخذها بعض من الدول الكبري سبيلًا لتأمين مصالحها الاقتصاديّة.

٣٢-يدخل العدد الأكبر من الدول العرب في إطار ما أسماه "بريجنسكي"[١] بـ "قوس التوتر" الذي يجب السيطرة عليه ومحاولة تفكيك العديد من وحداته (عدرة،٢٠١٥: ص ٢٢٦).

٣٣- لم تحل مقومات الوحدة الإقليميّة التي تتصف بها بلدان العالم العربيّ دون وجود العديد من المخططات الجيوسياسيّة الهادفة إلى تقسيم هذه البلدان إلى أقسام ترتبط -في المقام الأول- بأهداف الدول الكبرى (عدرة،٢٠١٥: ص ٢٢٩).

٣٤-لا يتصف توزيع الجغرافيات العمرانيّة على مستوى العديد من بلدان العرب بالتوزان أو التساوي؛ الأمر الذي جعل موازين القوى على مستوى البلد الواحد تجنح إلى أمكنة دون أخرى، وهذا الأمر من شأنه أن يعضد عدم الاستقرار.

٣٥-الاحتياج إلى رؤية جمعيّة موحدة على مستوى بلدان العالم العربيّ يمكن من خلالها الدفع بمدخلات التنمية.

وبدافعية تطور ادعاءات "برنارد لويس" **"Bernara Lewis"** خلال الفترة من عام (١٩٤٧م) إلى عام (٢٠٠٣م) بصدد "العرب"، وبلدان العرب والشرق الأوسط والتي جاءت على النحو الآتي:

---

[١] مستشار الأمن القوميّ للرئيس الأمريكيّ "جيمس كارتر" خلال الفترة من عام (١٩٧٧م) إلى عام (١٩٨١م).

١ -الادعاء الأول في عام (١٩٤٧م).

في ذروة السيطرة الاستعمارية على ما يُعرف بـ"الشرق الأوسط" وتحديدًا في عام (١٩٤٧م) ادَّعى "لويس" من خلال دراساته التي جاءت تحت عنوان **"The Arabs In History"** أن على "العرب" أن يحلُّوا مشاكل تأقلُمهم مع العالم المعاصر بقبولهم لواحد من النسخ المتنافسة للمدينة المعاصرة المُقدمَّة إليهم بمزْج ثقافتهم الذاتية وهويتهم بكامل المدنية المسيطرة الأوسع (Lewis,1950:178).

٢ -الادعاء الثاني في عام (١٩٦٤م).

وبعد مرور (١٧) عامًا حول "لويس" أزمة الحضارات إلى ادعاء آخر جاء تحت "اسم صدام بين الحضارات" وذلك من خلال دراساته التي جاءت تحت عنوان**"The West and the Middle East"** ولقد ادَّعى في هذه الدراسة أنه عندما تصطدم حضارتان إحداهما ستتغلَّب والثانية ستتحطم. وقد يتحدث المثاليون -بسلاسة ألسنتهم- عن توافق بين أفضل العناصر من الجهتين، ولكن النتيجة لمثل هذا اللقاء -عادة- هي تعايش الأسوء. وسيكون للحضارة المأزومة ردة فعل ضد تأثير القوى الأجنبيّة التي سيطرت عليها وحولتها، وسنكون في وضع أفضل لفهم هذه الحالة إذا نظرنا إلى الاستياء الحاضر في الشرق الأوسط (آنذاك) ليس بوصفه صراعًا بين دولٍ أو شعوب ولكن بوصفه صدامًا بين الحضارات (Bernara Lewis,1964 :114-130).

٣ -الادعاء الثالث في عام (١٩٩٠م).

وبعد مرور (٢٦) عامًا من الصدام المُدعى ادّعى "لويس" في دراساته التي جاءت تحت عنوان **"The Roots of Muslim Rage"** بأننا نواجه -الآن- مراجًا وحركة أعلى بكثير من مستوى السياسات والحكومات التي عليها، وهذا لا يقل عن صدام الحضارات، وربما هي غير معقولة ولكنها -بالتأكيد- ردَّة فعل تاريخيّة

لعدُوٍّ ضد إرثنا اليهوديّ والمسيحيّ وحاضرنا العلمانيّ والتوسع العالميّ لكليهما (Lewis,1990 :p.p 47-60).

٤-الادعاء الرابع في عام (١٩٩٣م).

وبعد مرور (٣) أعوام ومن خلال دراساته التي جاءت تحت عنوان **"Islam in History : Idas,People, and events in the Middle East"** توج "لويس" ادعاءته بقوله: "إن حنق المسلمين من سيطرة الغرب انتشر مرضيًا متحولًا إلى كراهية عاطفية عميقة متغلغلة في الضلوع للغرب ولكل ما يمثله بوصفه قوة عالميّة، وبوصفه أيديولوجية وبوصفه أسلوب حياة. واتسعت هذه الكراهية بحيث قادت كل من يشعرون بها للاصطفاف مع أي عدو محتمل للغرب (Lewis,1993 :p.p 460). ومن ثم يجب البحث عن جذور هذه الكراهية في التاريخ الألفيّ بين الإسلام والمسيحية.

٥-الادعاء الخامس في عام (٢٠٠٣م).

وبعد مرور (١٠) أعوام ومن خلال دراساته التي جاءت تحت عنوان **"The Crisis of Islam Holy War and Unholy Terror"** اختتم "لويس" جملة ادعاءاته في عبارة واحدة هى: ما كانوا يكرهوننا لأجيال، ومن الطبيعيّ جدًا أن يشعروا بذلك. هذا التنافس موجود من ألف عام بين دينين عالميّين والآن ومن وجهة نظرهم يبدو أن الدين الخطأ يربح المعركة. وإذا كان هناك عدد مهم من المسلمين عدوانيون وخطرون فالسبب ليس لأننا نحن نحتاج إلى عدو ولكن هم بحاجة إلى ذلك (Lewis,2003 : p.p1-8)

وبناءً على ذلك انتهى "برنارد لويس" إلى مخطط عام يُسعى من خلاله إلى تفتيت البلدان الإسلامية إلى مجموعة من البلدان الصغرى على ضوء رؤى ذاتية

كان من الصعوبة بمكان الإلمام بها. وتوضح الأشكال رقم (٦٢)، و(٦٣)، و(٦٤)، و(٦٥)، اتجاهات هذا المخطط التفتيتية.

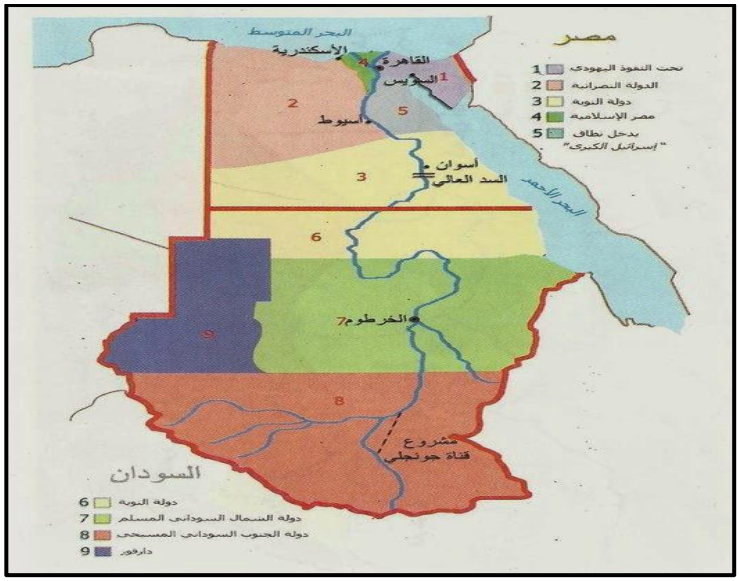

شكل رقم (٦٢): التخليق الافتراضيّ الفوضويّ في مصر والسودان

شكل رقم (٦٣): التخليق الافتراضيّ الفوضويّ في دول الخليج العربيّ

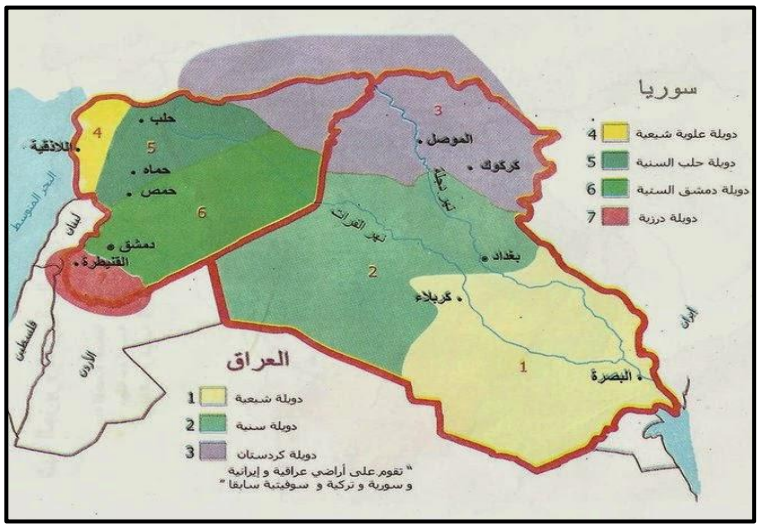

شكل رقم (٦٤): التخليق الافتراضيّ الفوضويّ في العراق وسوريا

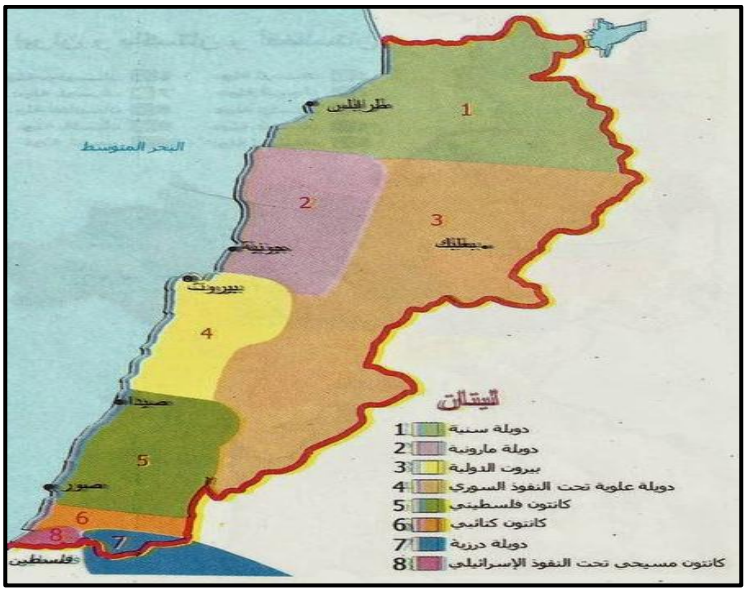

شكل رقم (٦٥): التخليق الافتراضيّ الفوضويّ في لبنان

وبدافعية دراسة "رالف بيترز" **"Ralph Peters" التي** نُشرت في عام (٢٠٠٦م) وجاءت تحت عنوان "حدود الدم نحو نظرة أفضل للشرق الأوسط"

"Blood borders: How abetter Middle East Would Look" ونشرت في مجلة القوات المسلحة الأمريكية؛ حيث يدعو فيها إلى إعادة تقسيم خريطة الشرق الأوسط بما يتفق مع المصالح الغربيّة (Peters,2006 :p.p1-8)

وبناءً على ما سبق كله، وفيما يختص بالهيكل البنائيّ لبلدان العالم العربيّ؛ فإن الدراسة توصي بما يأتي:

التوصية الأولى:

تنظيم مجموعة من التحالفات الصغرى بين بلدان العرب؛ اعتمادًا على مواثيق سياسيّة، وأمنية، واقتصاديّة، واجتماعية على أن ينتهي مآلها إلى التحالف الأكبر وفق مجموعة من الأطر الخلاقة (عكس الفوضى الخلاقة) تتمثل فيما يأتي:

الخطوة الأولى: (الأطر الاتحادية).

تقسيم بلدان العالم العربيّ إلى مجموعة من الأطر الاتحادية على النحو الآتي"

١ -الإطار الاتحاديّ الشرقيّ الموحد.

ويضم (٩) دول هي "المملكة العرب السعودية"، و"اليمن"، و"سلطنة عمان"، و"الإمارت العرب المتحدة"، و"قطر"، و"البحرين"، و"الكويت"، و"الصومال"، و"جيبوتي" و"جمهورية القمر المتحدة"، وذلك على نحو ما يشتمله الشكل رقم (٦٦).

٢ -الإطار الاتحاديّ الشماليّ الموحد.

ويضم (٤) دول هي "العراق"، و"سوريا"، ولبنان"، والمملكة الأردنية الهاشمية" وذلك على نحو ما يشتمله الشكل رقم (٦٧).

شكل رقم (٦٦): الإطار الشرقيّ الموحد

شكل رقم (٦٧): الإطار الاتحاديّ الشماليّ الموحد

٣-**إطار القلب الاتحاديّ الموحد.** ويضم (٤) دول هي "جمهورية مصر العرب"، و"فلسطين المحتلة، و"السودان"، وليبيا" وذلك على نحو ما يشتمله الشكل رقم (٦٨).

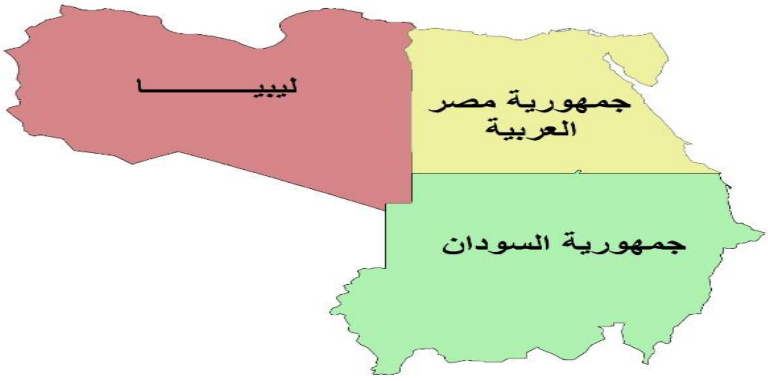

شكل رقم (٦٨): إطار القلب الاتحاديّ الموحد

٤ –الإطار الاتحاديّ المغربيّ الموحد.

ويضم (٤) دول، هي: "تونس"، و"الجزائر، و"المغرب"، وجمهورية العرب الصحراوية"، و"موريتانيا"، وذلك على نحو ما يشتمله الشكل رقم (٦٩).

شكل رقم (٦٩):الإطار الاتحاديّ المغربيّ الموحد

الخطوة الثانية: (الاتحاد العربيّ الفيدراليّ).

وبشموليّة الأطر الاتحادية (٤) السابقة، يتم صياغة بنية فيدارلية واحدة على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٧٠)

شكل رقم (٧٠): الاتحاد العربيّ الفيدراليّ

التوصية الثانية: (الممر التنمويّ).

اعتمادًا على أفكار مؤسسة "**Execative Inelligence Review**" التي تتبنى صياغة مشروعات تنمويّة ذات واقع ماديّ ملموس مستقر، ولديها القدرة على التصدي لاقتصاديّات التجارة في الأوراق المالية، وما تشتمل عليه من مضاربات غير آمنة.

واعتمادًا على رؤى "معهد شيلر" "**Schiller Institute**" التنمويّة التي جاءت تحت عنوان: "**Maps of Great Infrastructure Development Projects Around the World**" وبتحري المشروعات التي جاءت بها تحت عنوان: "**Infrastructure Development Corridors**"

وبدراسة ما اختص منها بجنوبيّ غربيّ قارة آسيا وشماليّ شرقيّ إفريقيا تحديدًا والتي جاءت تحت عنوان: " **High-speed rail lines through the region**" وكان نتاجه الشكل رقم (٧١).

Source: Schiller Institute (2017): Maps of Great Infrastructure Development Projects Around the World, Frankfurt, Germany.

شكل رقم (٧١): الممر التنمويّ في شماليّ شرقيّ إفريقيا

وبدراسة ما اختص منها بشماليّ شرقيّ قارة إفريقيا تحديدًا والتي جاءت تحت عنوان: **"THE OASIS PLAN FOR THE MIDDLE EAST"** **وكان نتاجه الشكل رقم (٧٢).**

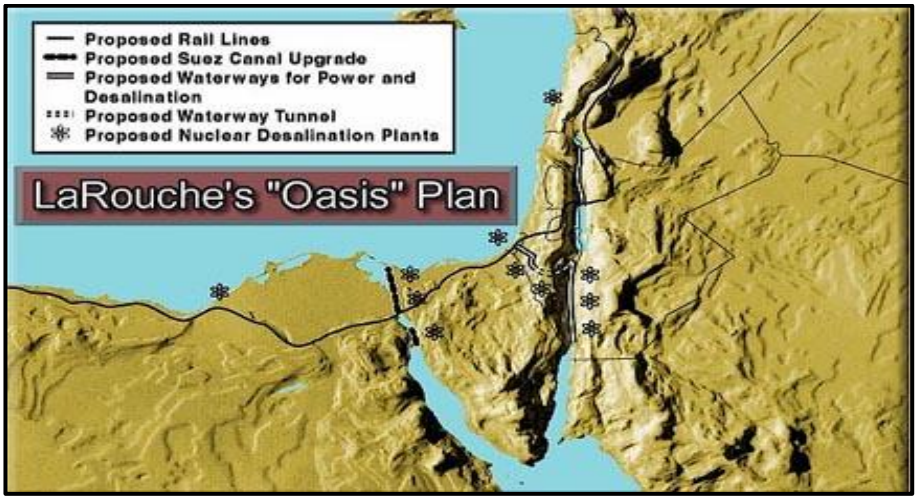

Source: Schiller Institute (2017): Maps of Great Infrastructure Development Projects Around the World, Frankfurt, Germany.

شكل رقم (٧٢): خطة الواحات في الشرق الأوسط

وبدراسة ما اختص منها بأوروبا وآسيا تحديدًا والذي جاء تحت عنوان: **"The Eurasian Landbridge"**

واعتمادًا على تاريخيّة جملة الطرق البرية والبحرية التي كانت تمثل محاور التجارة الرئيسة على مستوى العالم القديم

فإن التوصية الثانية تتمثل في حتمية بناء ممرات تنمويّة على مستوى الأطر الاتحادية الموحدة على أن تخلص جميعها إلى ممر تنمويّ فيدراليّ يجمع بين جملة الممرات التنمويّة على مستوى الأطر الاتحادية المحددة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٧٣)

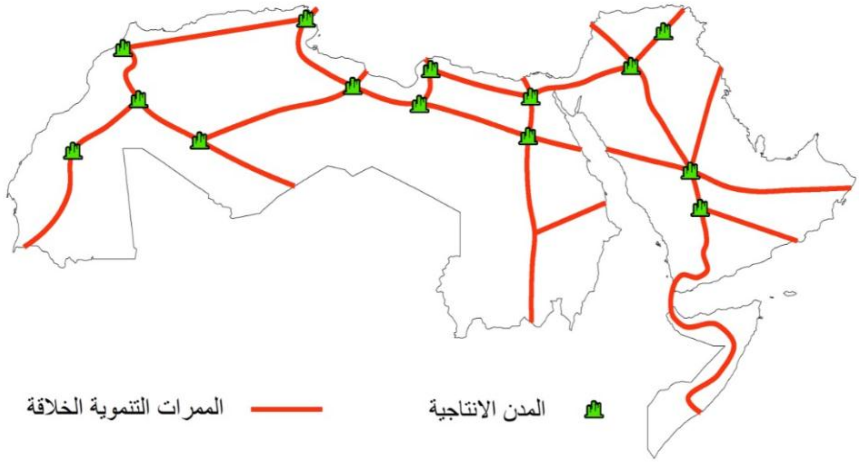

شكل رقم (٧٣): الممر التنمويّ الفيدراليّ الخلاق

ومن الجدير بالذكر أن هذا الممر لا يحمل بين طياته التنازل عن بعض حقوق السيادة الدولية، بل ليكون هذا الممر الفيدراليّ مدخلًا لتأسيس نظام إقليميّ عربيّ لديه القدرة على تعظيم مصالح العرب وصيانة الهوية القوميّة والحضاريّة، لا لصالح ترتيبات اقتصاديّة شرق أوسيطة تؤول منافعها إلى فئة محددة من البلدان الكبرى.

قائمة المراجع والمصادر

أولًا- المراجع العربيّة.

١. **القرآن الكريم**
٢. **حمدان ، جمال (١٩٧٨)** جغرافيّة المدن، دار الكتب، القاهرة.
٣. **عليّ ، جواد (١٩٩٣)** المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، جامعة بغداد، العراق.
٤. **..... (١٩٩٣)** المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، جامعة بغداد، العراق.
٥. **فيرجريف، جيمس (١٩٥٦)** الجغرافيا والسيادة العالميّة، ترجمة عليّ رفاعة الأنصاريّ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٦. **عدره ، خلدون (٢٠١٥)** المشروع الصهيونيّ الأمريكيّ وتداعياته على الوطن العربيّ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصاديّة والقانونيّ، المجلد (٣١)، العدد (الأول)، دمشق.
٧. **خلاصي، خليدة كعسيس (٢٠١٤)** الربيع العربيّ بين الثورة والفوضى، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان.
٨. **حسين ، طه (١٩٢٦)** في الشعر الجاهليّ، مكتبة دار الندوة الإلكترونية.
٩. **الدوري، عبد العزيز (١٩٦٠)** مقدمة في صدر الإسلام، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة الوطنية.
١٠. **سالم، عبد العزيز (١٩٦٨)** تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
١١. **صالح ، عبد العزيز (١٩٩٤)** تاريخ شبه الجزيرة العربيّة في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٢. **وهيبه، عبد الفتاح محمد (١٩٦٦)**حول أهداف الجغرافيّة التاريخيّة واتجاهاتها الحديثة، فصل من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد العشرون.
١٣. **محمد، علاء عبد الحفيظ (٢٠١٤)**مستقبل الدولة الوطنية العربيّة في ضوء إشكالية العلاقة بين الداخل والخارج، مجلة المستقبل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت.
١٤. **سعدون، غيداء أحمد (٢٠١١)** المكان والمصلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد ٢، جامعة الموصل، العراق.
١٥. **عبد الوهاب، لطفي (١٩٦٨)** العرب في العصور القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
١٦. **سميث، ليونارد (٢٠١٦)** نظرية الفوضى، ترجمة محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة

١٧. **النويعمي، ماجدة (٢٠١٠)** الشعر الرومانيّ مصدرًا لتاريخ الجزيرة العربيّة، الجمعيّة المصرية للدراسات التاريخيّة، القاهرة.
١٨. **هيلر، مارك (٢٠١٦)** التغيرات الإقليميّة في الشرق الأوسط، ترجمة سليم سلامة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين.
١٩. **رياض، محمد (٢٠١٢)** الأصول العامة في الجغرافيا السياسيّة والجيوبوليتيكا،مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة.
٢٠. **توفيق، محمود (١٩٨٨)** مفهوم الجغرافيا السياسيّة ومجالها، الجمعيّة الجغرافيّة الكويتية،رسائل جغرافيّة،العدد (١٢٠)، جامعة الكويت.
٢١. **البدري، مروة حامد (٢٠١٢)** بناء النظام الإقليميّ السياسات الأمريكية للشرق الأوسط، رسالة دكتوراه منشورة، كلية التجارة وإدارة الأعمال، قسم العلوم السياسيّة،جامعة حلوان.
٢٢. **الفاسي، هتون بنت أجواد (٢٠١٣)** الجزيرة العربيّة بين إسترابون وبليني قراءة في المصادر الكلاسكية، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة، العدد (٨).

ثانيًا-المصادر العربيّة:

١. **النصيبى، أبو القاسم بن حوقل (١٩٣٨)** صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢. **الإدريسى، أبو عبد الله محمد (١٩٩٤)** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .
٣. **سترابون (٢٠٠٣)** الكتاب السابع عشر من جغرافيّة سترابون، وصف ليبيا ومصر، ترجمة محمد الدويب، جامعة قاريونيس، بنغازى.
٤. **الصقليّ، ديودور (١٩٤٧)** ديودور الصقليّ في مصر، ترجمة وهيب كامل، القاهرة.
٥. **كلاوديوس بطليموس (٢٠٠٤)** وصف ليبيا ومصر، الكتاب الرابع، ترجمة محمد الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي .
٦. **مكتبة الكونجرس الأمريكية (٢٠١٨)** خريطة بلاد العرب، المكتبة الرقمية العالمية..
٧. **هيرودوت (١٩٨٧)** هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
٨. **الهيئة العامة للسياحة والآثار (٢٠١٠)** طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربيّة السعودية.
٩. **الهيئة العامة للسياحة والآثار (٢٠١٧)** المواقع الأثرية والتاريخيّة في المملكة العربيّة السعودية، الرياض.
١٠. **ياقوت الحمويّ (١٩٥٧)**معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

ثالثًا –المراجع الأجنبيّة.

1. Bernara, L **(1950):** The Arabs In History, Hutchinson & Co Ltd,London.
2. Bernara, L **(1964):** The West and the Middle East,Weidenfelf & Nicolson, London.
3. Bernara, L **(1990):** The Roots of Muslim Rage, Atlantic Monthely, London.
4. Bernara, L **(1993):** Islam in History : Idas,People, and events in the Middle East
5. Bernara, L **(2003):** The Crisis of Islam Holy War and Unholy Terror
6. Ralph, P**(2006):** Blood borders: How abetter Middle East Would Look,armed Forces Journal,USA.

رابعًا – المصادر الأجنبيّة

1. Schiller Institute (2017): Maps of Great Infrastructure Development Projects Around the World, Frankfurt, Germany.
2. (1918) : Map of Arabia Distribuzion approssimativa dei Riti o Scuole Giuridche E Delle Sette Religiose Musulmane"

خامسًا –الخرائط التاريخيّة

م	سنة النشر	اسم الكارتوجرافي	عنوان الخريطة	المصدر
١	١٥٧٨	ريبجني	**Arabiam felicem**	**مكتبة الكونجرس الأمريكية (المكتبة الرقمية العالمية)**
٢	١٥٩٨	جودكوس	**Arabia**	
٣	١٦٥٤	بير مأربييت	**Carte des trois Arabies**	
٤	١٧٢٠	كرافت ويكلم	**Arabiae**	
٥	١٧٧١	بوني	**Carte de l Arabie**	
٦	١٧٩٤	بورغينيون دانفيل	**A New Map of Arabia**	
٧	١٨٢٤	جيمس ويلد	**Arabia**	
٨	**بدون تاريخ**	هارولد ديكسون	**Rough Tribal Map of Arabia**	**(ويكيميديا كومنز ١٦ فبراير/٢٠١٧).**

Spatial value motives in Arabian Peninsula The major cultural vessels the Arabian Peninsula: a study in historical geography during the period from the thirteenth century BC to the beginning of the seventh century AD

Abstract

"Cumulative Change", "Intentional Change", the ideas of the theory of "Chaotic Construction", and the ideas of the theory of "Creative Chaos" are specific concepts plagued by the countries of the "Arab world" nowadays. Within the framework of this relatively directional ripple and the difference in purpose, there are many indicators that indicate that it is moving towards a new system whose structure is still in the process of crystallization. The whole matter is still in the stage of constructive action and there is no final result, i.e. it is still possible to address the mechanisms of this synthesis, on the one hand, and preventing the replacement of global conflict hotspots with the "Arab region" in light of the inter-alignments on the other hand. There are no societies that can dismiss or abandon their past; being the symbiotic reality which represents one of the inputs of its social structure. That structure, whose inputs consist of the trilogy of "society", "place", and relationships; That structure is driven by continuous time on the one hand and relativity in the two dimensions of effect and being affected on the other. In general, the history of the Arabian Peninsula testifies that its social characteristics have only been established to change, and in the case of its stability, they were difficult to change, but if it changes, it is not again. The idea of the study revolves around an attempt to identify the spatial value motives that earned the Arabian Peninsula the directions of its historical paths during specific periods of time.

Within the framework of that, the study aims to investigate the value inputs in the Arabian Peninsula and get it out of the declared apparent, which was represented in perfumes and types of spices, and then richness, to the inner content that it contained. As well as the attempt to benefit from the content of value in the history of the Arabian Peninsula by

selecting a development vision that would contribute to the unity of the countries of the “Arabian Peninsula” and then the countries of the “Arab world”. The study relied on the "historical approach" and the "deductive approach" within a conditional framework of integrative structural interdependence driven by the generality of the result. Therefore, if the "historical approach" in this study is intended to reconstruct the historical event during successive periods of time, then the "deductive approach" in this study was associated with it step by step. As well as, the method of critical deductive analysis, evaluative deductive analysis method, and the assessment analysis method. On the basis of the processing steps, the study included (seven) major points, which were dominated by the fundamentalist trend within a framework of analysis and criticism. As for the utilitarian part, it was represented in the results and recommendations of the study.